صمت سيكادا

CICADA

عائشة بوشارب

عائشة بوشارب

صمت سيكادا

صمت سيكادا

CICADA

لطالما قادني القدر الى ظلماته
لم يكن بجانبي احد غير قسوته
لذا ...
بحثت عن اللذة فيما اجيده فوجدتها في الانتقام
هل استسلم لما يسمى بالحب؟
ام اكمل طريقي نحو الجحيم؟

سيكادا

عائشة بوشارب، أقطن في مليانة "المدينة المجهولة"
أعشق التحديات والهدو...



دار الشهوب للنشر التوزيع والطباعة

صمت سيكادا



نوع العمل: رواية

اسم العمل: صمت سيكادا

اسم المؤلف: عائشة بوشارب

ISBN : 978-9931-819-48-6

الناشر: دار السهوب للنشر والطباعة والإعلام

صفحة الكاتبة على (فيسبوك) :

https://www.facebook.com/boucharebaicha

صمت سيكادا

رواية

عائشة بوشارب

١٢ مارس/ آذار 1994 كان يومًا من أيام الربيع، فصل السعادة والحب، كما أسميه، لو اجتمعت كلمات الغزل الجميلة لما استطاعت وصفه، لكن ذاك اليوم كان مختلفًا تمام الاختلاف عن الأيام التي نشهدها عادة في هذا الفصل، فلم تشرق شمس الربيع فيه كعادتها بعد أن منعتها الغيوم السوداء من نشر أشعتها الصباحية التي تبث في النفوس السكينة والسلام، حتى زقزقة العصافير كانت بالكاد تسمع في ذلك اليوم الكئيب.

السَاعة تُشير إلى الواحدة والنصف زوالًا، ثلوج كثيفة تتساقط، شوارع تكاد تخلو من المارة، صوت غريب يسمع وسط تساقط الثلوج، الصوت يقترب أكثر فأكثر.

فتحت باب المركز الذي أعمل فيه، كان مركزًا للمرضى النفسيين والمختلين عقليًا، مركز "سيدي مجاهد" القابع في أحد أطراف بلدية "مليانة" في إحدى ولايات الجزائر، ذلك المركز شهد أمرًا عجيبًا.

لم يكن ذلك الصوت سوى بكاء رضيع، وضع في قفة صغيرة وغطي بغطاء أبيض وشال بنفسجي، لمحت فوقه ورقة صغيرة كتب عليها "اعتنِ بي أرجوك".

بكاؤه يرتفع أكثر فأكثر وكأنه يطلب الرحمة أو الشفقة على حاله، حملته سريعًا إلى الداخل وقد كانت حالته مزرية تمامًا، حاجته الماسة إلى الدفء دفعتني إلى حمله سريعًا إلى الداخل دون تفكير، نزعت عنه الغطاء المُبلل ثم غطيته بآخر نظيفًا ودافئًا أمام الموقد، وذهبت سريعًا لتحضير الحليب، اعتنيت بالرضيع جيدًا في ذلك اليوم.

الرضيع كان فتاة في غاية الجمال، "تانيلا" التي ترعرعت وكبرت في وسط غريب.

مضت أيام وأيام، والفتاة الصغيرة تكبر شيئًا فشيئًا، وما زلت أذكر ذلك اليوم جيدًا، حين تعلَّمت المشي، وسط نظراتي ونظرات المرضى النفسيين الذين كانوا في غاية السعادة بها وهي تسقط وتنهض لتخطو خطواتها الأولى.

*****

في يوم مشمس من صيف يوليو/ تموز، وبالضبط اليوم السابع من ذلك الشهر كان نزلاء المركز مجتمعين في ساحته، شكَّل بعضهم دائرة بأجسادهم وجلسوا يحدقون في بعضهم بعضًا في لعبة يخسر فيها من يضحك أولًا، مع أنهم لمْ يكفوا عن الضحك لحظةً واحدة، وفيما جلس أحدهم يحدق في انعكاس صُورته في نافورة الماء المتعطلة، جلس آخر مع قطة مشردة يُمشط شعرها الذي لا يخلو من الحشرات، وأخذ آخرون يتحدثون مع أنفسهم بكلمات غير مفهومة، هكذا كانت غالبيتهم غارقة في عوالمها الداخلية.

في ظل هذا المشهد الغرائبي، جلست الفتاة الصغيرة المنعزلة بمفردها على كرسي، وراحت تراقب المرضى من بعيد وتنظر بين فينة وأخرى إلى ملصق تمسكه بيدها.

اقتربت منها "سهيلة"، إحدى العاملات بالمركز، ابتسمت برقة ثم قالت:

هاه، لماذا تجلس صغيرتي "تانيلا" بمفردها هنا ولا تلعب مع الآخرين؟

أجابتها تانيلا بملل واضح خيّم على ملامح وجهها البريئة:

لأني سئمت اللعب معهم يا خالة سهيلة، فلا يجيدون شيئًا غير الصراخ، كما أنني أريد هذه الآلة بشدة.

تعجبت سهيلة فلم تفهم مقصدها وسألتها بحيرة:

عن أي آلة تتحدثين يا حبيبتي؟

أشارت تانيلا بسبابتها إلى الملصق ثم قالت: *هذه الآلة!*

ارتسمت ابتسامة ممتلئة بالحب على وجه سهيلة وهي تقول: *هذا اسمه حاسوب يا تانيلا، وحينما تكبرين قليلًا وتدرسين وتتفوقين في دراستك وتجدين عملًا لائقًا ستجنين الكثير من النقود، وحينها يمكنك الحصول على العشرات منه، فقط ثقي بنفسك وآمني بأحلامك، حتى لو كانت صغيرة.*

ثم وجهت إصبعها نحو أنف تانيلا وقرصتها ممازحة وأكملت قائلة بمرح: *مثل أنفك الصغير.*

قالت تانيلا وقد علت الابتسامة محياها: أنا أؤمن بأنني سأحقق كل أحلامي يا خالتي سهيلة، وأول ما سأفعله لتحقيق حلمي هو الخروج من هذا المكان الذي أكرهه.

دمعت عينا سهيلة وقد فوجئت بما قالته الصغيرة: *لقد كبرتِ يا تانيلا، كبرتِ كثيرًا، ستحققين كل ما تريدينه بفضل الله، آمني بذلك فقط، أعلم أنك ستنجحين يا حلوتي.*

وقبل أن تنهي كلامها أتت عاملة أخرى مسرعة تحمل أوراقًا في يديها وهي تنادي على سهيلة، فاستدارت سهيلة إليها متعجبة: *ما بكِ يا "مرام" ماذا حدث؟!*

أجابتها "مرام" بعدما استرجعت أنفاسها المتقطعة وهي تعطيها الأوراق: *اقرئي هذا، إنها أوراق تخص...*

في تلك اللحظة ظهر شخصان يسيران نحوهما، رجل يبدو في الخمسينات من عمره، وامرأة تبدو في الأربعينات من عمرها، وقد ارتسمت على وجهيهما ابتسامة لطيفة.

لم تستطع سهيلة كبح مشاعرها في تلك اللحظة، فسالت دموعها على كتف تانيلا التي كانت تحتضنها بقوة وهي تقول: *ستحققين اليوم أول أحلامك يا طفلتي الجميلة، فها قد أتى قدرك.*

لم تفهم تانيلا ما تلمح إليه سهيلة، وما إن همت بسؤالها حتى وصل الرجل والمرأة.

مرحبا يا تانيلا، أنا "مصطفى" وسأكون صديقك المقرب منذ هذه اللحظة، دعيني أعرّفك على زوجتي الحنون "زينب".

كانت ترتسم على وجه الرجل ابتسامة جميلة ورقيقة تبث في النفس الأمان والطمأنينة.

بعد الانتهاء من إجراءات التبني أخذ الزوجان تانيلا معهما إلى بيتهما الجديد، تحت أنظار المرضى النفسيين وعمال المركز وسهيلة التي اعتنت بها واهتمت بتربيتها.

لم تستطع سهيلة كبح دموعها، بينما كان نزلاء المركز وموظفيه يودعونها، بينما بعض أصحاب الحالات الصعبة لم يكونوا قادرين على إدراك ما يجري.

*****

مرت الأيام، ومع كل يوم تصبح حياة تانيلا أجمل بكثير، فقد سعى الزوجان إلى تعويضها عن كل ما عاشته في الماضي، أما تانيلا عوضتهما عن سنوات الوحدة التي عاشاها دون أبناء.

كانا سعيدان بحياتهما الجديدة التي باتت ملونة بألوان قوس الرحمن، بعد أن كان الأسود والأبيض يخيمان عليها، لم يعوضا تانيلا عن الحب والحنان فحسب، وإنما عن كل شيء تتمناه، فما إن تتحدث عن شيء تشتهيه حتى يكون بين يديها، في البداية كانت تناديهم صديقي وخالتي، ومع مرور الوقت أصبحت تناديهما "أمي، وأبي"، كانا في غاية السعادة بهذا، لقد استحقاها فعلًا؛ فما فعلاه معها لم يفعله أبواها اللذين تركاها على عتبة باب المركز، ومع ذلك كانت دائمًا تتساءل؟ يا ترى من هما والديّ الحقيقيان؟ هل كانت حياتهما قاسية لدرجة أن يضعاني في المركز؟ ربما كانا فقيرين جدًا ولم يستطيعا رعايتي؟ تخاطب نفسها البريئة قائلة: *تانيلا، أنت حقًا غبية، هل تعطيهما عذر تركك وحيدة؟ لا يوجد عذر لتركك أبدًا ولكن ربما.*

كل هذه الأفكار دارت في ذهنها الصغير طيلة هذه السنوات، كانت دائمة التفكير بهما والتخطيط أنها عندما تكبر ستبحث عنهما، ولكن هل يستحقان هذا؟ تخاطب نفسها قائلة: *يجب أن أنساهما وأتخطى هذه الأفكار، يجب أن أكمل حياتي مع والدي الجديدين فهما يستحقان حبي لهما أكثر من أي شخص آخر.*

تانيلا، تانيلا.

فجأة انتبهت إلى نداء أمها الذي أفاقها من دوامة أفكارها.

التفتت اتجاه الصوت مجيبة:

نعم يا أمي، هل ناديت علي؟

أجل بنيتي، لماذا لا تذهبين للعب مع الفتيات في الخارج حتى تستمتعي بوقتك قليلًا.

أمالت رأسها وقالت: *لا يا أمي، تعلمين أني لا أحب اللعب في الخارج؛ لأن اهتماماتي لا تتوافق مع اهتمامات الفتيات الأخريات ناهيك عن صراخهم المزعج.*

ضحكت زينب وهي تهز رأسها متعجبة: *أنت مختلفة كثيرًا يا تانيلا، هل تعلمين أنكِ تشبهين شجرة الصنوبر؟*

لاحظت زينب علامات الاستفهام التي خيّمت على وجه تانيلا فأكملت:

أشجار الصنوبر يا حلوتي تعطي شعورًا بالعزلة، والراحة، والهدوء، كما أنها جميلة، مثلكِ تمامًا.

تلاشت علامات الاستفهام التي خيمت على وجهها لتحل مكانها ابتسامة مرحة تسر القلب.

*****

عاملها الزوجان بلطف شديد، وأدخلاها المدرسة الابتدائية حين بلغت السادسة من عمرها، تانيلا لم يكن لديها أصدقاء دراسة كبقية التلاميذ، كانت انطوائية وتحب العزلة كثيرًا ولا تتكلم إلا نادرًا، ودائمًا ما تنظر إلى نافذتها هائمة في شرودها، ومع ذلك كانت متفوقة في دروسها، فعل العجوزان ما بوسعهما

لجعلها تبتسم وتخرج من عزلتها لكن دون جدوى، كان الغموض هو المسيطر الوحيد على شخصيتها.

مرت الأيام والأعوام، وبلغت صديقتنا تانيلا العاشرة من عمرها، يومها خرجت تانيلا من مدرستها متجهة إلى البيت مطأطئة الرأس تمشي برفق وكأنها خائفة أن تؤذي الأرض بقدميها، لا تبالي بأحد ولا تستمع لأصوات زميلاتها حولها كعادتها.

وصلت إلى المنزل، دفعت الباب وإذ بها ترى وجوهًا لم يسبق لها رؤيتها، أناس كثر طبع الحزن ملامح وجوههم.

المكان مزدحم، ولكن لماذا! ماذا يحدث؟ ما كل هذه الوجوه العابسة، ما الذي يحدث هنا؟ أين أمي؟ وأين أنت يا أبي؟

تلك الوجوه التي لم تتمكن من التعرف إليها، جعلت طوفانًا من الأسئلة ينفجر داخلها، تقدمت ببطء نحو غرفة المعيشة باحثة عن أبيها، وقلبها يخفق بشدة.

تانيلا، تانيلا!

انتشل النداء تانيلا من الأفكار التي كانت تدور كأسطوانة مشروخة في رأسها، لكن لمن هذا الصوت؟! وجهت نظرها باستغراب نحو العجوز التي ارتمت على تانيلا بكامل ثقلها معانقةً إياها وهي تبكي بحرقة، ابتعدت تانيلا عنها بضع خطوات لتتمكن من رؤية وجهها، مهلًا هذه جارتنا ما الذي يحدث هنا وأين أبيِ؟!

لم تكمل كلامها حتى رأت وجهًا كئيبًا يغزو الحزن ملامحه، في حالٍ يرثى له، فكشفت لها عيناها أن "هذا هو والدك لكن لماذا هو هكذا وأين هي أمي؟"

قالت العجوز بصوت خافت في طياته الأسى والحزن: *إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد توفيت أمك يا ابنتي.*

الأيام تمضي سريعًا، وتانيلا لم تعد كسابق عهدها فقد تغيرت حياتها في لمح البصر.

كل شيء أصبح معتمًا في نظرها، ويومًا بعد يوم زادت عزلتها وغاصت في انطوائها أكثر فأكثر، لم تعد تغادر غرفتها إلا نادرًا، تخرج للدراسة و تعود لتنفرد بلوحة المفاتيح وشاشة الحاسوب خافتة الإضاءة.

بدأ هوسها يكبر بعالم الشبكة العنكبوتية، كان هو الشيء الوحيد الذي تستمتع به حقًا ويؤنس وحدتها.

*****

مرت الأيام على هذا الحال وصارت الفتاة الصغيرة مراهقة جميلة في السابعة عشرة من عمرها، أنوثتها مكتملة تقريبًا.

باتت غاية في الجمال بعينيها الواسعتين العسليتين، وشعرها الفاحم كجناح الغراب الذي يصل إلى خصرها، أما بياض بشرتها فكان يشع كاللؤلؤ ما زادها جمالًا، ناهيك عن رموشها التي تصل إلى حاجبيها.

باتت حلم العديد من شباب المدينة، ومصدر إزعاج لكثير من الفتيات اللواتي يحسدنها على جمالها على الرغم من عدم معرفتهن بها، ولكنها لم تهتم أبدًا بتلك الأشياء التي كانت تعتبرها "ترهات".

هوسها الوحيد كان البرمجة، وكبر معها هذا الهوس إلى أن أصبحت خبيرة في البرمجيات.

تجلس على حاسوبها وأناملها تتراقص فوق لوحة المفاتيح كراقصة باليه محترفة، في لحظة من اللّحظات عبرت بخاطرها ذكرى كالحلم، تذكرت تلك العجوز التي تربت في حضنها، وابتسامتها التي لم تحرمها منها

يومًا، كيف لا وقد غمرتها بحنان الأم الذي لم تحظ به من قبل، وعوضتها عن دفء صدر أمها المنسية، فلم تعلو لها ضحكة من يوم غط التراب أمها زينب.

*****

في ليلة من ليالي جانفي/ كانون الثاني الباردة، كانت تانيلا جالسة مع أبيها على طاولة العشاء والصمت يعم المكان كالعادة، ابتسمت بعد أن تذكرت القصة التي اعتاد والدها أن يرويها لها كل ليلة في طفولتها.

فحاولت كسر الصمت بحديثها قائلة: *ألن تروي لي تلك القصة اليوم؟*

رمقها والدها بنظرات حائرة:

عن أي قصة تتحدثين؟!

هل هناك الكثير من القصص التي رويتها لي في طفولتي حتى تنسي تلك القصة؟ لقد اشتقت إليها، أيمكنك أن ترويَها لي هذه الليلة!؟

ضحك برقة قائلًا: *ألن تملي من تلك القصة؟*

رفعت حاجبيها ثم هزت رأسها بالنفي، ثم ضمت يديها إلى صدرها بعناد، ورمقته بنظرات الإصرار.

وجه مصطفى عينيه العميقتين الداكنتين الحنونتين إليها مبتسمًا ثم تنهد وقال: *حسنًا يا بنتي، منخليهاش في قلبك.*

ثم بدأ يسرد القصة:

"كان هناك شابًا طموحًا يصل طموحه وأحلامه عنان السماء، لم تكن أحلامًا تنبع من طفولة أو خرجت من وسادة، بل كانت أحلام شخص يئس من الحياة غير العادلة التي كان يعيشها، ولأنّ تفكيره لم يكن بسيط بتاتًا، كان يسعى إلى إخراج نفسه من دوامة الحياة التي يعيشها ويسعى إلى حياة أفضل، همه الوحيد تحقيق مراده وأحلامه التي آمن بها، كانت شخصيته انطوائيةً نوعًا ما، ولم يكن يملك الكثير من الأصدقاء...

قاطعته تانيلا بابتسامة: *مثلي تمامًا.*

لا أحد مثلك يا تانيلا، أنت مختلفة جدًا، كما أنك لم تدعي العجوز يكمل القصة.

وأردفت: *حسنًا، حسنًا، أعتذر يا أبي، أكمل من فضلك.*

أكمل والدها قصته بالقول: *لم يكن يملك من الأصدقاء سوى صديقًا واحدًا، ومع ذلك كانت كلمة صداقة ظلمًا في حقه، قد كان أخًا يشاركه الأحلام والطموحات، وبالذات ذلك الحلم حلم التجارة، كان حلمهما منذ الطفولة،*

ترعرعا وكبرا في وسط مليء بالتّجار وهذا ما زادهما خبرة ومعرفة بأحوال السوق، كان لديهما مكان صغير لبيع الملابس الرخيصة داخل سوق شعبية، كانا يعلمان جيدًا أن أصحاب تلك المنطقة بسطاء لا يستطيعون شراء ملابس فاخرة، وهذا ما ساعدهما في عملية البيع. كانا يتمتعان بروح الدعابة مما جذب الزبائن إليهما، بعد سنوات من المعاناة، والسهر، والنوم في أطراف السوق وسط ظلمة الليل وبرد الشتاء، استطاعا أخيرًا فتح محل وسط السوق، كان محلًا جميلًا لبيع الملابس النسائية، وجاء هذا الاختيار بعد خبرة ودراسة طويلة أكدت لهما أن أكثر الزبائن من النساء فهن يحببن الأناقة والأزياء، وساعدتهما مجددًا روح دعابتهما في جذب المزيد من الزبونات، علاوة على وجهيهما الجميلين وذكائهما في التعامل مع النساء.

مرت الأيام وأصبح محلهما مشهورًا في المنطقة كلها، تأتي إليه النساء من مناطق مجاورة لابتياع أجمل الملابس، تضاعفت أرباحهما تضاعفًا ملحوظًا ففتحا فرعًا آخر في منطقة مجاورة، وازدادت الأرباح ازديادًا كبيرًا، مما زاد من غرور وتكبر الصديق الثاني، لقد صار الحلم قريب المنال.

عم الصمت أرجاء الغرفة للحظات قبل أن يتنهد العجوز ويكمل كلامه، بينما كانت مخيلة تانيلا تسافر مع أحداث القصة.

كان حلمه فتح أكبر شركة للأزياء في الوطن بل في العالم كله.

عاد الصمت ليسود الغرفة من جديد.

خرجت الكلمات بسرعة من تانيلا لتكسر الصمت قائلة: *أكمل يا أبي، أرجوك.*

ابتسم الأب وهو يقول:

لقد تأخر الوقت يا بنيتي، هيا اذهبي إلى النوم، فغدًا لديك دراسة، وامتحان شهادة البكالوريا على الأبواب، فواظبي على دروسك.

ردت تانيلا بابتسامتها الجميلة:

حسنا يا أبي، سأنام بعد تجهيز مائدة العشاء وغسل الصحون، اذهب إلى غرفتك الآن ونم جيدًا أيها الرجل الوسيم.

ضحك مصطفى ووقف مستندًا على عصاه، ثم سار وهو يتكئ بكل جسده على عصاه مع كل خطوة يخطوها ثم توقف قليلًا ونظر إلى الخلف قائلًا: *يا حلوتي، سأكمل لك بقية الحكاية يومًا ما، فلا تنزعجي ولا تتسرعي لأن الصبر هو الطريق نحو الحقيقة.*

ردت تانيلا بينما كانت تلملم الأواني: *يستحيل أن أنزعج منك يا أبي، أنا متشوقة فقط لمعرفة باقي القصة، والآن هيا اصعد إلى غرفتك وخذ قسطًا من الراحة.*

صعد مصطفى إلى غرفته لينام، أما تانيلا فقد كانت تحمل الصحون وهي تائهة في أفكارها، قبل أن تتنهد تنهيدة من أعماق صدرها وتستغفر.

بعد انتهائها من غسل الصحون توجهت إلى غرفتها التي يعمها الهدوء والسكينة، اتجهت مباشرة إلى زاويتها المعتادة التي تضم طاولة خشبية دائرية وكرسيًا صغيرًا أسود، لكن ما زاد المنظر جمالًا ضوء القمر الذي تسلل من شقوق خشب النافذة المهترئ، أخرجت كتبها وبعض أوراقها، نشرتها على الطاولة واضعة يدها اليمنى على خدها وهي تقلب صفحات كتبها، مرت ساعة تقريبًا وهي على الحال نفسه، ثم شعرت بالتعب وبعض الملل فتركت ما بيدها

من أوراق واتجهت نحو خزانتها تقلب ثيابها بحثًا عن بيجامتها، أخرجتها ثم وضعت البيجامة على الكرسي وهمت بنزع ثوبها عن جسدها الفاتن.

زاد ذلك الجسد روعة ضوء القمر الذي كان ينشر بريقه فوق جانب من وجهها كأنه يلامس شفتيها بنعومة وينزل شيئًا فشيئًا نحو عنقها، تستدير فينكشف جزءًا من رقبتها وهو يحمل سلسلة زادتها أنوثة ورقة، توقفت قليلًا واضعة القميص من يدها لتمسك بأطراف أصابعها سلسلة كان طولها يسمح لها بالوصول إلى ثدييها الطاغيين بالأنوثة.

جسد الأنثى هو أجمل دولة قد يسافر إليها شاب على الإطلاق، فهل يسافر الشباب من بلد إلى بلد لرؤية مناطقه وأجوائه الطبيعية؟ هراء! إنهم يسافرون بحثًا عن أنثى تكون دولتهم الجديدة التي يقطنون فيها.

تانيلا التي أمسكت السلسلة بأطراف أصابعها غرقت وهي عارية في دوامة من الأفكار، تذكرت في تلك اللحظات أصل السلسلة التي أهدتها إياها سهيلة يوم خروجها من المركز، تذكرت المرضى النفسيين وطبيبتهم، تذكرت الأيام التي أمضتها رفقتهم، كانت الذكريات تتسلل إلى عقلها وهي لا تزال ممسكة بالعقد، في لحظة ما تذكرت وعدًا قطعته لسهيلة بأن تزورها.

مرت سنوات كثيرة على فراق المركز، انتبهت تانيلا إلى نفسها فأمسكت بيدها جزءًا من صدرها وغطته ثم التفتت يمينًا ويسارًا وضحكت على حالها.

حدثت نفسها قائلة: *ما بك يا أنا! هل أصابك الجنون! لمَ أنتِ عارية؟*

أسرعت إلى ارتداء قميصها، فعلق به شعرها الغزير الذي لا يمل منه كتفيها، كشف القميص روعة ونعومة جسدها وكأنه يقول للجاذبية ابتعدي، دعي العالم

يرى المعنى الحقيقي للجاذبية، فأدخلت يدها تحت شعرها ممسكة خصلاته برقة محاولة إطلاق سراحه من قميصها الذي تمسك به بشدة، مكملًا صورة الإثارة وطغيان ذلك الجسد المفعم بالأنوثة.

نامت تانيلا تلك الليلة تحت ضوء القمر تتذكر أيام طفولتها الحزينة داخل المركز، لتمر بعدها الأيام وتانيلا حبيسة غرفتها وكتبها لتحقق النجاح في شهادة البكالوريا.

*****

بقي يوم على الامتحان وتانيلا في أتم استعداد له، لم تمضِ ذلك اليوم كعادتها في غرفتها، بل خرجت مع والدها العجوز ليتجولا في شوارع مدينتها ممسكة يد والدها، وبيدها اليمنى مثلجات بنكهة تحبها، تمشي لا مبالية بمن حولها وهي تأسر بجمالها كل العيون التي تقع عليها، أمضت

ذلك اليوم رفقة والدها يتبادلان أطراف الحديث وهما يمشيان في أزقة المدينة وشوارعها.

تطلب تانيلا من والدها الجلوس بعد أن شعرت بأن التعب قد نال منه، فرجلا ذلك المسن لم تعودا قادرتين على حمله كثيرًا كما في السابق، أما تانيلا التي كانت دائمة الاكتئاب سجينة أفكارها السوداء، فقد خرجت ذلك اليوم وأصبحت تلهو كثيرًا، مطلقة لروحها العنان رفقة والدها حتى إن البسمة لم تفارق وجهها.

مضى ذلك اليوم الجميل وعاد كلاهما إلى المنزل في وقت متأخر من الليل، ليناما والبسمة لا تفارق وجهيهما.

*****

حل الصباح سريعًا وأرسلت الشمس خيوطها الذهبية على بقاع الأرض لتطل بأجمل ثيابها، قامت تانيلا كعادتها بواجباتها المنزلية في ذلك الصباح، أحضرت الفطور لوالدها وناولته أدويته، ثم قبّلت جبينه وطلبت منه الدعاء لها بالتوفيق. سارت بخطوات واثقة نحو المدرسة وهي في شوق كبير لخوض امتحان البكالوريا.

وصلت إلى المدرسة الثانوية قبل ربع ساعة من موعد الامتحان، فهذه عادتها أن تصل قبل المواعيد بدقائق، جلست تحت شجرة في ساحة المدرسة وهمّت بمراجعة بعض الدروس، ليقاطعها شاب:

مرحبًا، هل يمكنني الجلوس؟

ردت تانيلا بنبرة عادية دون أن تشيح نظرها عن أوراقها:

نعم، يمكنك ذلك.

مرت دقائق وتانيلا تصب كل تركيزها على أوراقها.

ليعود الشاب من جديد مقاطعًا تركيزها:

آسف على إزعاجك، هل لك بمساعدتي في فهم هذا الدرس، لم أستطع أن أستوعبه.

لم تتردد تانيلا في الإجابة قائلة: *حسنًا.*

ثم أشاحت نظرها عن أوراقها نحو المتحدث، كان شابًا في غاية البساطة والجمال، ومع ذلك فقد رمقته بنظرة لا مبالية كعادتها وهي تشرح له بنية

صافية، فغر الشاب فمه دَهشًا من فهمها الكبير لهذا الدرس على الرغم من صعوبته.

قُرع جرس الدخول إلى قاعة الامتحان، فنهضا في الوقت نفسه وهو يشكرها على مساعدتها معرّفًا بنفسه، لكنها لم تبال باسمه أو حديثه، قائلة: *لا عليك، أي شخص كان في مكاني سيفعل الشيء نفسه.*

دخلت قاعة الاختبار، فإذ بموقع جلوسهما في القاعة نفسها.

لوح بيده إليها بعد أن انتبه إلى أن القاعة جمعتهما من جديد، وقد بدت السعادة واضحة على محياه لهذه الصدفة: *مرحبًا! ها قد التقينا ثانية.*

رفعت حاجبها الأيسر ثم أجابت ببرودة ونصف ابتسامة: *نعم.*

أشاح بوجهه متحدثًا إلى نفسه:

ما بها؟ لماذا هي مغرورة إلى هذا الحد؟!

وقبل أن ينتهي من تساؤلاته نادته تانيلا قائلة: *آسفة، لقد نسيت قلمك بحوزتي، خذه الآن قبل أن يبدأ توزيع أوراق الاختبار.*

"*صمت من فضلكم، سيبدأ الاختبار الآن*".

بدأ الاختبار وبدأت صديقتنا تانيلا تقرأ الأسئلة بتمعن شديد.

مرت لحظات وهي تراجع ورقة الامتحان بتمعن شديد دون أن تشيح نظرها عن ورقتها ثانية واحدة، حملت قلمها بيسراها وبدأت من فورها الكتابة على

مسودتها، تتوقف للحظات تفكر قليلًا ثم تعيد الكتابة، وهكذا مرة تلو الأخرى تعيد النظر إلى ورقتها بتمعن، تفكر قليلًا ثم تكتب.

"*باقي ساعة على انتهاء الوقت الأصلي للامتحان*"

عاد صوت الحارس من جديد لتنبيه الطلاب إلى الوقت المتبقي.

أنهت تانيلا الكتابة على المسودة ثم راجعتها جيدًا خشية أن تكون قد نسيت أن تجيب أحد الأسئلة، ثم بدأت تنقل ما في المسودة إلى ورقة الأجوبة.

تنفست الصعداء وارتسمت ابتسامة جميلة على وجهها عندما انتبهت إلى أنها أنهت الامتحان سريعًا وأنه بقي أمامها الكثير من الوقت، لكن الابتسامة تلاشت فجأة عندما شاهدت الشاب والتوتر يطغى على وجهه، فمن الواضح أنه لم يكتب حرفًا واحدًا على ورقته.

نظرت إليه وقد طغت عليها الحيرة، ثم حسمت أمرها وحملت المسودة وضغطت عليها بيدها لتصير شبه كرة صغيرة، أخفتها بسهولة في يدها، طلبت الإذن بالخروج من الحارس ثم نهضت من مكانها ببطء شديد ونظرات الأسى بادية على وجهها.

مرت بجانب الشاب وعيناها مسلطتان على الحراس وضربات قلبها تعلو إلى الدرجة التي باتت تمنعها من التنفس.

وضعت ورقة إجابتها على مكتب الأستاذ وهمت بالخروج، وهكذا انتهى اليوم الأول للامتحان.

*****

في طريق عودتها للبيت استوقفها الشاب ونظرات الحيرة بادية على وجهه، شكرها كثيرًا على ما فعلته وهو يعلم أن الحارس لو رآها لأقْصيت من فورها من الامتحان.

لا عليك، لو كان غشًا لما ساعدتك، على الرغم من عدم معرفتي بك جيدًا فإنني علمت عند جلوسنا أنك ذكي، أصلًا كنت تحفظ الدرس بالكامل وصدعتني بتكراره، لذا أنا متأكدة من أن التوتر الشديد هو سبب عجزك عن الكتابة والتركيز داخل الامتحان. وابتسمت نصف ابتسامة وأضافت قائلة: *لذلك حاول ألا تتوتر في الغد لأنني لن أقوم بمساعدتك مرة أخرى.*

انصرفت تانيلا من أمامه والشوق الكبير لوالدها يدفعها إلى الإسراع إلى البيت، وبينما هي تحث الخطى رأت أمامها قطة صغيرة سوداء تنظر إليها نظرات غريبة، للوهلة الأولى خيل إليها أن القطة تريد إخبارها بشيء أو هذا ما جرى بالفعل.

وصلت تانيلا إلى البيت ووضعت يدها على مقبض الباب ثم أغمضت عينيها بعد أن شعرت وكأن إبرة وخزت قلبها، دخلت البيت ثم توجهت إلى غرفتها، رمت حقيبتها فوق سريرها ودخلت بسرعة إلى غرفة الضيوف.

الغرفة التي لطالما أحب ذلك العجوز الجلوس فيها وحيدًا مع ذكرياته، رأته جالسًا فوق كرسيه الهزاز رافعًا رأسه إلى السقف سارحًا في شيء ما، حتى إنه لم ينتبه لوصولها.

قطعت حبل أفكاره قائلة:

أبي! ما بك أيها الوسيم؟ ألم تشتق إلي؟ يبدو أنك ارتحت من غيابي وحديثي الممل.

رفع حاجبيه دَهشًا من رؤيتها ثم ضحك لحديثها وقال متنحنحًا:

كيف لا أشتاق إلى قرة عيني، طمئنيني كيف صار الأمر يا بنتي؟ كيف كان يومك الأول؟

تقدمت تانيلا نحوه وجلست تحت كرسيه الهزاز ممسكة قدميه تداعبهما بحنان: *حسنًا يا أبي، سأسرد لك كل ما جرى.*

راحت تحكي له عن كل صغيرة وكبيرة من لقائها بذلك الشاب، وكيف شرحت له الدروس التي لم يستطع استيعابها، حتى قطع حديثها سعال والدها، كان يسعل بطريقة غريبة جعلت قلبها يقفز خوفًا عليه.

ما بك يا أبي، هل أنت على ما يرام؟!

لا عليك يا بنتي، إنها نزلة برد فقط، هيا تابعي حديثك، ماذا جرى بعدها؟

هزت رأسها بالنفي بعد أن سيطر عليها القلق: *لا يا أبي، هيا، أريدك أن تأخذ قسطًا من الراحة في غرفتك، تعالى لأساعدك على النهوض، وبعدها سأذهب لأحضّر لك النعناع لعلك تتحسن.*

اتكأ مصطفى على عصاه وكتف تانيلا وهو يسير بخطوات قصيرة بطيئة وهو ينظر إليها بنظرات تشي بالكثير.

كيف يمكن لنظرة عين أن تلخص ألف جملة دون أن تنطق بكلمة واحدة؟

وما إن أجلست والدها على سريره، حتى غادرت من فورها إلى المطبخ.

لم يستطع العجوز كتم سعاله فوضع منديلًا على فمه كي لا تسمعه ابنته، فهو لا يريد أن يقلقها خلال الامتحانات، وما إن هدأت نوبة السعال حتى رفع المنديل ليأخذ نفسًا عميقًا فإذ بالمنديل ملطخًا بالدم، ابتسم وراح يحدث نفسه: *معك حق أيها الطبيب، لقد عاد المرض ولم يتبق لي الكثير لأعيشه، يجب أن أخبرها الحقيقة قبل أن تصعد روحي إلى السماء ويفوت الأوان.*

بعد لحظات أنهت تانيلا تحضير النعناع ومعه وجبة العشاء، فنادت والدها للنزول لتناول الطعام والسهر معًا وتبادل أطراف الحديث كعادتهما.

نزل العجوز بخطوات قصيرة مستندًا في مشيته على عصاه التي هرمت مثله، وجلس إلى طاولة العشاء قبالة تانيلا التي كانت تراودها الشكوك حول حالته الصحية، لكن لم تشأ أن تبوح بقلقها كي لا تؤثر على معنوياته.

مر الوقت وهما يتناولان وجبتهما البسيطة والصمت مطبق على غير عادته، انتبهت تانيلا إلى شروده منذ أن وصلت إلى المنزل فقررت الخروج عن صمتها: *ما بك يا أبي، لماذا كل هذا الشرود؟ أهناك شيء يزعجك؟ ألم يعجبك الطعام؟ أخبرني أرجوك ما بك؟*

أخرجت أسئلة تانيلا العجوز من شروده وأنسته ما يفكر به، وبابتسامة هادئة قال: *لا شيء يا بنتي، لا تعيري اهتمامًا إلى السعال، أنا فقط متعب وأريد النوم قليلًا.*

لم يكد ينهي كلامه حتى نهضت تانيلا من فورها واقتربت منه قائلة:

تعال، دعني أساعدك على الصعود إلى غرفتك، لقد تأخر الوقت بالفعل.

صعد العجوز إلى غرفته وهو يتكئ على كتف تانيلا وعيناه لا تفارقانها، كانت نظراته حزينة تخفي الكثير من الأسرار التي لم يستطع البوح بها ولم يعد قادرًا على كتمانها.

تانيلا، يا بنيتي!

لا عليك يا أبي، أنا أحبك، والآن لا ترهق نفسك بالحديث حتى لا تعود نوبة السعال، نم الآن وسنتحدث في الغد بحول الله.

دخلت غرفتها وجسدها يرتعد خوفًا على صحة أبيها ثم أوصدت الباب واتكأت عليه والدموع تغمر عينيها.

أما العجوز مصطفى فقد ظل تلك الليلة محدقًا في سقف غرفته يفكر كيف سيتمكن من إخبارها الحقيقة.

*****

حل الصباح ولم تذق عيناها طعم النوم بعد، نهضت تانيلا كعادتها مبكرًا لتعد وجبة الإفطار ثم وضعتها قرب سرير والدها الذي لا تقوى على العيش من دونه، وطبعت قبلة صغيرة على جبينه تحمل حبًا بحجم العالم.

مر ذلك اليوم ولا جديد فيه، فقد التقت بذلك الشاب وساعدته كعادتها على الرغم من أنها قالت عكس ذلك، وأجابت عن كل الأسئلة بتمعن شديد.

حل الصباح من جديد وجاء معه امتحان جديد.

تانيلا جالسة في مقعدها تنتظر توزيع أوراق الأسئلة فيما تبدو مفعمة بالارتياح، بعد لحظات وزعت الأوراق، مرت ساعتان أنهت تانيلا خلالهما الإجابة عن كل الأسئلة وبدأت تراجع ورقتها.

الساعة تشير إلى الرابعة عصرًا، إنه آخر سؤال في امتحان اللغة العربية.

السؤال كان غريبًا نوعًا ما، فقد توقفت تانيلا كثيرًا عنده دون أن تكتب شيئًا.

يقول السؤال: اكتب نصًا تذكر فيه واجباتك نحو عائلتك ووالديك.

تانيلا تنظر إلى السؤال بشرود حتى إنها لم تشعر بالدمعة التي نزلت على خدها، لم تكن دمعة حزن أو اشتياق، بل كانت دمعة بلا شعور، مر الوقت المتبقي دون أن تكتب حرفًا واحدًا.

كان آخر سؤال في امتحانات البكالوريا وأول سؤال لم تجب عنه.

عند الانتهاء من الامتحان خرج الطلاب وهم في غاية الفرح من التحرر من أعباء الامتحان وكأن حملًا ثقيلًا سقط من على ظهورهم، إلا تانيلا والشاب فقد خيمت الكآبة على وجهيهما، حتى أن الشاب لم يستوقفها كعادته ليسألها كيف سارت الأمور معها.

*****

في العام 2016، لا أذكر تاريخ ذلك اليوم بالتحديد.. هذا ما كتب في المذكرة.

كان لقاءً غريبًا ومفاجئًا نوعًا ما، كعادتي نهضت يومها مبكرًا، كان أسبوعي الثاني في العمل وكادت خطتي تكتمل، كنت أرتدي ملابس العمل أحمل إسفنجة ومعقمات ليستوقفني شاب أسمر قائلًا بنبرة مفعمة بالشك: *لقد التقينا ثانية، مرت السنوات سريعًا!*

تملكني خوف شديد حينها وبدا عليّ الارتباك، هل اكتشف خطتي يا ترى؟ هل ستكون نهاية كل مخططاتي هنا وبهذه السرعة؟

"مذكرات بقلم تانيلا"

*****

عادت تانيلا إلى المنزل محطمة تمامًا، فتحت باب المنزل ودخلت في صمت على غير عادتها، دخلت غرفتها ثم غيرت ملابسها لتأخذ قسطًا من الراحة وما إن جلست حتى قامت من فورها متجهة لغرفة والدها للاطمئنان عليه، استأذنت ثم فتحت باب الغرفة لتجد شخصًا يقف داخلها، خيم الذهول في تلك اللحظة على وجهها.

كان العجوز مستلقيًا على سريره والشحوب يخيم على وجهه وجارهما الطبيب جالسًا أمامه يكشف عن حالته الصحية، لم تستوعب ما يحدث، في لحظة واحدة، لا بل في ثانية واحدة أصبح الكون كله معتمًا في عينيها.

راحت تسأل الطبيب وفي الوقت نفسه والدها بنبرة خوف وتوتر:

ما الذي حصل يا دكتور؟ ما الذي حدث لأبي؟ ماذا هناك يا أبي هل أنت بخير؟ أجبني ما بك؟!

نظر إليها الطبيب ولم يستطع قول شيء، بعدها أشاح نظره عنها والأسف بادٍ على وجهه.

تقدمت تانيلا بضع خطوات إلى أبيها ثم أمسكت بيديه الكبيرتين محاولة جاهدة إخفاء دموعها، فأخذ والدها يطمئنها بصوت خافت: *لا تقلقي يا بنيتي، لقد انخفض ضغطي قليلًا، سأستريح الآن وبعد أن أنهض سأكون على ما يرام.*

غادر الطبيب الغرفة مومئًا لتانيلا أن توافيه على انفراد كاشفًا لها أن حالة أبيها حرجة بعد أن عاد إليه المرض الخبيث من جديد.

*****

ارتميتُ على السرير والمشاعر المختلطة تتدفق مرة واحدة في روحي مع كل قطرة دم تمشي في عروقي، قلبي يكاد يخرج من صدري، حتى أنفاسي المتقطعة جعلتني أنسى كيف أستنشق الهواء، فالحزن أول من زارني منذ الصغر ولم يغادرني منذ ذلك الحين، من قال إن الألم يجعلك تشعر بأنك على قيد الحياة؟! إنه كاذب! فالألم يشعرك بأنك ميت تصارع الحياة.

احتضنتُ وسادتي وغمرت بها وجهي، بكيت بصمت ساعة متواصلة، جلست أفكر ماذا أفعل كي تعود لأبي عافيته، أو ماذا سأفعل بنفسي إذا قدر الله وأصابه شيء.

أما العجوز فقد منحته إبرة المخدر الذي انساب في جسده نومًا عز عليه في الفترة الأخيرة.

*****

هنا ستنتهي رحلتي في هذا العالم الكئيب والمرعب، في هذه اللحظات أكتب آخر حروفي ببقع الدم المتناثرة حولي التي تداخلت ألوانها وامتزجت بين الأحمر الدموي والأسود القاتم فامتزجت بشكل جميل ومخيف لتزيد من غرابة الغرفة التي أنا وسطها ألفظ آخر أنفاسي.

وسط هذا المشهد، كانت هذه آخر الحروف التي كتبتها تانيلا في مذكرتها، لم تكمل باقي ما كتبته، ربما دهمها الموت فجأة، ربما أنهت أو ملت من الكتابة، وربما انتهت آخر قطرة دم في جسدها.

"مذكرات بقلم تانيلا"

*****

ظلت تانيلا تعتني بوالدها وتقوم بتدليله كطفل صغير، اكتمل المشهد مع عناد والدها المتواصل خاصة عندما تلح عليه أن يجري العملية التي أوصى بها الطبيب، لكنه يستمر بالرفض لأنه يعرف أن نسبة نجاح العملية ضئيلة جدًا وهو يريد أن يكمل ما تبقى من حياته في بيته الدافئ المليء برائحة عطر زوجته المتوفية الذي يعج بذكرياتهما معًا.

بقيت تانيلا تأخذ والدها للتنزه مرتين في الأسبوع، يمرحان معًا ويغيران الجو لعل صحته تتحسن.

خرجت تانيلا من المنزل محتضنة يده لتساعده على المشي متوجهين إلى قبر أمها "زينب" بناء على رغبته، وفي طريقهما اشترى باقة جميلة من الياسمين الذي طالما أحبته.

عند وصولهما وضعت تانيلا الورد فوق القبر وفي عينيها نظرة اشتياق كبيرة، وبعد قراءة الفاتحة ودقائق من الصمت الحزين تنهد العجوز تنهيدة طويلة وقال بنبرة يغمرها الحزن: *لقد اشتقنا إليكِ كثيرًا يا جميلتي، اصبري قليلًا، فلم يتبق وقت طويل حتى آتي لأنام بالقرب منك ونتدردش سويًا كما كنا نفعل دائمًا.*

نظرت إليه تانيلا نظرة معاتبة ثم قالت له: *لا قدر الله يا أبي، أرجوك لا تقل كلامًا كهذا يؤلم قلبي!! فلا تزال أمامك حياة طويلة لنعيشها سويًا.*

لا تقلقي يا حلوتي، لن أذهب إلى أي مكان قبل أن أسعد بنجاحك في البكالوريا.

أمنيتي الوحيدة هي سعادتك وعدم تخييب ظنك.

من النهار الأول الذي رأيتك فيه وأنا فرح يا بنتي، وأتمنى أن تكتمل فرحتي بكِ، وأن أراك ناجحة في حياتك.

إن شاء الله يا أبي.

هيا، فلنذهب إلى البيت، لقد أوشكت الشمس على الغروب كما أنني جائع.

حسنًا يا أبي، أخبرني ما الذي تريده على العشاء لكي نشتريه من البقالة؟

أي شيء تطبخينه بيديك الناعمتين أكون متأكدًا من أنه لذيذًا يا صغيرتي.

*****

وصلا إلى البيت وأخذت تانيلا والدها ليستريح في غرفته، بينما راحت تعد الطعام الذي يحبه.

أصبحت دائمًا تُصعد الوجبات إلى غرفة والدها لكي يأكلا معًا لأنها لم ترد أن يتعب في نزوله إلى المطبخ، وبالتأكيد لن تدعه يتناول طعامه بمفرده، كانت تطعمه بيديها وتحرص دائمًا على إعطائه دواءه في الأوقات التي حددها الطبيب.

*****

مر شهرًا كاملًا وبدا التحسن ظاهرًا على وجه الأب أو هكذا ما كان يبدو عليه الحال، فقد كانت الابتسامة لا تفارق وجهه.

رن الهاتف فتوجهت تانيلا للرد على هذا الاتصال الذي يبدو مهمًا، فلا أحد يتصل الساعة السابعة صباحًا. علت وجه تانيلا الابتسامة وهي تسمع صوت المتصلة، لقد كانت أستاذتها "سلمى" التي لطالما أحبتها لرقتها وطيبة قلبها، والابتسامة التي تعلو ملامحها دومًا وكأنها تبث الطمأنينة بمجرد النظر إليها، فلطالما ساندتها في أصعب ظروفها.

لطالما حدثتها عن أنها تملك قدرة على تحقيق الكثير، وأن ما ينقصها فقط قليل من الثقة بالنفس، وأنها ستفعل شيئًا يؤرخه التاريخ يومًا.

أهلًا أهلًا أستاذتي، سعيدة لسماع صوتك.

أهلا جميلتي، كيف حالك؟

بخير حال الحمد لله، أتمنى أن تكوني كذلك.

بخير حال حلوتي.

أستاذتي، لا أقصد أن أكون وقحة، واتصالك هذا أنا حقًا سعيدة به، ولكن هل هناك سبب لاتصالك في هذا الوقت الباكر؟

ضحكت سلمى: *حذقة كعادتك، نعم معك حق، السبب وراء اتصالي بكِ هو أن أعلمك أنه سيتم إعلان نتائج البكالوريا غدًا وأريد من أعماق قلبي أن أتشارك معك لحظة معرفة نتيجتك، لأني واثقة بأنني سأفتخر بك كعادتي، ما رأيك؟*

ابتلعت تانيلا ريقها بصعوبة، فقد شعرت بمغص خفيف سببه التوتر، فالبكالوريا من أهم المراحل في حياة أي طالب، فحتى لو كانت واثقة من أدائها إلا أنّ لإعلان النتيجة هيبته.

تانيلا، هل أنت معي؟

مع.. معك أستاذتي!

ما خطبك؟ حتى نبرة صوتك قد تغيرت، إن كنت لا تريدين مجيئي فهذا يعود إليك، كما تشائين يا عزيزتي، فهذا طلب وليس أمرًا.

أرجوكِ، لا تقولي هكذا أستاذة سلمى، ستكون من أفضل لحظات حياتي أن أعرف نتيجتي وأنا معك ولكنكِ تعلمين ذاك الخوف الذي يصيب الجميع قبل معرفتهم بالنتيجة لقد استولى عليّ للحظات.

ردت عليها بنبرة أكثر جدية:

تانيلا، لن تخفقي، أعلم أنّ نجاحك هو توفيق من الله، لكن قدراتك كبيرة وأنا أثق بكِ لأني أعرف طلابي وقدراتهم جيدًا.

"يعطيك الصحة ريحتيني بهدرتك أستاذة، ربي يعيشك".

إن شاء الله جميلتي، إذًا نلتقي غدًا!

أغلقت سماعة الهاتف وهي تبتسم ولو أن التوتر لا يزال يتملكها.

توجهت إلى غرفة أبيها للاطمئنان عليه فوجدته نائمًا كطفل صغير، لم ترد أن تيقظه فسارت باتجاهه حافية وغطته جيدًا وطبعت على جبينه قبلة حنونة.

نزلت تانيلا إلى غرفتها متجهة نحو حاسوبها الذي كساه الغبار بعد أن أهملته مدة طويلة بسبب اعتنائها بوالدها والامتحانات، ثم جلست على الكرسي المجاور وهي تتأمل تفاصيله، أخذت تتحسس لوحة المفاتيح مبتسمة وكأنها تنظر إلى صديقها الوحيد، بل إنّه كذلك فلا رفيق لها غيره، سرحت بذهنها وهي تفكر في النتيجة.

كيف لها أن تنتظر حتى الغد كي ترى نتيجتها وهي غير صبورة؟ أفاقت فجأة من شرودها وكأن أحدًا ما وجه إليها صفعة بسبب الفكرة الجهنمية التي راودتها، سارعت إلى تشغيل حاسوبها ويداها ترتجفان توتراً منتظرةً بشوق ظهور ألوان الشاشة إيذانًا باشتعاله كي تنفذ فكرتها الكارثية.

بدأت أولًا بجمع المعلومات عن موقع مدرستها الرسمي، ثم استخرجت المعرف الخاص به بطريقة يدوية لأنها تستمتع باختراق اليدوي كونه أفضل من الأدوات الطفولية التي يستعملها المبتدئون في هذا المجال، فهي على عكسهم لم تكن مبتدئة بل كانت في قمة الاحتراف، استخرجت جميع المواقع الموجودة على الجهاز، ثم اكتشفت الشركة المستضيفة لخادم الإنترنت المستهدف، وأخيراً قامت بعمل عناوين من استضافة، وهكذا أصبحت لديها

لوحة التحكم كاملة وطبعًا أصبح بإمكانها رفع "الحماية" عن الخادم كلمسة أخيرة للاختراق ويصبح الموقع تحت يديها.

لم تكد تمر ربع ساعة حتى تمكنت من اختراقه، فقد كان ذلك أمرًا سهلا بالنسبة لها على الرغم من حمايته المتطورة التي لم يتمكن أحد من تجاوزها من قبل.

تانيلا، يا حلوتي أين أنت؟

فجأة انتبهت إلى نداء أبيها من غرفته العلوية، فصعدت إليه مسرعة حتى إنها لم تطفئ حاسوبها.

آسفة يا أبي، لم أكن أعرف أنك استيقظت.

توجهت نحو النافذة لتفتح ستائرها وهي تمازحه قائلة: *لقد أصبحت كسولًا يا سيد مصطفى ههههه!*

أجابها ضاحكاً: ***الله غالب يا ابنتي، جسدي لم يعد يقوى على فعل شيء سوى النوم والاستمتاع بالطعام اللذيذ الذي تعدينه.***

تقدمت تانيلا بكامل بهجتها ناحيته ثم ثبتت وسادتين مصنوعتين من القطن وراء ظهره بالترتيب، واضعة إياهما على شكل زاوية كي تسند كتفيه ورأسه، ثم مدت يدها نحو الطاولة المجاورة لتكسب له كأساً من الماء ليجرع دواءه الصباحي ثم قالت:

أبي، أريد أن أخبرك عن موضوع مهم.

تفضلي، كلي آذان مصغية.

في هذا الصباح، اتصلت بي أستاذتي سلمى للاطمئنان علي وأخبرتني أنه في الغد سيتم الإعلان عن نتائج البكالوريا، وأرادت مرافقتي للمدرسة كي نرى معًا نتيجتي النهائية.

حقًا! عزيزتي هذا خبر رائع، كثر الله خيرها وأنا أيضًا سأرافقك، كم أتوق لمعرفة نتيجتك مع أنني متأكد من أنكِ ستنجحين دون شك يا حلوتي.

صمتت تانيلا قليلًا والتوتر يبدو عليها لتبدأ بعدها دون أن تشعر بقضم أظافرها، أمسك بيدها ووضعها فوق يده الأخرى وهو يربت عليها كي يخفف من توترها، ابتسم بلطف ثم قال:

لا تقلقي بنيتي، أعلم أنكِ خائفة، ولكن سيذهب كل توترك غدًا لأن فرحة نجاحك ستنسيك إياه بإذن الله، فأنا لا أشك في نجاحك أبدًا، وأعلم أن ابنتي تلميذة مجتهدة.

تنهدت تنهيدة خفيفة وكأن حديثه أزال جبلًا كان قابعًا على صدرها ثم قالت بصوت خافت:

إن شاء الله يا أبي، شكرًا لأنك معي، لا أدري ما الذي كان سيحدث لولا وجودك في حياتي!

شردت تانيلا وهي تتذكر اختراقها موقع مدرستها، حيث وجدت الصفحة السرية لنتائج البكالوريا مخبأة بحرص وقد رتبت فيها أسماء الطلاب بحسب

الترتيب الهجائي لكن بعد قراءتها اسمها لم يسمح لها كبرياؤها بالغش، أو ربما والدتها زينب لم تسمح لها بعد أن شاهدت طيفها يؤنبها بأنها ابنة صالحة، ولن تفعل مثل هذا الفعل السيئ.

*****

ها آنذا مستلقية غير قادرة على النهوض من سريري، كمريض استيقظ من غيبوبة، لا يستطيع تحريك جسده، ليست لدي الجرأة للخطو خارج هذه الغرفة ولا حتى خارج هذا البيت، خائفة من مواجهة ما سيحدث لاحقًا، كطفل صغير متروك داخل قبو مظلم ينتظر أن ينقذ من الجحيم، سيتقرر مصير حياتي المستقبلية بعد ساعات قليلة من هذا اليوم على الرغم من أنه يبدو يومًا عاديًا لبقية الناس.

ساعات معدودة تفصلني عن مصيري، ها أنا أرقب عقارب الساعة المعلقة على الحائط تارة وساعة هاتفي الرقمية تارة أخرى، اشتد بي الضيق، لماذا لم يأت الصباح؟ لقد تأخر! ألعن نفسي مرارًا وتكرارًا، لماذا لم أرَ النتيجة بعد اختراقي ذلك الموقع الغبي!! لو عرفت نتيجتي لما عشت هذه الدوامة من الصراعات الداخلية التي تغرقني وتحكم الخناق على صدري، آه يا أمي، ليتكِ معي اليوم كي تخففي عني كل هذا التوتر.

لكن لا بأس، لن أحزن مهما كانت النتيجة، سأستمع دائمًا إلى نصيحة أمي العالقة في أذني كالحلق المرصع بالألماس: *"لكي تنجح يجب أن تتفوق رغبتك في النجاح على خوفك من الفشل"* لذا لن أخاف، سأكون قوية من أجلي، لا بل سأكون أكثر قوة من أجل أبي وأمي.

*****

مرحبا تانيلا أين أنت؟؟ أنا بانتظارك عند باب المدرسة لن أدخل إلا معك!

أهلًا أستاذتي، لقد أوشكنا على الوصول.

قالت موجهة الكلام لوالدها بصوت مضطرب: *أبي، أستاذتي اتصلت بي، لكن.. يا أبي نصفي يريد الذهاب والنصف الآخر يأبى.*

أجابها وهو يتكلم بصعوبة بسبب سعاله المتواصل قائلًا:

لا تتوتري يا ابنتي، ثقي بربك فلن يخذلك أبدًا.

دهمه السعال قبل أن يكمل حديثه فقالت بصوت مرتجف: *أبي، هل أنت واثق من أنك بخير؟ إذا كنت تشعر بالتعب فلنعد إلى المنزل.*

لا تقلقي يا ابنتي، أنا بخير، كما أنني أريد أن أفرح بنجاحك، ثقي بأني لن أتركِكِ وحدك أبدًا.

تأثرت تانيلا من حديثه واغرورقت عيناها بالدموع، طمأنها حديثه وكأنما أعطاها جرعة من الهدوء.

ها هي تصل إلى المدرسة التي استحالت إلى مكان مرعب، تسمرت مكانها بعد رؤيتها الطلبة، البعض يبكي والبعض فرح، وهم مشغولون بين عناق ومواساة وكأنه مشهد من مسرحية فانتازيا.

أخذت أنفاسها تتسارع ويداها ترتعشان وأسنانها تصطك، حتى رأت معلمتها تتقدم نحوها بابتسامة هادئة بثت الطمأنينة في قلبها المرتجف.

أمسك العجوز بيد تانيلا بعدما ألقى التحية على سلمى وتقدموا نحو باب المدرسة المزخرف بالأبيض والأخضر.

*****

"تستمر الحياة في تخييب ظننا وتحطيمنا إلى أشلاء، حتى نتيقن أنها ليست عادلة ولا دائمة، وبعد كل خيبة وكل جرح نستفق وتتفتح أعيننا على حقيقة جديدة"

كيف لا أذكر فرحتي في ذاك اليوم، فتلك كانت آخر فرحة في حياتي، أول شيء رأيته بعد دخولي المدرسة، سبورة كبيرة معلقة على الجدار ثبتت عليها أربع أوراق كتبت عليها أسماء الناجحين مع درجاتهم. لولا أبي لما استطعت أن أتقدم نحوها للاطلاع على نتيجتي.

تقدمي يا ابنتي، لا تخافي، ابحثي عن اسمك في الأوراق، أنت تعرفين أن نظري ضعيف.

إني أنظر يا أبي، لكن الكلمات تتحرك وحدها، لا أستطيع قراءتها جيدًا.

همست الأستاذة محاولة تهدئتي:

حسنًا، لا داعي للقلق، ولماذا أنا هنا إذًا، سوف أبحث عن اسمك هنا، انتظري فقط..

هنا لا يوجد، وهنا كذلك، وليس هنا أيضًا.

استمرت سلمى في البحث وهي تقرأ أسماء الطلبة بتمعن، أما تانيلا فوضعت يدها على قلبها بينما تضغط بالأخرى على أبيها كطفلة صغيرة خائفة من الضياع وسط الزحام.

فجأة صاحت سلمى مبتهجة بفرحة تغمرها وهي تضع إصبعها أسفل الورقة قائلة: *انظري يا تانيلا، هنا اسمك، هنا!! يا ربي لقد نجحت يا حبيبتي، تهانيّ الحارة.*

تقدمت تانيلا بتأنٍ نحو الورقة وقلبها يخفق بشدة وقد جف حلقها لتقرأ اسمها وتعود البهجة لتسري في جسدها من جديد بعد أن ظنت أنها لن تعود.

اغرورقت عينا تانيلا بالدموع، ثم عانقت والدها وهي تكاد تبكي، في تلك اللحظة استطاعت تانيلا أن ترى كم كان والدها فخورًا بها! ربما لهذا السبب انفجرت بالبكاء مع أن دموعها عزيزة لا تتدفق إلا للشدائد.

نظرت إلى والدها وفي عينيها الكثير من الكلام الذي لم ترد أن تبوح به، كاشتياقها لأمها وكم كانت تتمنى أن تشاركهما فرحة نجاحها! لكنها لم تشأ إحزانه.

لقد فعلتها يا حبيبتي، كنت واثقًا تمام الثقة بأنكِ ستنجحين، وسبحانك ربي كيف تقبلت دعائي، حتى إنك في المرتبة الثانية في المدرسة.

أنا سعيدة جدًا لأن تلميذتي جعلتني أشاركها هذه اللحظة المميزة، بالتأكيد لن أنسى أن أجلب لك هدية قيمة.

تضرج وجه تانيلا خجلًا وهي تقول: *لا داعي للهدية يا أستاذتي، مرافقتكِ لي أجمل هدية.*

امممم هكذا إذن! حسنًا يا حلوتي، هذا يعني أنه الغداء على حسابي في المطعم الذي أحبه.

*****

سرنا والسعادة تغمرنا وقد كان واضحًا أن سعادة والدي فاقت سعادتنا، ظلّ يلقي علينا جميع النكات التي يعرفها طوال الطريق حتى وصولنا إلى المطعم، لا أنكر أنني كنت سعيدة جدًا كطفلة صغيرة فرحة بثوب العيد، لكن كل تفكيري كان منصبًا على أمي رحمها الله، كنت سأكون أكثر سعادة لو كانت معنا الآن، لكن شاءت قدرة الله والحمد لله على ما شاء.

كان أول ما لمحته قبل دخولنا المطعم ورد الياسمين البيضاء الكبيرة، كم أحب رائحتها المتميزة العطرة التي تبث في النفس الطمأنينة، بالنسبة لي هي أفضل أنواع العطور، لفت نظري التصميم الرائع، فعند دخولك تجد ستائر مزينة بلؤلؤ أسود لامعًا جعله لمعانه وانسجامه مع التصميم يبدو حقيقيًا، حتى لون الطاولات أسود غامق كالشكولاتة الغامقة، المصابيح البيضاء أضافت رونقًا جميلًا، أما الكراسي فقد كانت وثيرة تجعلك تشعر كأنك في منزلك.

رفضتُ أن أجلس بجانب الشرفة على الرغم من المنظر الجميل الذي تطل عليه، فخوفي من المرتفعات منعني من ذلك، لم تمضِ على جلوسنا دقائق قليلة حتى توجه إلينا نادل يبدو في الخمسينات من عمره مقدمًا قائمة الطعام بابتسامة لطيفة، ثم وضع أمامنا جرسًا صغيرا وهو يقول: *عندما تقررون أي طبق تريدون تناوله اقرعوا الجرس فحسب، وسآتي في الحال.*

أبي طلب حساء السلمون وأستاذتي طلبت المعكرونة الإيطالية بالجبن، أما أنا فطلبت السمك المشوي مع السلطة وحبة من الليمون، كم أحب شكله المقرمش خصوصًا بعدما أعصر الليمون فوقه، حقًا لقد كان لذيذًا بشكل جنوني حتى الأسعار لم تكن باهظة الثمن على الإطلاق، بل كانت مناسبة بالفعل.

شكرًا لكِ كثيرًا يا ابنتي سلمى على الوليمة الرائعة، لن ننسى أبدًا هذا اليوم وكم كنا سعديّن فيه أنا وتانيلا معك، أتمنى لك الرضا لأني أعلم أنه ليست هناك سعادة دائمة لذا تمنيت لك الرضا عن النفس.

كم كلامك جميل ورائع سيد مصطفى! أتمنى لك الشيء ذاته.

هذه أفضل هدية تلقيتها في حياتي على الإطلاق، شكرًا جزيلًا أستاذتي، إنه أفضل يوم في حياتي.

ابتسمت سلمى ابتسامة تشي بالحماسة ثم قالت: *لا داعي لشكري، فكم احتجتُ لهذه النزهة، وحقًا قد أراحني الخروج معكما فقد كنت بحاجة ماسة للاستمتاع، والآن هيا أعطني قبلة وداع يا عزيزتي، واعتني بنفسك وبأبيكِ جيدًا.*

ردت عليها تانيلا بعدما قبلتها:

بالتأكيد سأفعل أنتِ أيضًا اعتني بنفسك، إلى اللقاء أستاذة.

*****

بعد مضي أسبوعين على نجاحها في البكالوريا أتت تدق بابي الساعة الثالثة فجرًا، ما بث في نفسي الخوف، كانت حالتها مزرية وقد أكدت نبرة صوتها المرتعدة وعيناها المغرورقتان بالدموع مخاوفي...

طلبت أن أرافقها إلى منزلها لأن وضع والدها بات متدهورًا، فطلبت منها بضع دقائق لأستبدل ملابسي!

أرجوك، أسرع ربي يخليك، أنقذه، لا تدعه يموت، أتوسل إليك!!

حسنًا، اهدئي، لا تخافي، أنا قادم.

لو لم تخبرني بالحال الذي كان عليه لأنبني ضميري، لست أقول إن موته شيء مفرح، فلم يكن موت أحدهم مفرحًا مع أنني قابلت الموت كثيرًا! لكن على الأقل لم يكن تأخري سبب وفاته، كان يعرف أنه سيموت، ولكنه حذرني من كشف ذلك لابنته المسكينة، قطعت وعدًا والتزمت به، فهذه كانت رغبته.

*****

تانيلا، انهضي يا ابنتي، أفيقي.

فتحت عينيها ببطء وهي تفركهما.

لماذا لم تنامي في غرفتك يا ابنتي! ستؤلمين ظهرك. قالها والقلق يطغى على ملامحه.

نهضت بروية من على الكرسي ثم تثاءبت قائلة: *لم أستطع الذهاب وتركك وحدك، فحتى لو ذهبت إلى غرفتي لم أكن لأستطيع النوم، لأن بالي سيبقى مشغولًا عليك.*

ابتسم بدفء قائلًا: *يا لك من ابنة صالحة، لطالما علمت أنك مختلفة تمام الاختلاف عن كل من عرفتهم في حياتي.*

بادلته الابتسامة، ثم ساعدته على الجلوس، وسكبت له الماء وناولته أدويته وهي تقول بمرحٍ: *هيا أبي، عزيزي، اشرب دواءك يا شطور كي أنزل للمطبخ وأعد لك الطعام الذي تحبه.*

ابتسم قائلًا: *حسنًا أستاذتي الصغيرة سأفعل.*

*****

في وقت لاحق من ذلك اليوم، كانت تانيلا في المطبخ الصغير تقطع البصل شرائح صغيرة، بينما كان والدها في غرفته يناجي ربه، ويحاول النهوض من سريره بصعوبة وهو يقاوم السعال الذي دهمه فجأة، تقدم نحو خزانة الملابس محاولًا الوصول إلى ظهرها بصعوبة فائقة، وبعدما تمكن من جلب مفتاح صغير ذهبي توجه نحو طاولته الصغيرة ثم فتح درجها السفلي وأخرج صندوقًا خشبيًا صغيرًا يملأه الغبار، من الواضح أنه لم يستعمل منذ زمن، جلس فوق سريره ونظرات الحسرة مسلطة إلى الصندوق، مسحه بيديه الكبيرتين ليتطاير الغبار من حوله ثم فتحه وهو يحاول مقاومة سعاله المستمر. وضع يده على قلبه مغمضًا عينيه من شدة الألم الذي اجتاحه، أخرج من الصندوق عقدًا أنثويًا رقيقًا فضيًا يتوسطه عقيق أحمر مزخرف، ظل يتحسسه حتى سقطت على خده دمعة حارقة ثم قال والشرود يسيطر عليه:

لقد حان الوقت.

أفاق من شروده عندما سمع خطوات تانيلا المتقدمة نحوه، راح يمسح الدموع التي انسابت من عينيه وهو يخبئ الصندوق بسرعة تحت وسادته قبل أن تدخل تانيلا بثوان.

فتحت تانيلا الباب وهي تحمل بيديها الطعام قائلة: *أبي حبيبي، حساء الخضار الذي تحبه.*

بدأ يضحك من طريقة تقديمها الاستعراضية للحساء ومع ذلك فقد كان الارتباك باديًا عليه: *آه، ما ألذ هذه الرائحة الطيبة!*

جلست إلى جانبه وراحت تطعمه كطفل صغير، لكنه لم يقو على المواصلة فقال بصوت منهك.

"صحيتِ، لقد شبعت يا بنتي".

ردت عليه بنبرة إصرار: *أرجوك يا أبي، لم يتبق الكثير حتى ينتهي الصحن.*

حسنًا، حسنًا، أيتها العنيدة، ملعقة واحدة لا أكثر!

أومأت إليه بابتسامة عذبة ثم قالت:

بل ملعقتان!

تبادلا نظرات التحدي ثم انطلقا في عاصفة من الضحك، وبعد أن أرغمته على إنهاء حسائه. شرد من جديد ثم قال بنبرة حزينة: تانيلا، أريد إخبارك بشيء مهم.

حسنًا يا أبي، سأغسل الصحون ثم آتي لندردش.

أمسك بيدها قائلًا:

كلا، إنه شيء مهم لا يمكنه الانتظار.

جلست أمام والدها والاستغراب بادٍ على وجهها، تنتظر أن يخبرها بالشيء المهم الذي لا يمكنه الانتظار.

طال صمته وهو يفكر من أين يبدأ حتى قاطعه فضولها: *أنا مستعدة لسماعك إن كنت جاهزًا يا أبي.*

أخرج الصندوق الخشبي من تحت وسادته وسط دهشتها: *من أين لك هذا الصندوق يا أبي؟*

نظر إليها من دون أن يجيب ثم قال:

هل تذكرين تلك القصة التي لطالما رويتها لكِ عن صديقين كانا كالإخوة وكافحا ليعيشا حياتهما بشكل مثالي؟

ردت عليه بنبرة حماسية: *بالتأكيد أتذكرها يا أبي وما زلتُ أنتظر منك أن تكملها؛ لكن ما دخل القصة بموضوعنا؟*

أجابها وهو يكافح سعاله: *سأروي لكِ نهايتها هذه المرة.*

لطالما تشوقت لمعرفة نهاية القصة، لكن حالتك لا تبدو بخير يا أبي، أشعر بأنك لست على ما يرام فلا داعي أن تتعب نفسك الآن، فما زالت أمامنا أيام كثيرة ويمكنك أن ترويها لي عندما تتحسن.

لا يا ابنتي، يكفي تأجيلًا، وأصغي لما سأقوله، لقد انتظرت سنوات طويلة لأجد اللحظة المناسبة، لكن الوقت نفد.

حسنًا كما تريد، لكن أولًا أخبرني ما قصة الصندوق؟ وما الذي يوجد بداخله؟

ستفهمين بعد قليل.

ابتلع ريقه بصعوبة وراح يروي:

كما تعلمين أن "جميل" وصديقه قد أصبح لديهما محلان لبيع الملابس بعدما تعبا كثيرًا وقد بات كل شيء رائعًا، ما عدا جميل، فقد تغيرت طباعه وبات مغرورًا، طائشًا، ومبذرًا ينفق معظم نقوده على الفتيات، واستئجار السيارات الفخمة وإيهامهن أنها ملكه حتى يتمكن من امتلاكهن، وفي كل مرة يقع فيها يطلب المساعدة من صديقه ويستعير منه النقود مع أنه لا يردها له أبدًا.

صمت قليلًا وهو يشيح بنظره نحو الحائط شاردًا في مخيلته.

لقد كنت أنا يا تانيلا. أنا ذلك الصديق، لم أيأس من جميل فقد كان أخ بالنسبة لي، ظللت متمسكًا به محاولًا أن أعيده إلى طبيعته التي عرفته بها لكنه أبى، لم أستسلم، كافحت كثيرًا من أجلنا، ولولا اجتهادي لما حققنا الحلم أو حتى نصفه.

عاد لشروده مجددًا ومعه دهمه شعور غريب بعدم القدرة على التنفس.

حاولتُ بشدة إنقاذه وإنقاذ نفسي، وأخيرًا بعد تعب طويل ونضال شاق تمكنّا من فتح شركة صغيرة.

توقف لحظة ثم ابتسم فرحًا وبدا منفعلًا، وقد اكتسى وجهه بحمرة قانية وهو يقول: *لم أصدق، لقد تحقق نصف حلمنا أخيرًا!! كنت سعيدًا بشدة.*

عادت ملامح الحزن لتطبع ختمًا أبديًا على وجهه وهو يقول:

لكن فرحتي لم تدم طويلًا بسبب مصلحة الضرائب، لم يكفني المال آنذاك فقد كنت تزوجت مؤخرًا بأمكِ زينب رحمها الله ونصف المال الذي ادخرته استأجرت به منزلنا، أما النصف الآخر فأخذه جميل عندما كان محتاجًا، لم أرَ أنها مشكلة فقد كنت معتمدًا على جميل بما أننا أصدقاء، فيمكنه إقراضي بعض المال للخروج من مشكلتي، فهذا ما نفعله لمساعدة بعضنا، صحيح؟ لم يدهشني رفضه إقراضي المال على الرغم من أنه لم يرجع لي نقودي، بل ما أدهشني هو طلبه!

استخرج المنديل من جيبه مجففًا جبينه الذي كان يقطر عرقًا، ثم أكمل: *طلب مني أن أكتب جميع أسهمي في تلك الشركة باسمه لكي يتحمل دفع الضرائب وحده، لم أفكر أبدًا بأنه سيخدعني ويسرق الشركة وفكرتي كذلك، لكن للأسف هذا ما حدث يا صغيرتي.*

ردت تانيلا بغيظ وعصبية:

يا ربي! كم هو وقح هذا الرجل! كيف يمكنه أن يفعل بك هذا؟ كيف يجرؤ؟

قاطعها قائلًا: *لم أكمل بعد يا ابنتي، يجب أن تكوني صبورة وقوية لسماع القادم، تمالكي نفسك.*

بدا الحزن والتوتر على وجهه وكأنه سيفجر قنبلة نووية في قلب صغيرته.

يا تانيلا، لا أعلم كيف سأخبرك بهذا، صدقيني هذا صعب جدًا عليّ، وسيكون أصعب عليك، لكن أريدك أن تعلمي أني لطالما أحببتك، ومهما كان الكلام الذي سأقوله صعبًا عليك فإياكِ أن تشكي في حبي لك أو حب أمك رحمها الله لك.

لاذت تانيلا بالصمت مسلطة عينيها على مشاعر الحيرة والخوف والتوتر وهي تحيط بوالدها.

أكمل حديثه وقد أشاح ببصره عنها خشية أن تهزمه عيناها كما هزمته في كل مرة فكر في البوح لها بالسر.

بعد استيلائه على الشركة، غير فيها كل شيء حتى اسمها، وأصبح شخصًا آخر تمامًا، فقد أعماه الطمع، وبات منحطًا إلى الدرجة التي أخرجته من عباءة الإنسانية، فقد ظن أن كل ما في الحياة يُشترى بالمال، بعد أربع سنوات أقام جميل علاقة غير شرعية مع خادمته التي أحبته بكل صدق، خاصة أنه أوهمها أنه سيتزوجها ويجعلها سعيدة فقط لينال مراده منها، وبعد أشهر قليلة حملت المسكينة، لكنه لم يقبل بحملها إطلاقًا، فكل ما يهمه كان كلام الناس حيال كيفية زواج رجل أعمال مهم مثله بخادمة مسكينة! صحيح لقد أصبح رجل أعمال مهمًا لأنه سرق فكرتي وجهدي وتعبي، لقد جعلت منه شخصًا مهمًا ودون ضمير في الوقت نفسه.

كان اسمها "آسيا" . لم تقو على العيش مع فضيحة كهذه، فكما تعلمين شرف الفقير أغلى من حياته، لا يُشترى ولا يباع، لم يكن لديها أحد لِيقف إلى جانبها ويساندها لا سيما أنها يتيمة، على الرغم من توسلاتها له، رفض أن يتزوجها، المسكينة كانت ترغب في إنجاب هذا المولود، وكل ما أرادته من هذه الحياة عائلة سعيدة تعوضها حنان أمها الذي فقدته، لكن جميل كان رافضًا تمامًا

فكرة الزواج من خادمته، وكل ما استطاع تقديمه هو السماح لها بالمكوث في بيته كخادمة إلى يوم الإنجاب.

صمت قليلًا ليسترد أنفاسه دون أن يستطيع أن ينظر في عيني ابنته:

في ليلة مرعبة من ليالي مارس/ آذار تجرأت أخيرًا على القتال من أجل حلمي، وأول خطوة أردت فعلها هي مقاضاة جميل على سرقته فكرتي وأسهمي في الشركة، أؤمن بأن الصداقة الحقيقية نادرة، قد تكون بين الأب وابنته، الأم وولدها، لكن بعد ما مررت به، أدركت أن الصداقة بين الغرباء ليست سوى مصلحة أو طمع أو جشع، لديها مسميات كثيرة وكلها سيئة، أما من يقول إن الناس تتغير، فأقول له: الناس لا تتغير، بل تكشف عن حقيقتها مع مرور الزمن.

ذهبت إلى بيته الكبير ذي الطوابق الثلاثة، وفي يدي ورقة جلبتها من المحامي كي أخبره أننا سنلتقي في المحكمة يوم غد، أخبرني المحامي أنه يمكنه أن يرسلها إليه من دون حاجة لذهابي، ولكنني رفضت، أردت مواجهته لكي أرى مدى تغيره!

صمت والغضب يسيطر عليه ثم واصل:

أتذكر أنني وجدت باب الحديقة شبه مغلق، فدفعته ودخلت مترددًا، توقفت قليلًا لأتنفس وأستجمع أفكاري وكل ما خطر ببالي هو تشجيع زوجتي الحنون، كان المنزل جميلًا جدًا، لم يسبق لي أن رأيت منزلًا بمثل هذا الجمال، إلا أنه كان بيتًا مرعبًا وقد أصابني بقشعريرة شعرت بأنها تجري في جسدي خصوصًا بعدما سمعت أنينًا وصراخًا يعلو ويختفي، أخذت أقترب من مصدر الصوت، وفجأة سمعت صوت خطوات من خلفي. لا أعلم لماذا أحسست بهذا الكم من الخوف، ربما لأني لم أعتد أن أدخل بيتًا دون

استئذان، يا إلهي، قلبي انتفض حتى كاد يتزحزح من مكانه لكن فضولي قد هزم خوفي، فاختبأت في أول غرفة وجدتها أمامي محاولًا معرفة مصدر الصراخ! انحنيت قليلًا وأخرجت رأسي ببطء حتى رأيته يقف هناك، نعم إنه جميل! كان التوتر باديًا على ملامحه وهو يغدو جيئة وذهابًا ويشد رأسه بيديه وكأن رأسه يكاد ينفجر.

فجأة توقف صراخها، وإذ بصوت رضيع يبكي، خرج الطبيب من الغرفة قائلًا: ألف مبروك سيد جميل، إنها فتاة، يجب أن أذهب الآن، لا تنس أن تنقل زوجتك للعيادة غدًا لتلقي المزيد من العلاج لأن مناعتها ضعيفة جدًا.

اختبأتُ مجددًا كي لا يراني الطبيب وهو يغادر، فوجئت من أن جميل لم يفكر حتى في الاطمئنان على الرضيعة، نسيت لمَ أتيت في الأصل! ومع ذلك لم أستطع الذهاب، شيء ما منعني، ربما تلك المسكينة المتروكة في الغرفة دون حول أو قوة، تأكدت من مغادرة جميل المنزل، فتوجهت لغرفة "آسيا" لكي أطمئن على حالها، فتحت باب غرفتها خائفًا خشية أن يأتي جميل، استجمعت كامل قوتي ودخلت ببطء. ويا الله، لا أستطيع نسيان هذا المشهد، كانت آسيا تحمل رضيعها بين يديها والدموع تغطي خديها، خيل إليّ أنها ستصرخ في وجهي. لكنها حين رأتني رفعت عينيها ببطء ثم نادتني بصعوبة طالبة مني التقدم نحوها، حين قابلتها كان وجهها مبتسمًا، تقدمت قليلًا لأرى وجه ابنتها، لقد كانت تشبهها تمامًا، جميلة مثل أمها وبريئة مثلها، خرجت الكلمات من شفتيها بصعوبة وهي تنظر إلى صغيرتها بحنان، وكان أول وآخر ما قالته هو: "تانيلا".

كانت الصدمة بادية على وجه تانيلا، صدمة امتزج فيها الغضب بالحزن والأسى والشفقة، صدمة جعلت الدموع تتوقف دون أن تدري إلى أين تذهب، كل هذا والأب لا يستطيع أن ينظر في عيني ابنته.

كان الأب يبدو مخدرًا وهو يستعيد تلك اللحظات، وكأنها تحدث أمامه الآن، إلى الدرجة التي دفعته إلى أن يشير بيده إلى جانب السرير وهو يقول: *كانت علبة دواء فارغة بجانبها وهي تحتضر بالمعنى الحرفي!! لم أفعل شيئًا لأنني حتى لو فعلت لم أكن لأقدر على إنقاذها، لن يساعدني لا المكان ولا الزمان، تأملتها فقط حتى لفظت أنفاسها الأخيرة، ما أصعب أن ترى روحًا نقية تعذب أمامك! كيف يكون حالك عندما تتعرض لصدمة يستحيل محوها من قاموسك!*

ضحك ضحكة هستيرية وهو يصرخ: *الانتقام، الانتقام، كلمة العدالة لا تنطبق إلا على المساكين فقط، إنها عدالة الموت والفقر والعذاب، أما معدومي الضمير فلا ينطبق عليهم إلا كلمة الحقارة، لقد انتحرت المسكينة خشية أن يقتلها جميل ربما بعد أن حطم نفسيتها طوال فترة الحمل، لم أستطع إنقاذها، كنت مصدومًا، حاولت إيقاظها دون جدوى، كان الأوان قد فات، صمتت للحظة بعد أن توقفت عن مناداتها. نظرت إلى الرضيعة المسكينة وهي تبكي وكأنها شعرت بأمها والمصيبة التي وقعت، فجأة سمعت جميل قادمًا نحو الغرفة وهو يسأل الخدم بعصبية ما هذا الصراخ، فقفزت من نافذة الغرفة دون تفكير تاركًا تلك الرضيعة مع الوحش في ذلك البيت المرعب.*

رفع حاجبيه ثم طأطأ رأسه ثم قال بصوت حذر: *انتظرت ساعتين أراقب المكان من شاحنتي الصغيرة محاولًا استيعاب ما حدث، أردت أن أنقذ الرضيعة من هذا الوحش، ومع ازدياد حيرتي لم أجد سوى السجائر فأخذت أنفث السجائر حتى أنهيت العلبة دون أن أدري، حتى رأيت سيارات الشرطة تنتشر أمام المنزل وفي محيطه، ناهيك عن سيارة الإسعاف التي أيقظت*

النائمين بصفيرها، لمحت المسعفين ينقلون جثة آسيا في كيس أسود إلى سيارة الإسعاف دون أن يرافقها أحد، كنت متجمدًا وكأني أشاهد فيلمًا سينمائيًا من أفلام الرعب والدراما، في ذاك اليوم رأيت الخوف مرتسمًا على وجوه الجيران بعد أن شعروا بأن ملك الموت كان في حيهم قبل ساعات.

شرد في مخيلته مجددًا ثم انتفض فجأة وهو يقول: *لقد خرج المجرم ووجهه مبلل بالعرق المتصبب من جبينه واتجه نحو سائقه الذي كان يقف أمام مدخل البيت، استيقظ فضولي، فنزلت من شاحنتي وتسللت نحوهما إلى أن اختبأت وراء جذع شجرة وارفة الظلال، ومن بين الضوضاء فهمت أنه سيخرج في الصباح الباكر مع سائقه، في تلك اللحظات خطر في بالي زوجتي التي تنتظر نتيجة لقائي بجميل، عدت أدراجي لأهاتفها وأخبرها أنني لم أقابله وأنني سأضطر إلى المبيت في مدينة أخرى لأن تاجرًا قرر أن يسدد دينًا كان قد اقترضه مني.*

تسمرت داخل شاحنتي حتى طلوع الشمس، لم يغمض لي جفن.

انتبه فجأة إلى السلسلة، فقال ويده ترتجف:

كانت هذه السلسلة في يدِ آسيا، كانت تحاول أن تضعها على عنق ابنتها قبل أن يدهمها الموت.

عادت القصة الحبيسة في صدره تندفع من جديد فكيف تصبر وقد ذاقت طعم حريتها لأول مرة! أعادته القصة إلى الشاحنة وأنسته أن السلسلة بين يديه:

رأيت جميل يخرج من المنزل حاملًا الرضيعة، في تلك اللحظة كان سائقه يخرج السيارة من المرأب، وما إن انطلقت السيارة، حتى شرعت في ملاحقتها عن بعد إلى أن توقفت أمام مستشفى الأمراض النفسية.

نزل السائق ليفتح باب السيارة لسيده لكنه لم ينزل، بل أعطاه الرضيعة وأومأ برأسه مشيرًا إلى باب الملجأ دون أن ينطق بكلمة، نفذ السائق أوامر سيده دون أن يرف له جفن، كأنها قطعة قماش.

لمعت في رأسه فكرة: *الآن فهمت لماذا انتحرت "آسيا"، بسبب خوفها من هذا الوحش، حتى إلقاء الرضيعة على الرغم من عظم الجريمة لا يقارن بإلقائها بهذه الطريقة أمام مستشفى مجانين.*

عادت القصة للاندفاع من جديد:

غادر جميل وكلبه المطيع تاركين الرضيعة للمجهول، وما إن غادرا حتى وجدت نفسي أركض نحوها، تاركا إياها بمفردها في ذلك البرد القارس الذي لا يستطيع تحمله رجل بالغ فما بالك برضيعة لم يمض على ولادتها 24 ساعة، كشفت عن وجهها، كانت نائمة، كملاك، لم أتمالك نفسي فصرت أبكي كطفل صغير، نزعت شالي وغطيتها. بقيت متسمرًا والأفكار تدور في رأسي، قررت ألا أتركها ولكن إلى أين وما موقف زوجتي؟ هل أستطيع أن أعيلها وأنا مفلس مهدد بالطرد من بيتي؟ تركت ورقة صغيرة كتبت فيها "اعتني بي أرجوك "تانيلا".

وأخيرًا، سمحت القصة الحبيسة لسجانها بالتحرك، لم يكن يدرك أن هذه القصة استولت على لا وعيه، وما إن تحرر من قيودها حتى وجه نظره إلى ابنته والخوف عليها يطغى على كل ذرة فيه.

كانت تانيلا ساكنة دون حراك فقد تدفق عليها نهر جارف من الصدمات جعلها تنسى أين هي!

وببساطته وطيبته التي جعلت منه أضحوكة لعدوه، ضم ابنته إلى صدره وهو يبكي:

أعتذر لأني تركتك على باب الملجأ ولم أصطحبك في ذلك اليوم إلى بيتك، أعتذر لأني تأخرت في تبنيك، أعتذر لأني لم أخبرك الحقيقة، أعتذر..

وضعت تانيلا يدها على فمه وحضنته بقوة، وهي تبكي بحرقة، ومع بكائها كان صدره يتقطع لكنه لم يكن يدري كيف يتصرف، كيف ينقذها وينقذ نفسه من هذا الألم! حتى جاء المنقذ، كان المنقذ هذه المرة هو الإرهاق والإعياء اللذين أصابا تانيلا من شدة بكائها فغطت في نوم عميق وهي تحتضن والدها الحقيقي.

جاهد الأب حتى لا يوقظها فلم يحرك ساكنًا.

نهضت تانيلا بعد ساعات ومن دون أن ترفع رأسها، قبّلت يد والدها، ثم قالت:
أبي حبيبي، أبي حبيبي، هل تسمعني يا أبي، مهما حدث أنت أبي وستبقى أبي.

عم الصمت الغرفة، فعادت لتقول:

أأنت غاضب لأني بكيت يا أبي! أعتذر إليك، أنت أبي، ومن تملك أبًا مثلك عليها ألا تحزن أبدًا.

بقي الصمت سيد الموقف ومعه عم هدوء مخيف، وما إن أزاحت جسدها لترفع رأسها حتى مال والدها إلى الخلف وعيناه شاخصتان نحو سقف الغرفة، فراحت تهزه بقوة قائلة:

أبي، أرجوك، أجبني يا أبي، لا تصمت لا تعاقبني هكذا، استيقظ!! هيا استيقظ يا أبي!! أرجووووووك!

خرجت من الغرفة راكضة بسرعة فتعثرت ليرتطم جسدها بالأرض بقوة، لكنها نهضت دون أن تفكر في تفقد موضع الارتطام، توجهت مباشرة إلى منزل جارها الطبيب لتدق بابه بكامل قوتها، ما أحدث ضجة هزت سكون الليل.

*****

ماذا لو كان هذا كله حلمًا؟ كيف يعقل أن يختفي أبي كلمح البصر؟ ماذا لو أنه لم يكن موجودًا في حياتي! نعم هذا منطقي لا يوجد تفسير آخر، ربما أنا الوحيدة التي على قيد الحياة في هذا العالم وكل من حولي مجرد صور ليس لها وجود! لماذا لا تجيبني الجدران؟ بالأمس فقط كنت تصرخين بوجهي لمنعي من فعل الأشياء التي تبرد قلبي، حتى أنك كنتِ تتآمرين مع ضميري ضدي! أين اختفت عيناك اللا مرئيتان اللتان كانتا توبخاني دون أن تنطق عندما أرتكب خطأ؟ حتى أنك كنت تؤنسي وحدتي فأين أنت الآن؟

آخر ما تبقى لي منه رائحته الزكية الملتصقة بثيابه التي أصبحت مدمنة عليها، وزوايا المنزل التي تحمل كل ذكرى سعيدة مررنا بها معًا، بات الاشتياق يخنقني وروحي الحزينة تحوم حول المنزل باحثة عن روحه لعلها تتواصل معه وتأخذني إليه.

*****

جثت على الأرض أمام والديها واغرورقت عيناها بدموع تساقطت على خديها الورديين كطفلة صغيرة، غير مكترثة بتراب المقبرة الذي لطخ ثيابها، راحت تحاول بكامل جهدها إخراج الكلمات الحبيسة فخانتها، انهارت باكية وهي تمسح شاهد قبر أبيها بيديها قائلة:

أنت الآن نائم مع حبيبتك زينب كما طلبت في وصيتك، وكم تمنيت لو أنك طلبت فيها وجودي إلى جانبكما، صدقني يا أبي، كل ما أريده الآن هو أن أنام بجانبكما ثلاثتنا، فنحن طيبون لا ننتمي لهذا العالم السيئ، لكن ليس قبل أن أحقق حلمك.

مسحت تانيلا دموعها بصمت، ورتبت الزهور على قبر والدتها، زحفت إلى أن توسطت قبريهما ألقت بجسدها بعد أن تمزق قلبها حزنًا ثم قالت وهي تهذي: *أنت السبب الوحيد الذي أبقاني حية بعدما توفيت أمي، والآن ليس لدي سبب كافٍ لأعيش من أجله، لم أكن أريد الكثير من هذه الدنيا، آمالي وأحلامي تحطمت، لكن، لا تشغل بالك عليّ، إني أبكي فقط لأنني سعيدة فأنا أعلم بداخلي أنه لم يتبق لي الكثير حتى نجتمع مجددًا، انتظراني كما فعلتما دائمًا، سأعتني بنفسي جيدًا تمامًا كما تحبان.*

غمرتها ضحكة ممزوجة بالدموع ثم أضافت:

وسأطفئ الأنوار كي لا ترتفع فاتورة الكهرباء.

تدفقت الدموع من عينيها بغزارة لكن البكاء هذه المرة لم يرحها، هيهات، البكاء لم يعد يجدي! ربما تحتاج إلى الصراخ، أو إلى صفعة تيقظها وتعيدها إلى الحياة من جديد، جاهدت لتنقذ نفسها من الغرق في بحر الحزن.

*****

باتت تانيلا تخشى النظر إلى انعكاس صورتها في المرآة، لأنها صارت تكشف عن وجه لم تعرفه من قبل، وجه ملأه الحقد والحزن والغضب والوحدة والألم، والانتقام اللذيذ.

كل ما شغل بالها هو الانتقام من الذي دمر حياتها وقضى عليها بعد أن سلب منها طفولتها، وها هو ذا ثانية يسلب ما تبقى من مستقبلها، أرادت تحطيمه، حتى خطرت ببالها فكرة تعطي لحياتها معنى، تمسكت بها على الرغم من أنها تخالف كل ما تربت عليه، فشرعت في الإعداد لها دون تردد، بدأت ببرمجة صفحة مزورة تمهيدًا لإرسالها إلى ضحايا مواقع التسوق، ليفاجئوا بتنبيه من المواقع يدعوهم إلى تدوين معلومات حساباتهم البنكية دون أن يشككوا في شيء، وبهذا تتمكن من جمع النقود التي احتاجتها لتنفيذ خطتها.

مرت ثلاثة أيام بلياليها ولم تنم صديقتنا سوى سويعات قليلة، تمكنت خلالها من سرقة 700 دولار، وعلى الرغم من أنه لم يكن المبلغ الذي رغبت في جمعه إلا أنه كافيًا نوعًا ما للشروع بالجزء التالي من الخطة.

بات الانتقام همها الوحيد، وأن تذيق هذا المجرم مرارة خطيئة غيرت مسارها، هل القدر من فعل بها هذا؟؟ هل حقًا خلقت لتكون حياتها بهذا الشكل؟!

تناقضات كثيرة تدور في عقلها الصغير الذي لم يستطع استيعاب كل هذه الصدمات، فأصبح الانتقام ملاذها الوحيد.

لم يعد لحياتها طعم بعد أن وجدت نفسها محاطة بالحزن وشاشة حاسوبها التي لا تبادلها الإحساس، عينٌ تدمع وأصابع ترتجف قهرًا، قلبٌ منكسر وعقلٌ صغير لم يستوعب معنى الوحدة والفقد والموت، أما الشاشة فلم تحرك ساكنًا وهي تنتظر أن تعزف أناملها لحنًا مشفرًا.

توقفتْ الدموع وحل ضجيج لوحة المفاتيح، ها هي تانيلا تقوم بما لم تفعله من قبل، تخاطر بجرأة كبيرة وتضغط على الأمر الأخير الذي سيغير الكثير من الأحداث، ربما ليس في عالمها لكن في حياة الآخرين.

غفت تانيلا على لوحة المفاتيح التي باتت صديقتها الوحيدة.

*****

استفاقت تانيلا ببطء على صوت منبه ذو رنة ضعيفة تبدو ملائمة لطرازه القديم، وبعينين نصف مغمضتين نظرت حولها لتجد نفسها نائمة في غرفة أبيها محتضنة وسادته التي تحمل رائحة عطره، نظرت إلى الساعة لتجدها الثامنة صباحًا فنهضت تغتسل وتغير ثيابها السوداء بثياب أكثر بهجة لتبدو جميلة.

"لأن هذا اليوم مهم بالنسبة لي".

وأضافت: *أقف الآن بالقرب من حلمك يا أبي..* "شركة جميل الجزائري للتصميم". *عند دخولي أحسست بأنني خارج البلاد، إذا كانت هذه مجرد شركة فكيف ستكون الجنة! السقف مرتفع جدًا، أما الأرض فلامعة لدرجة تمكنني من رؤية انعكاس وجهي الشاحب وعيناي اللتان أحاطتهما هالتان سوداوان، لم أنته من وصفه بعد، يجب أن ترى هذا بعينيك إنه لا يصدق يبدو كالحلم!*

يوجد مركز تجاري كبير مزين بأدوات زينة لم أر مثيلًا لها في حياتي، تَحف جنباته المطاعم الفخمة ومحال الملابس الفاخرة، تجولتُ قليلًا محاولة عدم جذب الانتباه ولكني لم أستطع اكتشافه أكثر لأن الوقت لم يكن

لصالحي، وكان قد قارب نصف يومي على الانتهاء ووجب عليّ إكمال مهمتي، كان هدفي خداع أحد الموظفين للحصول على معلومات مهمة عن الشركة، أو الحسابات الإلكترونية لعملائها لكي أستخدمها ضدهم، لأتمكن من القضاء على الشركة بأكملها! لكن الموظف الغبي كان حريصًا جدًا بحيث لم أستطع أن أظفر بكلمة واحدة تفيدني!!

*****

خرجت مسرعة من الشركة والعصبية الشديدة تتملكها، ثم توقفت لحظة وأخذت تحدث نفسها: *"يجب ألا أفقد الأمل، إنها محاولتي الأولى فقط، لا يزال لدي العديد من الطرق".*

لم تكمل كلامها حتى رأت مجموعة من الموظفين أمام مدخل الشركة، وفي المقدمة منهم رجل قصير ذو لحية بيضاء يوجه الموظفين بيديه كقائد فرقة موسيقية، كان يرتدي طقمًا مميزًا جعله يبدو كقبطان سفينة، وما إن انتهى من توجيه الموظفين البسطاء حتى توقفت سيارة فارهة فأدركت أن مسؤولًا كبيرًا قد جاء للتسوق.

ترجل السائق من السيارة بطقمه المرتب ليفتح الباب، كانت نظرات الموظفين وأنا معهم مرتكزة نحو السيارة، وهم ينتظرون نزوله للترحيب به، وضع رجله اليمنى على الأرض فرأيت حذاءه اللامع، وما إن وقف حتى لفت نظري رجل يرتدي بذلة فاخرة، ينظر إلى ساعته بملل، وكأنه لا يرى أمامه أحدًا، تقدم "القبطان" نحوه والابتسامة المصطنعة بحرفية تكسو وجهه.

"إنه هو! جميل"

تجمدت في مكانها، لم تستطع تحريك أي شيء، أحست وكأن روحها تلاشت، لم تستطع أن تشيح نظرها بعيدًا عنه، كيف ذلك وهو الوحش الذي قتلها وقتل أمها وملأ قلب أبيها حزنًا؟! سيطرت على عقلها فكرة واحدة وحسب.

"أستطيع أن أذهب إليه وأقتله الآن بيدي وأنهي كل شيء! لكن لا؛ لن أفعل! لأن خطتي ستفشل هكذا، سأعذبه ببطء ليموت على نار هادئة، مهلًا ما هذا؟ لمَ ينظر نحوي؟ يا ترى هل سمع ضجيج أفكاري؟ ألهذا السبب ينظر ناحيتي؟ إذا استطعت أن تقرأ أفكاري فأريدك أن تعلم أن نهايتك ستكون على يدي، أوه لا، هل شعرت فجأة بأن ابنتك البيولوجية تقف مباشرة نحوك!!"

بسط يديه عاليًا ناحية تانيلا وعلت وجهه ابتسامة عريضة تدعو للاحتضان، وكأنه يخبرها بابتسامته أنه يريد معانقتها، *"لكن ما به، لمَ فعل هكذا، ما الذي يحدث بحق الجحيم!"*

تساؤلات كثيرة هبت على رأسها كالرياح في ثوان قليلة فقط، حتى مر من أمامها شاب لم تتمكن من رؤية وجهه، فقد ذهب راكضًا إلى جميل معانقًا إياه بسعادة قائلًا بأعلى صوته: *"أبي اشتقت إليك!"*

أخ!، لدي أخ؟!

*****

وصلتْ إلى المنزل الساعة الرابعة والنصف مساء وقد تورمت قدميها من ارتداء الحذاء العالي الذي لم تعتد ارتداءه فترة طويلة، ألقت حقيبتها على أقرب مقعد، وتوجهت إلى غرفتها وألقت جسدها على سريرها فشعرت براحة شديدة، كان البيت باردًا للغاية مع أن الجو معتدل، قالت في نفسها: ربما كان

الفراغ هو الموت، لذلك بات البيت دون حياة، مظلمًا مع أن أنواره مضاءة، باردًا مع أن الجو دافئ، حتى الوجود فيه يشعرني بعدم الاستقرار وكأني لم أعش هنا يومًا، الأسوأ من كل الذي يحدث حينما يمر شريط ذكرياتي الجميلة التي قضيتها هنا وقد باتت الآن مجرد ذكريات حزينة. فالذكريات مؤلمة وإن كانت سعيدة.

ثم توقفت فجأة ورفعت رأسها إلى السماء: *شكرًا لك يا الله لأنك تنصت إلي، فلم يعد لدي أحد غيرك.*

فجأة جاء المنقذ من مكان لا يخطر على بال.

أيقظتني عصافير بطني الصارخة جوعًا، فراح عقلي يفكر في طريقة لإسكاتها، لم يتبق لي مال كاف لأشتري به الطعام، الدولارات التي جمعتها صرفتها على الأداة اللعينة التي اشتريتها من "الديب ويب" لكن خطتي لم تنجح بسبب ذاك الموظف الغبي!! جسدي مرهق وعالق في تلك اللحظة التي رأيت فيها أخي، هل فعلًا يستحق كلمة أخي؟ يا ترى هل يشبهني؟ هل هو شرير مثل والده أم هو طيب مثلي؟ أنا طيبة أليس كذلك؟ يبدو أنني أصبت بالجنون، دعيكِ من كل هذه التفاهات يا تانيلا يجب ألا تفكري كالبشر، اقتلي مشاعرك، ربما أستطيع أن أقتل مشاعري الحزينة لكن شعوري بالجوع لا يموت، يا إلهي كم أنا جائعة.

كان الجوع طيبًا فقد أنقذها من دوامة التفكير التي غرقت فيها، أخذت تبحث بين بقايا الطعام حتى وجدت ما يسد رمقها.

جلست على كرسيها الوثير الذي اختارته خصيصًا لمهمتها فلم ترد أن يؤخر خطتها أي شيء حتى لو كانت جلسة غير مريحة، لأن مهمتها الآتية قد تتطلب

وقتًا طويلًا، قامت بإعادة تزويد جهازها بالأنظمة التي تبقي الشرطة المعلوماتية بعيدة عن تقفي عنوان "الجهاز اللاسلكي" الخاص بها، وراحت تشاهد مقاطع الرعب الحقيقية داخل الغرفة الحمراء الدموية التي تعد من أخطر المواقع الموجودة في الإنترنت المظلم الذي يعد الجزء الكبير من الإنترنت العميق حيث تكمن الحقيقة، من إحدى مميزاته أنه لا يظهر في محركات البحث التقليدية، كونه يحتاج لبرمجيات خاصة للدخول إليه والمهمة منها التي تستخدم لإخفاء الهوية، وهو المكان الأنسب لجميع أنواع النفوس المريضة وما أكثرها.

*****

استيقظتْ في صباح اليوم التالي بصعوبة، وفتحت عينيها بتكاسل شديد، وأخذت تتأوه بسبب التشنج الذي أصاب ظهرها، ذهبت لتغتسل بماء ينعش روحها ثم ارتدت ملابس جديدة، سرّحت شعرها الطويل ورفعته ثم ثبتته بدبابيس، جلست على الأريكة في غرفة المعيشة ممسكة برأسها بين يديها، حتى ذهب تفكيرها فجأة في اتجاه آخر، قامت من مكانها بكامل سرعتها وأخذت حقيبة يدها الصفراء معها إلى مغامرتها التالية.

*****

بينما الجميع منشغلون بأشيائهم الخاصة في هذه الشركة الكبيرة كانت تانيلا تسعى لتحقيق انتقامها، جالسة في صالة الاستقبال منتظرة دورها للدخول إلى تلك الغرفة التي ستكون جزءًا كبيرًا من انتقامها، سافرت بها التصورات والخيالات لتشكل في عقلها أفكارًا سلبيةً جعلتها متوترة، أرادت أن تجمع شتات أفكارها لتركز على المرحلة القادمة، فتنهدت بعمق وقالت محدثة نفسها:

"أنت قوية يمكنك فعلها".

لم تكمل حديثها المشجع، فإذ بها ترى السكرتيرة قادمة نحوها وبيدها دفتر صغير تنظر خلاله وتنادي على اسمها المدون عليه قائلة:

"الآنسة تانيلا، أنت التالية".

ها أنا ذا ثانية في هذه الشركة التي قدر الله أن أزورها مجددًا وقد تكون زيارتي لها هذه المرة طويلة.

هل لديك خبرة في التنظيف؟

أدركت تانيلا خطورة السؤال بعد أن تذكرت الطابور الذي ينتظر دوره في الخارج، فقررت قول الحقيقة كما قال الشهير محمد علي كلاي *"إن أسلوبي في المزاح هو أن أقول الحقيقة فهي أطرف نكتة في العالم".*

كلا، أنا هنا في مهمة سرية خطرة، في الحقيقة سأعمل هنا حتى أستولي على الشركة وأصبح رئيستها.

تسمرت مديرة الموظفين بعد سماعها الإجابة وعلت وجهها ملامح الجدية. قبل أن تضحك وهي تقول بحماسة:

لقد أعجبت بخفة دمك يا فتاة!

وأضافت بنبرة مفعمة بالشك:

يا إلهي على أساس أنكِ توقعت مني تصديقها!!

ردت تانيلا بثقة: *في الحقيقة هذه أول مرة سأعمل بها لكني أعدك أن أكون جيدة في التنظيف، فمنزلي بعد وفاة والداي يقع كله على عاتقي.*

رمقتها مديرة الموظفين "فاطمة" بنظرة شفقة، ثم ردت عليها بابتسامة تعلو وجهها البشوش: *آه منك يا ابنتي، أتعلمين أنك تشبهين ابنة أختي كثيرًا، صريحة، جميلة، ووقحة أيضًا.*

ابتسمت دون أن تنبس ببنت شفة، فهي لا تعرف كيف تجيب على الإطراء.

حسنًا إذن، مبارك، ستباشرين عملك غدًا.

غدًا؟ حقًا!

ردت فاطمة بمزاح ممزوج بالقليل من بهارات التهديد: *نعم عزيزتي، إلا إذا كنت تريدين مني استبدالك بشخص آخر!*

توترت تانيلا فأردفت قائلة بسرعة كبيرة: *سأكون موجودة صباحًا، أنا حقًا أشكرك.*

همت بمغادرة الغرفة، ثم توقفت:

سيدة فاطمة، ليس لدي شيء لأفعله اليوم هل يمكنني البدء الآن؟

نظرت إليها فاطمة من أسفل نظارتها الطبية وهي تقول: *لم أر يوما شخصًا متحمسًا للتنظيف، على بركة الله إذن، تعالي معي سأريك الطريق.*

أخذتها فاطمة لتريها المكان، ومن ثم أعطتها طقمًا جميلًا كالذي ترتديه الخادمات، مع ربطة عنق صغيرة أضافت إليه لمسة لطيفة.

*****

تعرفت في يومي الأول على فتاة بدت مرحة لكنها ثرثارة جدا، اسمها "شيماء" خديها منتفخان كالبطيخ، سألتني العديد من الأسئلة إلا أنني لم أجبها على أي منها، كل ما قمت به هو الإيماء برأسي، لم أرد أن تقترب مني كثيرًا فالاحتياط واجب.

لم يحدث أي جديد سوى أنني عملت كثيرًا حتى أصبت بالإرهاق، قبل خروجي من الشركة اضطررت لسؤال زميلتي "شيماء" عن الراتب لأني نسيت هذا الأمر كليًا، لولا حاجتي له لما سألتها، فيكفيني التقرب خطوة من انتقامي الكبير، فوجدتها فرصة لطرح المزيد من الأسئلة المتطفلة، إلا أنني استغللت ذكائي بتوجيهها إلى موضوع آخر.

*****

عدت إلى منزل لأتفاجأ بجارتنا "حكيمة" تقف عند باب البيت ممسكة بقدر صغير فربتت على كتفها: *أهلا خالتي "حكيمة" خيرًا ما الذي أتى بك؟*

استدارت الجارة وقد اكتسى وجهها بعلامات الارتياح قائلة: *أخيرًا أتيتِ يا ابنتي، لقد خشيت أن يكون قد أصابكِ مكروه.*

علت وجهها ابتسامة دافئة وأضافت: *كما أنني أحضرت لكِ بعض الشوربة، هيا أمسكي بسرعة إنها ساخنة.*

مدت تانيلا يدها بتردد يمتزج بالخجل: *حقًا، لا أعرف كيف أشكرك! صدقوا الجيران عندما قالوا عنك دواء لكل داء.*

في الصباح الباكر دقت تانيلا باب الجارة التي فتحته بابتسامة بشوشة، فبادرتها تانيلا بابتسامة مماثلة ثم أعطتها القدر الفارغ مضيفة إليه كيسًا من الكعك الطازج، كما درجت العادة في الجزائر.

*****

لا شيء جديدًا أو مميزًا يستحق الذكر اليوم، لم يأت "جميل" للشركة ولا حتى ابنه الغريب الذي لم أر وجهه حتى، "*استمتع جيدا فأيامك الممتعة على وشك الانتهاء.*" هذا ما قالته بينها وبين نفسها.

أومأ أحد الزبائن بإشارة من رأسه مناديًا إياها، لكنها لم تنتبه إليه فانهماكها في العمل أفقدها تركيزها. أكملت حديثها بينها وبين نفسها شاردة كأنها تسترجع ذكرى بعيدة، وفي آخر لحظة أيقظها صوتًا عاليًا ليجذبها من قاع الشرود الذي كانت تغرق فيه، فذهبت مسرعة نحوه ملبية طلبه قبل أن ينتبه المدير ويوبخها فهو مشهور بطباعه الحادّة.

اجتهدت بالعمل كما لم يفعل أحد من قبل حتى استنفذت طاقتها خوفًا من أن يتم طردها قبل أن تنفذ خطتها، واستغلت الثرثارة شيماء كي تغطي عنها بينما تذهب للتعرف إلى زوايا الشركة لعلها تجد ثغرة تمكنها من تنفيذ خطتها بطريقة مختصرة.

تخطو خطواتها الواسعة بحذر وكلها ثقة بنجاح مخططها، تراقب الأجواء كالأسد الذي يراقب فريسته قبل الانقضاض عليها، يخنقها ازدحام الموظفين

وطاقاتهم السلبية المنتشرة في المكان التي اختلطت بالهواء، فتهرب بكل سرعتها نحو أول منعطف لتجد نفسها تقف عند باب المركز التجاري، تتوقف برهة لتستنشق بعض الهواء النقي لعل أزيز بطنها يهدأ، ثلاث تنهيدات كانت كفيلة بتحقيق أمنيتها لتجعلها حقيقة.

وأخيرًا وجدته!!

*****

أنهيتُ دوامي وتوجهت إلى البيت مستمتعة بقطرات المطر الصافية التي كانت تطرق كتفي قطرةً قطرة، جالبة معها جميع روائح الطبيعة التي أحبها، التراب والأزهار، كم أحب المطر عندما لا يكون متوقعًا وممزوجًا بغروب الشمس ليزيد من جمال غروبها، الهدوء الذي سيطر على الشارع ساعدني على فرز أفكاري، بالطبع كيف لم يخطر ببالي "الصراف الآلي"، فمن الطبيعي وجوده مع توافر المركز التجارية داخل الشركة، إنه ورقة حظي**!!** يمكنني استخراج معلومات الموظفين لعلي أجد ثغرة تساعدني في الاستيلاء على الشركة مثل حساب البنك الخاص بالشركة، لكن لا أظنهم بهذا الغباء حتى يدخلوا معلومات مهمة كهذه إلى الصراف الآلي، ومع ذلك لا مانع من المحاولة**!** لكن لاتزال تنقصني الأداة التي ستمكنني من استخراج المعلومات التي بداخله فمن دونها لا يسعني فعل شيء.

أسرعت إلى المنزل فور أن لمعت في ذهني فكرة بدت لي معقولة، دخلت منهكة القوى أكاد لا أقوى على تغيير ملابسي ولم تكن لدي رغبة في الأكل، توجهت مباشرة لغرفتي فجلست أمام صديقي الوحيد الذي يفهمني أكثر مما أفهم نفسي، انتظرت اشتعال ابتسامته الزرقاء، ومن ثم دخلت إلى نظامي

المفضل "الكالي لينكس" ثم دخلت إلى متصفح الـ "tor" بعدما طبعت كلمة السر، بعدها جلبت روابط الديب ويب للدردشة كي أبحث عمن لديه تلك الأداة، فالتفاوض هو الحل الوحيد الذي تبقى لي، ولم أكن بحاجة إلى دعوة من أحد للدخول إلى هناك لأني امتلكت معظم كلمات المرور للمواقع السرية والمحظورة بعدما نجحت في تحدٍ قديم تحت اسمي المستعار "سيكادا".

لطالما كنت من محبي حشرة السيكادا التي يخشاها الكل، فرغم صغر حجمها فإنها ذات عقل انتقامي خطير وتمتلك من الصبر ما لا يملكه راشد، بوسعها التخطيط لسنوات طويلة دون كلل، وفي اللحظة التي تجدها مناسبة تنقض على عدوها دون شفقة.

أدخل إلى الديب ويب وأتعمق أكثر، هذا الموقع ذو الواجهة الصفراء كتابته تشير إلى أنه روسي، لطالما أثارت إعجابي الحماية القوية التي يتمتع بها، ولن أقول أنني شعرت بالحزن من أجل مالكيه عندما تم اختراقه، فلا بد من أن المخترق أذكى من الذي صممه وجعله بهذه الحماية، حاولت التحدث مع أربعة أشخاص، لكن لم يفهم منهم أحد ما قلته، فهم لا يجيدون إلا اللغة الروسية، ولحسن الحظ أو "سوئه" اسم الأداة وحده كان كفيلًا بأن أحصل على إجابة واحدة "no!".

لا بأس لن أستسلم، فخروجي من موقع واحد خالية الوفاض لا يعني أنني فشلت، سأواصل البحث حتى أجدها فلطالما آمنت بمقولة أبي رحمه الله *"ولأن أردت من الزمان مراتعًا، فاعمل على صد الشواغل كلها "*

*****

مرت ساعة كاملة دون أي نتيجة، تطرق بأصابعها فوق الطاولة وتتنهد بعمق مغمضة عينيها، موقع أخير وفرصة أخيرة، متأكدة من أنه سيكون السبب في إيصالها للأداة لكن ليس قبل أيام بحجمه الكبير، أخذت تشرب الماء علها تبعد عنها الفكرة التي واتتها لكن دون فائدة، فقد اتخذت قرارها منذ الوهلة الأولى التي وقعت بها عيناها على واجهة الموقع.

لم تمر نصف ساعة حتى وصلتها رسالة في الخاص من مجهول الهوية، لكن تغلب عليها النوم وجرها معه إلى ظلامه.

استفاقت تانيلا لتجد نفسها نائمة على الكرسي كعادتها، اعتدلت في جلوسها بصعوبة مع بعض الشعور بالألم في الظهر حتى وجدت حاسوبها مضاء فتذكرت أنها نسيت إطفاءه، فركت عينيها لكي تصحو من النوم ثم مدت يديها نحو الحاسوب لإطفائه قبل ذهابها للعمل حتى لمحت الرسالة التي وصلتها ليلة أمس من ذلك المجهول الذي كان اسمه المستعار "كازانوفا" فعلمت أنها بخصوص الأداة، فرحت كثيرًا لأن الفكرة التي خطرت ببالها ليلة أمس لم تخب ظنها فقد حثتها على اختراق الموقع وتغيير عنوانه إلى اسم الأداة مع اسمها المستعار، قاصدة بهذا أن كل من يمتلكها يحادثها فورًا، وها قد حدث ما تمنت حدوثه.

دون وعي منها طبعت على لوحة المفاتيح كلمة "hi" مرحبة به وراجية أن يكون متقنًا للإنجليزية، لم تمر دقيقتان حتى رد عليها متسائلًا باللغة نفسها: *"هل تبحث الأداة؟"*

فطارت فرحة بفهمه اللغة دون اضطرارها للجوء إلى الترجمة فأجابته:

"*yeah i need it*"

"الأداة معي.. لكن لا يوجد شيء دون مقابل".

أخذا يتحدثان مباشرة بدون رسميات وكأنه هو الآخر كان ينتظر أحدًا ما كي يستغله لمصلحته.

ردت عليه قائلة: *حاليًا لا أمتلك المال الكافي لأدفعه لك خصوصًا أنها باهظة الثمن، لكن بإمكاني أن أخترق لك أي موقع أو أي شيء تريده مهما كانت صعوبته.*

يبدو أننا سنتفق لأني لست بحاجة لنقودك صديقي! أريد منك مقابل آخر.

ابتسمت ابتسامة تشي بالحماس ثم كتبت له باستغراب: *إذن ما الذي تحتاجه مقابلها؟!*

أريدك أن تدخلني للغرفة الحمراء.

ستون ثانية مرت دون أن تجيبه بكلمة، راحت تفكر في طلبه الغريب والخطر، فكرت قليلًا واحتارت كثيرًا ثم ردت: *هذا مستحيل، ما تطلبه مستحيل!!*

وأخيرًا أجبت! ظننتك قمت بحظري.

اطلب شيئًا آخر.

لقد قلت طلبي، لن تحصل على الأداة إن لم توافق عليه.

أجننت؟! هل تريد من تلك العصابة أن تعلنني فتاة خائنة؟ ثم ماذا؟! يقومون بإطلاق رصاصة وسط رأسي مثلما يفعلون مع كل خائن؟

فتاة خائنة؟ مهلا لحظة هل أنت فتاة؟

مالت زاوية فمها بضحكة ساخرة ثم كتبت: *لا أظن أن هناك شابًا يطلق على نفسه اسم "سيكادا"*

رد ضاحكًا: *ولا أعتقد أيضًا أن هناك أنثى تسمي نفسها تيمنًا بحشرة.*

لا يهمني ظنك، ولست هنا لأدردش معك في خصوصياتي، كل ما أحتاج إليه هو تلك الأداة التي بحوزتك وسأدفع مقابلها بعد أيام قليلة، أو حتى يمكنني أن أخترق لك أي شيء تريده كما قلت لك سابقًا.

شبكت يديها ثم تنهدت وتمنت أن يوافق على طلبها وتنتهي هذه اللعبة، مرت ثوان فكان رده: *لا.*

انسي الأمر لن أعطيك أي شيء، عندما تقررين إدخالي للغرفة الحمراء يمكنك محادثتي، وداعًا.

*****

توجهتْ للعمل متخلية عن عقلها مع طلبه الصعب حدوثه، شاردة الذهن طيلة اليوم مفكرة في عرض "كازانوفا" غير مكترثة بالعمل ولا مدير العمل، لمحت الثرثارة "شيماء" علامات الشرود التي بدت على وجهها فاستغلت الفرصة لفتح حديث معها بقولها: *ما الخطب يا تانيلا؟ هل تشعرين بالمرض؟*

استفاقت تانيلا من شرودها وردت دون مشاعر: *أهلًا، لا أبدًا أنا بخير حال، شكرًا على سؤالك.*

لا تعاندي يا فتاة، اسمعي، إذا كنتِ تشعرين بالمرض سأقوم بالتغطية عليك ويمكنك الذهاب إلى المنزل لترتاحي.

عادت تانيلا إلى بيتها منهكة من التعب، سخنت عشاءها ثم توجهت إلى غرفتها ووضعت الصحن فوق طاولة حاسوبها لتأكل رفقة صديقها الوحيد، راحت تحادثه كعادتها *"هل أقبل عرضه يا ترى؟"*

تنهدت وراحت تردد وراء كل لقمة تأكلها *"نعم، لا.. نعم.. لا.."* حتى أنهت طعامها وتوصلت إلى الحل الذي لا يوجد حل آخر غيره.

فتحت غرفة الدردشة الخاصة به، تنظر إليها صامتة وألف كلمة تجول بخلدها لكنها لم تكن مفيدة لكتابة جملة تعبر عما يخطر ببالها، وفجأة ظهرت النقاط الثلاث التي تبين أنه يكتب رسالة، فأقفلت الغرفة بسرعة قبل أن يلاحظ أنها كانت تنتظر منه أن يراسلها.

هل فكرت بعرضي يا جميلة؟

قضمت أظفارها ثم جلست باعتدال وراحت تكتب: *أجل لقد فكرت جيدًا وما زلت مصرة على قراري، فلتطلب شيئًا آخر!*

حسنًا إذًا، لا داعي لأن يضيع أحد منا وقت الآخر، دمتِ سالمة.

لعنته داخل قلبها ثم كتبت بسرعة: *انتظر، رجاء لا تغادر!!*

انظري لا داعي للخوف، صدقيني لن يتمكنوا من إيذائك، كل ما عليك فعله هو إدخالي هناك وأقسم لك أنني لن أذكر اسمك، كل ما سأقوم به هو استخراج بعض المعلومات التي أحتاجها.

كان الشك يدب داخلها تجاهه وعلى الرغم من ذلك جعلها كلامه تتردد فيما إذا كانت ستثق به وتعطيه مراده، أم تبتعد وتخسر الأداة وانتقامها معها!

هل أبدو لك غبية كي أثق بشخص تحدثت معه بضع كلمات فقط؟ ثم لماذا أنت متأكد من أنهم لن يستطيعوا إيذائي مثلما فعلو مع الآخرين؟

فلنكن صريحين، لا يوجد لديك حل آخر غيري لذا فنحن متساويان، كما أنني لست مجنونًا كي أشي بك بعد أن تساعديني على الدخول إلى هناك، هيا أعطيني فرصة كي أجعلك تثقين بي!

هل أنت جاسوس متخفٍ أم تاجر مخدرات؟ وبالمناسبة كسب ثقتي ليست بالأمر السهل.

ههههههههههه، يبدو أنك تكثرين من مشاهدة الأفلام، لا هذا ولا ذاك يا عنيدة، ما رأيك أن أرسل الأداة إليك كبداية، وبعدها تدخليني إلى الغرفة الحمراء، سأقوم بإعطائك كلمة سر الأداة كي تتمكني من استعمالها ونكون قد ضربنا عصفورين بحجر واحد!!

فكر في طلب آخر غيره رجاء.

لقد أخبرتني البارحة أنك تستطيعين اختراق أي نظام.

هذا صحيح، لماذا؟!

إذًا هل تستطيعين اختراق بنك يقع بالجزائر من أجلي؟!

أصابها الذهول من طلبه، فتوقفت عن طباعة الأحرف برهة، لم تشك للحظة بأنه عربي، فطيلة الوقت كانا يتحدثان باللغة الإنجليزية، غيرت اللغة من ثم طبعت بالأحرف العربية قائلة: *أنت عربي؟؟*

فسألها بالعربية: *يا لمواهبك المتعددة، أتتحدثين العربية أيضًا!!*

لم تجبني بعد، هل أنت عربي؟ جزائري صحيح؟

مع الأسف هذا صحيح، ماذا عنك؟

فركت جبينها ثم كتبت بسخرية:

إن أخبرتك هل ستعطيني تلك الأداة؟

أجابها ضاحكًا: *هل أبدو أحمق لهذه الدرجة؟ أنت تحلمين!!*

وأنا جزائرية مثلك، كما أنني أفتخر بأصلي على عكسك.

سعيد لسماع هذا، أقصد لقراءة هذا.

استفزني كلام الأحمق المدعو "كازانوفا"، سأخترقه على الرغم من أنني مرهقة، لكن هذا سيضع سخريته عند حدها.

حاولت استخراج البروتوكول الخاص به، لكني لم أستطع فحمايته كانت قوية، رحت أفكر في كيفية تمكنه من حمايته بهذا الشكل العبقري *"ربما يكون محترفا أكثر مني وقد نكون متساويان في عبقريتنا"* لم تكمل حديثها حتى وصل إشعار الأمان إلى جهازها منذرًا بأن أحدًا ما حاول اختراقها لكنه لم ينجح.

توجهت مسرعة لغرفة الدردشة الخاصة به وكتبت بسرعة: ما الذي تحاول فعله يا ذكي!

ماذا؟ كيف علمتِ؟!

دعك من المحاولة، فهذا صعب عليك يا طفل الاختراق!!

حسنًا لن أعتذر إليك لأن هذا ما نفعله أصلًا، أليس كذلك؟ وحتى أكون صريحًا معك، بدأت أشعر بالخوف منك، هل أنتِ حقا فتاة؟!

أجل إن كنت تقصد "فتاة بمئة رجل" سأكون صريحة معك أيضًا، أستطيع اختراقك في ثوان معدودة لكنني لن أضيع وقتي الثمين.

صحيح وكأنني سأصدق هذا، لو كنت حقًا تستطيعين اختراقي كما تدعين لفعلتِ ذلك البارحة وأخذتِي الأداة بنفسك.

هذا مدهش، لم أكن أعلم أنك تفكر أو أنك تمتلك عقلًا من الأساس!

أنت حقًا....

قطبت حاجبيها منتظرة بشوق قراءة التتمة، فتغلب الشوق على صبرها فكتبت: *مختلفة؟؟*

كنت سأقول وقحة لكنك مختلفة أيضًا!

"لم الجميع ينعتني بالوقحة هذه الفترة هل انتهت كلمات المدح من قواميسهم!" فكرت مطولًا ووجدت أن أنسب حل هو خداعه بالتقرب منه وأخذ حاجتها لأنه أحمق ويسهل خداعه كما أنه مسلٍ قليلًا.

شكرًا على إطرائك، هل بإمكاني أن أسال عن حاجتك إلى الغرفة الحمراء بهذه الشدة؟

لا يمكنني إخبارك، فأنا أيضا لا أثق بكِ.

زفرت زفرة طويلة وبلعت غيظها، فوصلتها رسالته: *كيف أصبحت مخترقة؟ ولماذا؟ ومن الذي قام بتدريبسك؟*

ابتسمت فرحة بأسئلته ووجدتها فرصة لتنال مرادها، فردت قائلة: *قواعد اللعبة لا تسير هكذا يا عزيزي؟ سؤال مقابل سؤال ما رأيك؟ !*

حسنا آنسة "مستغلة الفرص" بشرط ألا أجيبك على السؤال الذي طرحته علي.

أثارت رسالته حماسها فهي محبة للألغاز، فرقعت أصابعها استعدادًا للعبة وطبعت أول سؤال خطر ببالها:

أول سؤال لك هو، كم عمرك الحقيقي؟

قد يبدو سؤالها عاديًا لكنه كان سؤالًا ذكيًا، فأول مدخل للتوغل في عقل إنسان هو تحديد فئته العمرية.

تعلمين أن المعلومات الشخصية غير مسموح البوح بها هنا.

زمت شفتيها وكأنها تناولت جرعة من الخل، لكن حلت مكان الإحباط فرحة بعدما رأت رسالته التالية: *لكن مع ذلك سأجيبك لأنك تبدين لطيفة "قليلًا" عمري يتراوح بين العشرين والثلاثين.*

أجابته مازحة: مممممممممممم حقا! اعتقدتك في الأربعينات لأنك ممل، إنه دورك.

ما الذي ستفعلينه بتلك الأداة؟

سؤالك جعل حماقتك تختفي وجعلك تبدو جذابًا "قليلا" ، رغم أنك قلت لا مزيد من الكلام عن الأداة لكنني لست جبانة مثلك، لذا سأجيبك، فلنقل إنني سأقوم بتسوية حسابات قديمة، ولا يمكنني البوح أكثر من هذا فقد قلت الكثير.

تقصدين جذابًا لدرجة أنه يمكنك ممارسة الحب معي؟

يا لك من وغد وقح!! من بين كل ما قلته ركزت على تلك الكلمة المزيفة!! سأخلد للنوم، لا وداع لك.

ضحك كازانوفا قائلًا: *هذا صحيح، اهربي يا سندريلا على أساس أنك لستِ جبانة.*

استمرت تلعنه بينها وبين نفسها، من ثم ارتدت بيجامتها وارتمت فوق سريرها المريح حتى رأت نفسها في مرآة الخزانة المجاورة لها، فأخذت تتحسس خديها المحمرين خجلًا ثم شردت بخيالها لحظة، ثم هزت رأسها يمينًا وشمالًا مغمضة عينيها بقوة قائلة موبخة نفسها: *ما بكِ يا تانيلا! لا تكوني غبية وتفكري في مثل هذه الأشياء، أستغفر الله.*

*****

مرت الأيام بسرعة وانتهى أسبوع كامل ولم يتغير شيء في حياة تانيلا، سوى أن التفكير بات يسيطر على عقلها، لذا وأخيرًا سلمت أمرها لله.

لقد قررت، هنيئًا لك انتصرت على عقلي!

طبعت تلك الكلمات متحسسة لوحة المفاتيح بالحرف الواحد ثم فركت جبينها، كأن داء الشقيقة سيدهمها وضغطت على زر الإرسال.

انظروا من عاد، مهلًا! ما الذي تقصدينه بكلامك؟

سوف أعطيك مواقع الدخول للغرفة الحمراء.

حقًا؟! هل أنت جدية!! أم تحاولين خداعي!

أنا جدية لا يوجد خداع بالموضوع، أقسم لك.

ما الذي جعلك تغيرين رأيك فجأة؟

لا شيء، فقط ليس لدي وقت كاف.

حسنًا، من يبدأ أولا؟

تنفست بعمق حتى توزع الأوكسجين في كامل جسدها ثم كتبت له:

سأبدأ أولًا، وإن فكرت للحظة بخداعي سأقوم بالإعلان عن أمرك في الحال ولن يهمني ما الذي سيحدث لك لاحقًا، فهمت؟

أعلم أنني غبي لكن ليس إلى تلك الدرجة، لذا لا تقلقي.

ضحكت على الرغم من أن الضحك فارقها منذ زمن، وواصلت النظر لرسائلهما، نسخت روابط الموقع ثم قامت بلصقها في مربع الدردشة وأغلقت عينيها قائلة *"فليكن ما يكون"* ثم ضغطت على زر الإرسال، وفي اللحظة نفسها تحصلت على الأداة بنجاح.

كازانوفا: *أشكركِ حقًا وأتمنى ألا تفعلي شيئًا يؤذيك أو يؤذي غيرك بتلك الأداة.*

ضحكت باستهزاء ثم قالت: *لا تقلق سأفعل بها شيئًا جيدًا، جيدًا جدًا.*

نقلت الأداة إلى قرص تخزين إلكتروني أسود ثم خبأته في حقيبتها وتأكدت من إغلاق الحاسوب، وتوجهت إلى عملها مبتهجة مع حقيبتها الأنيقة.

*****

استمرت بالعمل ومراقبة الصراف الآلي وتلبية طلبات الزبائن في آن واحد كي لا ينكشف أمرها، حتى مضت الساعات وذهبت الشمس لتحل معها غيوم العشية، غادر الجميع وبقيت رئيسة الخدم، فانتظرت خروجها إلا أنها استوقفتني منادية إياها بنبرة تملأها الحيرة:

تانيلا؟ لماذا لا تزالين هنا؟ هل حدثت مشكلة بالعمل؟

لا أبدًا سيدتي، أردت أن أبقى لدوام إضافي كي أستغل وقتي جيدًا لا أكثر.

يا للروعة! لو كانت شركتنا تمتلك اثنتين منك لتضاعفت الأرباح بسرعة، سأقوم بتوصية الحراس ألا يقفلوا الشركة إلى أن يتأكدوا من خروجك، كي لا تضطري للنوم فوق الطاولات.

ضحكت تانيلا التي نادرًا ما تضحك ثم ودعتها بابتسامة.

*****

تتبعتها بنظراتي حتى تأكدت من خروجها وتأكدت أيضًا من أن لا أحد هناك غير حارسين كانا يمازحان صديقهما الشرطي الذي كان يتباهى بشارته، وكأنهم في مسرح كوميدي علت أصوات ضحكاتهم كلما تردد صداها في الأجواء.

رميت المنشفة من يدي ودخلت مسرعة للغرفة الخاصة بمقتنيات الموظفين الشخصية، جلبت حقيبتي الصغيرة وتمشيت بكل حرص في رواق الشركة متوجهة نحو الصراف الآلي وعيناي تتفحصان كاميرات المراقبة المنتشرة، ولسوء حظي كانت الكاميرات من النوع الفاخر الذي يحوي عدسات رؤية الليلية، خطوت خطواتي بهدوء تام ورأسي يدور يمينًا ويسارًا كالروبوت كي لا تلتقطني الكاميرات، فتخيلت نفسي كـ"جيمس بوند" تمامًا لكن أكثر جاذبية منه.

*****

وقفت تانيلا أمام الصراف الآلي ثم تلامسته وراحت ترمقه بإمعان، وبسرعة البرق قبل أن تدور الكاميرا ناحيتها جثت على ركبتيها مسندة ظهرها إلى الجدار بحذر شديد، وبدأت تنفذ خطتها بأن فتحت حقيبتها وهي ترتعد خشية أن يراها أحد الحراس!! استخرجت قرص التخزين الصغير وراحت تدخله في ثقب الآلة، مسحت بأصابعها قطرات العرق المتصبب من جبينها، ثم فكت الشيفرة بالأداة الذكية ومن بعدها نقلت المعلومات إلى القرص، عجبًا رغم

حجمه الصغير غير أنه يستطيع تخزين كمية هائلة من المعلومات *"أسرعي قليلًا رجاء لا أمتلك الكثير من الوقت"*

راحت تحادث الآلة بهمسات تكاد تكون غير مسموعة لأذنها وبتوتر شديد وضعت يدها على قلبها الذي كان يخفق بعنف وأحست بهدوء مخيف كالهدوء الذي يسبق العاصفة، وباستغراق شديد سمعت صوتًا بالقرب منها لزجاج يتكسر فتجمد الدم في عروقها ليأخذها إلى ذكريات لم يكن وقتها المناسب للحضور « *استفيقي*!! ».

نزلت دمعة على خدّها وبنزولها عادت إلى وعيها وكأنها استفاقت من غيبوبة طويلة الأمد، ازدادت ضربات قلبها وتسارعت معها أنفاسها، راحت تنظر في جميع زوايا المكان وقد قاربت عملية التحميل على الانتهاء، سبعون بالمائة.. ثمانون بالمائة.. تسعون.. وفجأة..

وسط كل ذلك الرعب أحاطت خاصرتها يدان كبيرتان منعتاها من الحركة، ولما أوشكت على الصراخ غطت اليد المجهولة فمها، فتوسعت حدقتا عينيها وكاد قلبها يتوقف.

*****

شعرتُ به، بيديه القويتين وبأنفاسه في عنقي، عندما احتضنني بتلك الطريقة العنيفة، آه كم كنت بحاجة لعناق لكن ليس مثل هذا! ليس هنا وليس الآن وبالتأكيد ليس منك!

لا تتحركي، ابقي ثابتة!

بقيت ساكنة دون حراك، لم أستطع التحرك ولم أنطق ببنت شفة فيده الضخمة منعتني من الكلام، حتى دفعني نحو الأرض وذهب راكضًا وهو يصرخ قائلًا: توقف مكانك الشرطة!

انصرف وتركني في بحر من الحيرة والدهشة، لم أفهم في تلك اللحظة ما الذي حدث، فقبل ثوانٍ قليلة كان يستخرج الأصفاد من جيبه ليكبلني بها، والآن غادر فجأة وكأنه لم يحدث شيء، *"يا ربي؛ القرص أين هو!"*

نهضت بسرعة من على الأرض بعدما دفعني ذلك الغبي، ثم توجهت مسرعة نحو الآلة أبحث عن القرص بكامل نشاطي، ولكني لم أجده هناك، أتذكر أنني كنت أمسك بها قبل أن يمسكني ذلك الأبله، حاولت البحث لكن لم يكن لدي وقت كاف للبحث، فخطوات الحراس تقترب مني كلما ارتطمت أحذيتهم على الأرض، انتهت خططي وانتهى حلمي معها.

تقدم الحارس نحوي بهدوء قائلًا: *هل أنت بخير يا آنسة؟*

تجاهلت حديثه رغمًا عني بعدما رأيت شيئًا مريعًا خلفه، كان الحارس الآخر ممسكًا بشخص تبدو عليه صفات الإجرام أكثر من صفات بشرية، يرتدي قناعًا أسود اللون، ومكبلًا بالأصفاد التي ظننتها ستكون زينتي اليوم.

أعتذر إليك بالنيابة عن صديقي الذي يبدو أنه قد أخافك.

حرك رأسه ببطء وحركه إلى الأمام مشيرًا إلى الشخص المكبل وأكمل قائلًا: *لكنه كان يحاول حمايتك من اللص، فقد كان خلفك مباشرة ولو لم يصل خالد في الوقت المناسب لوقع شيئًا سيئًا لك لا سمح الله.*

نزلت رأسي للأرض محاولة استيعاب ما قاله لأني لم أركز معه فكل ما كان يشغل بالي ذلك القرص، وفجأة رأيت شيئًا صغيرًا تحت حذائه مباشرة، فغرت فمي غير مصدقة ما تراه عيناي، إنه تحت قدمه مباشرة ولن أتمكن من جلبها الآن؛ لقد انتهت خطتي، ضاعت جهودي في الهواء.

ابتسم بود قائلًا: *تفضلي معي آنستي كي أرافقك للخارج بأمان.*

قلت في نفسي: *"لماذا ترافقني للخارج الآن وفي هذه اللحظة؟ مستحيل! أرجوك لا تفسد خطتي"*

يا آنسة؟

تنبهتُ إلى صوته فرفعت رأسي ثم أجبته بنبرة تشي بالاستسلام: *حسنًا سيدي.*

*****

عادت تانيلا إلى المنزل محبطة بعد فشلها الذريع، رمت حقيبتها فوق الكرسي المجاور للباب وصعدت إلى السلالم متوجهة لغرفة والدها، أمسكت بإطار صورته وأخذت تواسيه بنبرة متألمة دامعة: *سامحني يا والدي لقد حاولت بأقصى جهدي، أعتذر، لأني لم أكن مفيدة لك.*

ارتمت فوق سريره باكية بحرقة على حالها والوضع الذي باتت عليه، لم تطلب الكثير، كل ما أرادته هو استرجاع حق والدها أيمكن للحق أن يكون خطيئة!

ركضت مباشرة إلى غرفتها غير مكترثة بغشاوة الدموع، ثم شغلت حاسوبها وتوجهت إلى "كازانوفا" معلنة عليه الحرب: *"تبًا لك ولأداتك السخيفة، اللعنة على تلك اللحظة التي قبلت بها عرضك السخيف، تبًا لك ولهذا العالم الظالم مثلك".*

مسحت دموعها بيديها محاولة البث عن الأحرف كي تطفئ نار قلبها، لكنها لم تستطع كبت بكائها، وكأنما كلما مسحت عينيها زاد تدفق الدموع على خديها أكثر.

"بالطبع لست هنا، فبالتأكيد تستمتع بأعمالك المشبوهة التي تقوم بتنفيذها بعدما أعطيتك الروابط كالحمقاء، ليست عندك كلمة ولست رجلًا".

استمرت بإرسال العديد من الرسائل المختلطة بالشتائم حتى كاد صوت لوحة المفاتيح يصل الشارع، وعلى الرغم من أنها تعلم أنه لن يجيبها لأنه لم يكن موجودًا إلا أنها لم تستطع كبح جماح غضبها، انهارت مجددًا من البكاء، فنامت وهي تضع رأسها فوق لوحة المفاتيح من دون أن تشعر بذلك، وبعد ساعتين، نهضت بعد سماعها إشعارات الدردشة غير واعية لما يجري، فتحت عينيها ببطء فتذكرت نسيانها إطفاء الجهاز حتى لمحت ردودًا منه: *"خيرًا ما الذي حدث؟" "ولماذا كل هذا الكلام الجارح؟" "ما الذي حدث يا سيكادا؟!"*

الأمر لا يخصك، اهتم بشؤونك الخاصة ولا تحاول التحدث معي ثانية وإلا سأفعل شيئًا لن يعجبك!!

ماذا؟؟ انتظري رجاء لا تذهبي. حدثيني، ماذا حدث؟ ولماذا كل هذا الغضب الذي تصبينه عليّ؟! صدقيني أنا لم أقترف أي خطأ.

الأداة اللعينة التي أعطيتني إياها، لماذا لم تقل لي إنها بطيئة؟ لماذا لم تقل إنها ليست النسخة الجديدة!! لقد خدعتني، أنت السبب في كل ما حدث، لولا ربي الستار الذي أنقذني لكنت مسجونة الآن بسببك.

ما الذي تقولينه؟ السجن! هل فعلتِ بها شيئًا مخالفًا للقانون؟

تبًا لك وللقوانين.

اسمعي، أنا آسف، أعتذر إليك، حقًا أنا آسف، لم أكن أدري أنك تريدين النسخة الجديدة، وأنت تعلمين بأنها غير متاحة لجميع الدول، لا تقلقي، مهما كان الذي حدث سنجد حلًا معًا.

معًا؟ أنت أصلًا من تكون كي تتدخل في حياتي الخاصة !! أنا أحذرك هذه المرة الأخيرة التي تتحدث فيها معي!

أطفأت حاسوبها والغضب يتطاير من عينيها ثم استلقت على سريرها وراحت تفكر في خطوتها التالية، وإن كانت ستستمر بالذهاب للعمل أم تستقيل وتهرب كالجبانة.

"يجدر بي الذهاب كي لا يشكوا بأمري وأيضًا كي أجلب ذلك القرص اللعين إن لم يكتشفوا أمره" حكّت رأسها وأمالت رقبتها وراحت تفكر *"يا ترى هل قسوت على كازانوفا؟ فليذهب للجحيم تبًا له ولغبائه، ولغباء ضميري الذي دائمًا ما يقف ضدي".*

في الصباح الباكر استيقظت تانيلا مسرعة من دون أن تغتسل حتى إنها لم تغير الملابس التي كانت ترتديها البارحة.

أعترف بأنني كنت خائفة من العودة إلى لشركة في ذلك اليوم، وازداد خوفي بعدما رأيت دوريتي شرطة أمام مدخل الشركة، أسرعت إلى الداخل مدعية أن صداعًا قد أصابني فقط كي أقوم بتغطية وجهي، لا أعلم لماذا فعلت ذلك! ربما لأني ارتعبت من فكرة أنهم اكتشفوا أمر القرص. مررت من أمام الكاميرات بمنتهى الهدوء والحذر دون أن يشك أحد بأمري، فوجئت برؤية الرواق الذي يوجد داخله الصراف الآلي محاصرًا بشريط أصفر اللون مكتوب عليه "ممنوع المرور المنطقة محظورة".

علمت في تلك اللحظة أنه لا يوجد لدي خيار آخر لأسكت به فضولي سوى شيماء.

صباح الخير.

أهلا تانيلا، صباح النور كيف حالك عزيزتي؟

ارتسمت على وجهها ابتسامة مصطنعة وقالت: *بخير، الحمد لله*.

لكن في قلبها كانت تقول "*من يراك لا يعرف الخير*".

تنهدت بعمق ثم قالت بهدوء: *لاحظت وجود الكثير من رجال الشرطة على مدخل الشركة وقد استغربت كثيرًا صراحة، ما الذي حدث بالضبط؟*

أخذت شيماء تقهقه بصوت عالٍ قبل أن تقول: *كم أنت طريفة يا تانيلا! لقد أضحكتني التعابير الطريفة التي على وجهك، سأدخل مباشرة في الموضوع لقد وقعت جريمة ليلة أمس فقد دخل لصوص هنا لسرقة مستندات مهمة.*

عقدت تانيلا ذراعيها فوق صدرها ثم قاطعتها قائلة: *مهلًا ماذا قلتِ؟ مستندات مهمة؟!*

أحست شيماء بمتعة بالغة، وشعرت أنها تمارس هوايتها المفضلة، الوشاية: *نعم، مستندات مهمة جدًا من مكتب مدير الشركة وفق ما سمعت، لقد ألقي القبض على أحدهم واعترف بأنه لم يكن وحده، لهذا السبب حاصرت الشرطة المنطقة حتى يفحصها البحث الجنائي محاولين البحث عن بصمات أو دليل لمعرفة هوية اللص الثاني.*

دخلت تانيلا في دوامة عميقة من الشرود الذي يصعب الصحو منه، وراحت الأفكار تدور لتركز على شيء واحد، نهايتها قريبة لا محالة، فلا يوجد أسوأ من أن يقع ذلك القرص بالأيدي الخطأ، خصوصًا أنها لا تتذكر إن كان يوجد بها معلومات تكشف عن شخصيتها. فشلت كل محاولاتها في طرد تلك الفكرة التي استولت على عقلها، فقررت إسكات الصوت الذي يحثها على تنفيذها بتنفيذها.

أخذت تانيلا ممسحة ومنشفة ثم توجهت لساحة الجريمة وحرصت على ألا يراها أحد من زملائها في العمل وبالخصوص "شيماء" خطت خطواتها بحذر وتركيزها منصب على الشرطة وكاميرات المراقبة.

"لا أعلم إن كانوا سيصدقون تنظيفي للأرضية فعلى ما يبدو أنها أجمل من وجهي المتعب".

لم تكن تانيلا مضطرة لرفع الشريط فجسدها الرشيق ساعدها على المرور من تحته بسهولة، راحت تبحث عن القرص بعينين ثاقبتين، تمارس دورها ببراعة

ولو رآها أحد المخرجين لقال إنها تستحق أن تنال جائزة الأوسكار، وفجأة كبُرت حدقتا عينيها أمام القرص الذي رأته بالقرب من نبتة صبار.

تقدمت نحوها بحذر شديد وقد جف ريقها، مالت بجسدها نحو الأسفل وأخذت تمسح أوراق النبتة، ثم مدت يدها الأخرى نحو القرص محاولة التقاطه من على الأرض حتى انتفض جسدها على صوت يقول:

"ما الذي تفعلينه هنا؟ !"

تسمرت في مكانها وتسارعت دقات قلبها، أدارت جسدها ببطء وحاولت قدر المستطاع الإجابة دون تلعثم.

لقد.. طلبت مني السيدة فاطمة أن أقوم بالتنظيف.. هنا.

رفع حاجبيه المكتظين وراحت عيناه تتفحصانها بتمعن ولحسن الحظ أنه شاهد كل جزء في جسدها إلا التوتر الرهيب الذي انتابها.

"أعتذر على تعطيلك، أعانك الله"

انصرف وذهب توتري معه والحمد لله أنه كان صاحب أحد المتاجر، فلو كان من الشرطة لاكتشف خوفي وتوتري على الفور، في الوقت نفسه تمكنت من سماع الشرطي الذي كان بالقرب من الرواق بعدما وصله خبر على اللاسلكي الخاص به عن وصول البحث الجنائي لفحص المكان!

التقطت القرص من على الأرض بسرعة البرق بعدما ذهب صاحب الحاجبين الغليظين، من ثم مررت المنشفة على الصراف الآلي بكل خفة آملة أن يمسح تنظيفي جميع البصمات التي عليه ومن بينهم بصماتي، وجهت نظري على

الكاميرات لرؤيتها عندما تدور نحوي كي أغير مكاني قبل أن تلتقطني، وأشكر رشاقتي على مساعدتي في القفز من مكان لمكان كالقِرَدة، أخرجت من جيبي الكيس الأسود الذي أحضرته ولبسته في كلتا قدماي بسرعة فائقة كي أكمل تنظيف الأرضية من آثار حذائي.

نظفتها بسرعة كبيرة وخرجت مباشرة بعد مراقبتي المكان وفور ابتعادي عن الشريط بخطوات سمعت أصوات خطوات قريبة فهرعت إلى عملي قبل أن يلاحظ أحد وجودي، توجهت مباشرة إلى مكان عملي، وبينما كنت أعمل سمعت حديث الموظفين عن الشرطة التي غادرت محبطة بعدما لم تتمكن من إيجاد الدلائل الكافية للقبض على المجرم، فغمرني شعور بالراحة، أخذ مني تعب اليوم كل مأخذ، فذهبت بعدها لرئيسة الخدم طالبة الإذن بالخروج مبكرًا، وسمحت لي تلك السيدة ذات القلب الرقيق بذلك.

ابتعت قارورة من المياه وورِدًا من النوع الذي تحبه أمي، من ثم ذهبت حيث يسكن والداي الآن، ومن ثم قسمت الورود بينهما مناصفة.

"أنا مشتاقة، مشتاقة لكما كثيرًا، لقد تركتما فراغًا كبيرًا في حياتي، لماذا تركتماني وحيدة؟".

اتجهت إلى المنزل وأعددت أسرع وجبة، من ثم توجهت إلى حاسوبي لأشاهد الأنمي المفضل لدي "Death Note"، لطالما أحببت هذا الأنمي، تمنيت لو كانت لدي مذكرة حقيقية للموت، وكلما كتبت اسم شخص ما فيها والوقت والطريقة التي يموت بها يتحقق ذلك، وأتخلص من عدوي دون داع للتفكير بالشرطة وإخفاء الجثة.

استخرجت القرص من حقيبتي ورحت أتحسسها، وفجأة خطر لي خاطر: *"يا ترى هل كازانوفا غاضب مني بعدما حدث؟ هل أتحدث معه أم لا أبالي به؟! لا لن أفعل. ربما يكون الآن غاضبًا مني بسبب ما قلته، لا أعلم هل سيتفهمني أم لا! لا يهم سأرسل له رسالة وليحدث ما يحدث!!"*

سلام، أردت أن أعتذر إليك عن كل ما قلته بالأمس، سلام.

راحت تانيلا تقضم أظفارها مفكرة فيما ستكون عليه ردة فعله وقد تسمرت عيناها على غرفة الدردشة، وفجأة لمحت النقاط التي تشير إلى مجيئه، فازداد ارتباكها وذهب تركيزها حتى وصلتها رسالته:

وعليكم السلام، قبول اعتذارك لن يكون سهلًا ودون مقابل يا آنسة.

رفعت حاجبيها بعدما قرأت رسالته وأصدرت نفسا عميقًا، ثم طبعت قائلة: *إذن كيف أستحق غفرانك أيها الغريب!*

عبر إجابتك عن السؤال الآتي.

حكت رأسها محاولة التنبؤ بما سيكون عليه سؤاله المفاجئ لكن دون جدوى، وراحت ترقب بفضول ما يوشك على طباعته: *ماذا يعني لك الشعور بالغضب؟*

ضحكت باستهزاء من سؤاله وشعرت براحة كبيرة، فبعد أن ظننت أنه سيفجر سؤالًا واعِرًا، ها هو ذا يتفوه بالحماقات، اعتدلت في جلستها وراحت تكتب بابتسامة واثقة: *الشعور بالغضب يعني..*

تسمرت مكانها فجأة بعدما هربت الكلمات من عقلها، كانت الصدمة قوية حينما اكتشفت أنها لم تجد إجابة لسؤاله، وبعد دقائق صمت أرسل لها رسالة: *هناك أشياء السؤال عنها يكون سهلًا وبسيطًا، لكن الإجابة عنها أصعب مما تتخيلين.*

بقيت تانيلا مشدوهة من كلامه ودون أن تكتب حرفًا واحدًا ظلت صامتة تراقب رسائله بتأمل وكأنه يروي لها أحدوثة شيقة.

"الغضب مشاعر مكبوتة غير متحكم بها، تضخمت وكبرت جراء الهروب المتواصل من نقاط الضعف، وبقيت تتضخم حتى باتت هذه المشاعر تتغذى على أحاسيسنا".

إذن هل تقول إن شعوري بالغضب يتآمر ضدي؟ لكن ماذا يستفيد من فعلته؟

هدفه السيطرة على عقلك للتحكم بأفعالك، والتلذذ بالسيطرة عليك، ومع مرور الوقت يصبح التحكم بغضبك أمرًا صعب المنال.

لكن اختفاء الغضب أمر غريب للإنسان! سيكون البشر من دونه كالروبوت!

أصبت في كلامك، بالنسبة للإنسان الطبيعي أمر غريب، لكن الحياة في عصرنا كلها غريبة، على أي حال، هل تحبين أن تتحكمي في غضبك أم تحبين أن يتحكم غضبك بك!

أخذت تقرأ وتهز رأسها بالموافقة وكأنها كلما هزته فهمت أكثر، وقبل أن ترد على كلامه سألت نفسها معاتبة: لماذا لم تفكر في هذا الموضوع من قبل.

إذن، ماذا تقترح كحل نهائي لما يحدث يا سيد؟

التقبل، هو المفتاح لحل جميع المشكلات، تقبل اختلافنا، فليست جميع الأذواق متشابهة مواجهة مخاوفنا والتصالح مع أنفسنا.

أسندت ظهرها إلى الكرسي بأريحية بعدما قرأت إجابته وارتسمت ابتسامة دافئة على وجهها ثم كتبت قائلة: *أعتذر إليك بصدق عما تفوهت به سابقًا لم أكن أعنيه، يبدو أنك أكثر شخص يعرف ماذا يمكن للغضب أن يفعل بالإنسان.*

لا تهتمي فلستِ أول من يجرح قلبي بكلام قاسٍ، قلبي الحنون قرر مسامحتك.

أضحكتها رسالته واستفزتها في الوقت نفسه: *حسنًا، لا تبالغ في ردة فعلك كالأطفال!*

لم أكن أعتقد أن فتاة قوية مثلك تعتذر بهذه السهولة.

أولًا لم أقل لك كلمة "آسفة" لأني لن أقولها لأحد، وثانيًا يمكنك استغلال الفرصة في أخذ لقطة للشاشة كي تتركها كذكرى تحتفل بها من الحين للآخر، وثالثًا.... لا يوجد ثالثًا.

حسنًا آنسة سيكادا، لا داعي لانفعالك، أحس بأن مزاجك جيد اليوم.

تقصد ممتاز!

واااووووووووو لهذه الدرجة! هيا أخبريني ما الذي غير مزاجك هكذا.

حسنًا سأقول لك؛ لقد استرجعت شيئًا مهما جدًا كان ضائعًا مني.

مدهش، أصلًا أنت ذكية، لو كنت مكانك لما انزعجت، فبذكائك يسهل عليك كل شيء.

احمرت وجنتاها خجلًا من مدحه وحاولت جاهدة محو ابتسامتها "الحمقاء" كما تصفها، ومع ذلك واصلت الحديث حتى إنها نسيت أن ذلك الموقع الافتراضي ليس موقع تواصل اجتماعي.

كازا.. يمكنني مناداتك بـ"كازا" صح؟

مممممممممم اختيار جميل يا سندريلا، أجده يليق بوسيم مثلي.

احذر! فلست ممن يحبون المغرورين بأنفسهم.

لا أعتقد أن هناك من يحبهم، ولماذا أغتر بنفسي أصلًا! إن كان على وسامتي فجسدي ليس ملكا لي كل ما أمتلكه هو تفكيري، لذا فلتحكمي على فكري فقط.

على الرغم من ذكائها لم تعرف كيف تجيبه، فقد أثار إعجابها ووجدت شخصيته شبيهة بروحها.

حسنًا يا متفلسف، أخبرني قليلًا عن نفسك! مثلًا، هل لديك هدف، حلم ربما؟

سؤالك عميق نوعًا ما، ويصعب الإجابة عنه لكن سأحاول.

رفعت حاجبها الأيسر مستغربة وقاطعت إجابته قبل أن تبدأ: *انتظر! هذا أسهل سؤال يمكنني طرحه عليك.*

بالطبع، ففي بلد كهذا كل شيء سهل على الفتاة.

تراجع ظهرها وهي تتساءل إن كان يسخر أم يمزح مزحة لم تفهمها فكتبت: *ماذا تقصد؟ وما علاقة البلاد بسؤالي؟*

لا شيء أمزح فقط، والآن توقفي عن الثرثرة كي أتمكن من إجابتك!!

ضحكت ساخرة وأضافت: *حسنًا، الساحة لك.*

حلمي بسيط، أريد توفير الراحة للناس الذين أحبهم والأبرياء ورعايتهم قدر المستطاع.

جعلها كلامه تفكر في كيف أنهما متشابهان، فكل منهما يضحي بحياته من أجل من يحب.

رائع، لا يسعني القول أكثر من أنك غريب الأطوار، وحلمك أغرب منك!

لماذا؟ هل ظننتِ أن تجار المخدرات ليس لديهم قلب ولا مشاعر؟ !

ضحكت تانيلا ضحكة مجلجلة من ضحكاتها النادرة بعدما قرأت رسالته ثم أجابته قائلة: *لم أقصد هذا يا ذكي!*

ماذا عنك، ما هو حلمك؟

شردت بذهنها بعدما قرأت رسالته وهي تفكر في أبيها رحمه الله ثم كتبت: *لم أحلم سابقًا لأن الأحلام تبدو كشيء خيالي يستحيل تحقيقه، لذا تعودت على التخطيط والتنفيذ، هذا كل ما يسعني قوله.*

كم يعجبني غموضك يا سندريلا، أخبريني قليلًا عن نفسك، أو صفي لي شكلك على الأقل!

مهلًا، هل أنت ممن يهتمون كثيرًا بالمظهر الخارجي؟ ألا تؤمن بمقولة "الجمال جمال الروح"؟.

لأكون صريحًا لا هذا ولا ذاك، جمال الروح دافئ أما جمال المظهر فمبهم.

ها هي ثانية لا تعرف بماذا تجيب سوى أنها تطبع الأحرف فتهرب منها الكلمات وتضطر لمحو ما طبعته، فقررت أخيرًا أن تخرج نفسها من الموقف الغريب الذي باتت فيه.

"بشرتي بيضاء اللون، وعيناي عسليتان كالقهوة عندما تمتزج بالحليب، أما شعري فطويل وأنفي مستدير، ولطالما أخبرتني أمي رحمها الله أنها تحب رموشي الكثيفة".

يؤسفني معرفة ذلك، رحم الله والدتك وجميع من هم تحت التراب.

آمين.

تبدين جذابة من وصفك لنفسك لكن..

لكن، ماذا؟

قلتِ إن أنفك مستدير الشكل.

هذا صحيح، كحبة الزيتون تمامًا!

إذن لابد من أنك بشعة "قليلا".

استفزها كلامه فقررت كبح غضبها كي لا تتفوه بأشياء لا تعنيها قد تندم عليها لاحقًا.

صدق أو لا تصدق لا يهمني الجمال، لست سطحية مثلك، كما أن الأخلاق هي من تستحق أن تقام لها المسابقات لا ملكات الجمال.

أجابها مازحا: *انظروا من الذي يتحدث عن الأخلاق، مجرمة تخترق خصوصيات الناس!*

عذرًا مستر كازا، لم أكن أدري أنك إمام مسجد! وصراحة لا أعلم ما الذي اقترفته في حياتي كي ألاقي شخصًا مملًا مثلك!

هل تعتقدين أنني ممل؟ على العكس تمامًا، شخصيتي مرحة، حتى أن رفاقي يدعونني للسهر كي أرفه عنهم ولطالما أخبروني أني أجعلهم يضحكون بشدة.

احم صدقتك يا "حوحو" صحيح ما نوع عملك؟

مرت دقيقة كاملة دون أن تتلقى إجابة منه، بعدما كانت إجاباته السابقة أسرع من طيران الذبابة:

هل نسيت؟ لقد قلنا ممنوع البوح بخصوصياتنا.

ارتسمت تعابير التشاؤم على وجهها تلقائيًا ثم كتبت له بغيظ:

أوه، اعتقدت أننا أصبحنا صديقين.

هل هذا هو مفهومك عن الصداقة؟ من الواضح أنك لا تملكين الكثير من الأصدقاء أليس كذلك!

تجمد عقلها وشردت بخيالها كأنها تسترجع ذكرى بعيدة، ثم رمشت عيناها ليعود رشدها إليها: *حتى أكون صريحة.. لا أعرف معنى الصداقة، لأني لم أحظ بأصدقاء منذ أن كنت صغيرة.*

حقًا؟؟ أم أن هذه مزحة تمارسينها علي!!

ليست مزحة، ولا أحب الغرباء، ولأكون أكثر وضوحًا أشمئز من الاقتراب منهم.

وتقولين عني غريب الأطوار!

شعرت بدفء يغمرها، إحساس جديد يدخل قلبها، لم تستطع معرفة ماهيته إن كان الأمان أم الراحة! لكنه أدخل السعادة لقلبها وجعلها تشعر بالحياة من جديد.

إذن ما الذي تجيدينه غير الاختراق وسرقة أموال الناس! هل أنت طباخة ماهرة مثلًا؟

بل أمهر من ماهرة، لماذا تسأل؟ هل تبحث عن عروس جيدة في الطبخ؟

أضحكت كلماتها كازانوفا ليرد عليها بمزاحه الذي اعتبرَته "ثقيل الدم" قائلًا: *هذا صحيح، أريد من زوجتي أن تكون قرصانة كي نقوم بالسطو على بنوك العالم ونعيش في السجن ويحكم علينا بال...*

لمعت عيناها فجأة كأنها تذكرت أمرًا خطيرا للتو، فقاطعت حديثه قائلة: *الطبخ! ذكرتني بالشعرية سريعة التحضير!! لحظة لأطفئ النار وأعود، قبل أن يطفئها رجال الإطفاء بدلًا مني.*

غرق كازانوفا بالضحك حتى نزلت دموعه ثم قال لها ساخرًا منها: *آه! بطني تؤلمني من شدة الضحك، وتقولين إنكِ جيدة في الطبخ!! هذا دليل قطعي على أنك طباخة ماهرة بالفعل، على فكرة، لقد غيرت رأيي لن أتزوجك.*

*****

وصلت تانيلا متأخرة إلى العمل بسبب سهرها ليلة البارحة، ولحسن حظها لم ينتبه إليها مدير المطعم، قررت الاستمرار بالعمل داخل الشركة كي تكمل خطتها التي فشلت بها المرة السابقة، وقررت أن تعيد الكرة مرة أخرى ففي الإعادة دائمًا إفادة، وهذا المرة كانت مصرة على ألا تدع مجالا للفشل هذه المرة.

شردت بخيالها داخل متاهة لامتناهية من المشاعر التي اجتاحتها بعدما تذكرت حديث "كازانوفا"، فارتسمت على وجنتيها ابتسامة ظريفة، وازداد عرض ابتسامتها عندما تذكرت قوله *"طبختِ الشعرية فأوشكت على حرق المنزل، لو قمت بطبخ الحساء لفرقعت الكرة الأرضية بأكملها"* ، ثم تمتمت سرًا قائلة: *"كيف ستكون ردة فعلك لو علمت أني أعمل في مطعم! الشكر لله أنني مجرد نادلة وإلا سُجنت بتهمة تسميم الزبائن بسبب طبخي" .*

في تلك اللحظة أحست بشيء بارد يلامس مؤخرتها، فلما استفاقت من شرودها اكتشفت أنها يد مدير المطعم الذي تعمل به، وكانت المفاجأة أنه وبكامل وقاحته كان على وشك أن يضع يده الأخرى، وبحركة لا إرادية دفعته بكامل قوتها ويبدو أن الغضب الكامن في جسدها الصغير مكنها من دفعه إلى الدرجة التي وقع فيها أرضًا، ومع وقوعه أحست بأنها على وشك الاستفراغ فركضت إلى

المرحاض وبالكاد تمكنت من إفراغ كل ما في بطنها ومشهد ابتسامته الشهوانية لا يكاد يفارق مخيلتها!

في الطريق إلى الانتقام، تتعثرين بالكثير من الحشرات التي تحتاج إلى دوس تحت حذائك، لكن الانتقام يجبرك على الصبر، الصبر اللذيذ.

*****

جمعتُ شتات نفسي والأفكار التي انتابتني لحظتها، فلو لم يكن لدي عقل لقتلته على الفور وخسرت فرصتي بالانتقام، خرجت من الحمام فرآني رئيس الطهاة وأمرني حينها برمي كيس القمامة كي لا تفوح رائحته بداخل المطبخ، فحملته مستغربة من عدم تقززي من رائحتها، كيف يعقل أن تكون أخلاق الإنسان أقذر من رائحة القمامة؟!

رميت كيس القمامة في سلة المهملات، استدرت متوجهة لإتمام عملي فأثار انتباهي مشهد مقرف، فتمتمت بيني وبين نفسي متسائلة: *"هل هذا هو اليوم العالمي للقرف؟"* كان صاحب متجر الملابس المجاور للمطعم يخرج برفقة عاهرة من الباب الخلفي للمحل وهي ترتدي فستانًا شفافًا يظهر جسدها أكثر مما يغطيه، أعطته قبلة تبعتها ضحكات بينت مدى احترافها في مجالها، رفعت قدمي لأخطو داخل المطعم غير مكترثة بما رأته عيناي، لكن منعني من ذلك مشهد آخر لامرأة نحيلة الجسد مرهقة العينين والروح، تمسك بين ذراعيها طفلًا صغيرًا بالكاد يُرى من اللمحة الأولى، فقد كان مغطى بالشال الذي ترتديه كأنها بذلك تحميه داخل محيطها الآمن، أدركت حينها أن المسكينة زوجته، وقفت بكل ثقتها أمام ذاك الرجل وراحت تعاتبه قائلة: *ما الذي كنت*

تفعله معها! ابنك مريض وهو بحاجة إليك يا حمزة، نحن بحاجة إليك وأنت هنا تزني مع العاهرات كعادتك!

فاجأني بروده لدرجة أنني لم أنتبه إلى تنصتي لخصوصيات الغير:

لم تكد تكمل كلامها حتى قام بالإشارة للحارس وأمره بطردها من الشركة، وكانت عينيّ الحارس تأسفان على حال المسكينة وطفلها.

*****

أكملت تانيلا عملها، وقبل مغادرتها المنزل غيرت ملابسها لزي عاملة النظافة من ثم توجهت إلى الصراف الآلي مباشرة وهي تدعي تنظيف محيطه، استخرجت القرص وأدخلته، ابتعدت بضع خطوات وراحت تمسح الأرضية بكل هدوء منتظرة إياها أن تحمل المعلومات التي فشلت في تحميلها سابقًا، دون توتر ولا خوف، بعد دقيقتين سمعت صوت النجاح الذي يشير إلى اكتمال عملية التحميل فأخذت القرص الخاص بها بكل رشاقة، ثم أسرعت لتغيير ملابسها ثانية وتخرج مسرعة إلى منزلها بكل سعادة وحماس.

دخلت المنزل وتوجهت مباشرة إلى غرفتها، أغلقت الباب خلفها وجلست على المقعد بالقرب من حاسوبها، أخرجت القرص من حقيبتها وراحت تحاول توصيله بالجهاز الخاص بها، بعد مرور ثوان اكتمل الاتصال وباتت جميع المعلومات بحوزتها، ارتسمت الفرحة على وجهها، وهي ترى جميع المعلومات الحساسة والخاصة كالحسابات الإلكترونية، وكلمات المرور، والحسابات البنكية للموظفين والزبائن، بإمكانها الآن السيطرة عليها والتلاعب بها كيفما تشاء دون أن يكتشف أحد بذلك، إلا أن الملف الأكثر أهمية من بين

جميع تلك المعلومات لا يفتح!! "لماذا! ما الذي يعطلني عن الدخول إليه" الملف الخاص ب"جميل" وممتلكاته لا يفتح.

انشغل بالها بالتفكير في حل تلجأ إليه عله يخرجها من هذه الحفرة التي وقعت فيها للتو، تنهدت ثم طردت جميع الأفكار التي خطرت ببالها، فبدلًا من أن يساعدها عقلها زادها تشويشًا، مدت يدها نحو لوحة المفاتيح وراحت تبحث بين المعلومات التي بيدها علها تجد حلًا يساعدها، مرت ساعة، ساعتان وهي على حالها دون جديد، وفي اللحظة التي أوشكت فيها على الاستسلام وجدت شيئًا مهمًا جدًا

"لقد أمسكت بكما!!".

*****

أوضحت مذكرة موجه إلى مستخدمي شركة جميل الجزائري للأزياء مقرونة بالوثائق والأدلة، أنه جرى ضبط عملاء في الشركة يسرقون تصاميم الأزياء ويعيدون نسجها وبيعها مرة أخرى باسم الشركة، وأشارت إلى أنه بعد بحث وتحر جرى الكشف أن المتهم "حمزة سليماني" كان متورطًا في هذه القضية، وأنه قد قام بأعمال مشبوهة كبيع المخدرات لبعض العملاء داخل الشركة، منهم مديرون مطاعم، وتجار كبار.

والغريب في الأمر أن من سرب تلك المعلومات إلى وسائل الإعلام لم تعرف هويته.

صرح "جميل الجزائري" في وقت لاحق بأن "المتورطين في القضية لم يفقدوا وظائفهم فحسب، بل قد يواجهون صعوبة بالغة في الخروج من السجن والحصول على عمل في مكان آخر بعد أن شوهوا سمعة الشركة".

هناك من يستغل اختلافه وهناك من يستغله اختلافه، تمامًا كالذين يُخلقون في هذا العالم بأشياء يعتبرونها "ناقصة" إلا أنهم لا يعلمون أنها تسمى "اختلافًا" وبهذا الاختلاف تتبدل أقدارهم وهم المسؤولون عنها، فبقراراتهم وتفكيرهم وحبهم لنفسهم أو كرههم لها يخلقون مصيرهم.

بات الوضع نظيفًا داخل الشركة بعد أن قامت تانيلا بتنظيفها من أوساخ الأوغاد والحثالة، بذبذبات عقلها الذكية تمكنت من ضرب عصفورين بحجر واحد إلا أنها لم تصب البومة الكبيرة!

لم تحرز تقدمًا كبيرًا إلا أنها سعدت كثيرًا بفعلتها فقد تمكنت من إفساد إجازة جميل، وجعلته يعود إلى الشركة غصبًا عنه بعد أن كشفت عن المعلومات وبدأ معظم شركائه ينسحبون من الشركة، حتى لم يبق فيها سوى أمثاله!

*****

وشوشات وهمسات تدور بين الموظفين، نظرات الشك والريبة تدور بين الزبائن الذين يمكن عدهم على الأصابع على غير العادة، قيل إن القطيع يحتاج من يرعاه ويقوده، ولم أفهم إلى حد الآن لماذا يعد البشر أنفسهم قطعانًا ودومًا ما يبحثون عمن يقودهم، أيعقل أن يشبه أحدهم نفسه بالقطيع؟ صدقًا لم أرَ في حياتي كلها محبًا للعبودية كالإنسان.

جاء المدير الجديد الذي لم يبدُ مختلفًا عمن كان قبله وجاء معه نفاق العالم وسمومه، دخل مطبخ المطعم مناديًا علينا بفرقعة من إصبعيه فأخذ الموظفون يتوافدون وتبعتهم بعدما نفذت طلبات الزبائن، اصطففنا أمامه وراح يحادثنا دون أن تختلج عضلة في وجهه: *بما أنني جديد عليكم لن ألومكم عن الفوضى التي أراها تعم المكان.*

وأشار بيده نحو الصحون المتسخة التي عادة ما يجمعها العامل كي ينظفها جميعها دفعة واحدة، ثم تنحنح وأكمل قائلًا: *كي أكون واضحًا معكم، لن تكون هناك تحذيرات بعد اليوم. خطأ واحد فقط وتجدون أنفسكم خارج الشركة، لا أريد أحاديث جانبية أو تباطؤًا لا أريد شيئًا غير العمل، مفهوم!!*

تنازلت الرؤوس نحو الأرض وتحول الهدوء إلى توتر منتشر، إلا أن تانيلا لم تعبأ بكلامه الذي بدا لها تافهًا من حشرة جديدة ليس الوقت مناسبًا لدوسها.

قبل أن تنصرفوا إلى العمل أريد من الجميع أن يركز على وظيفته، فالسيد "جميل" سيزورنا اليوم بعد عودته من السفر، لم يرهق نفسه في تقديم وشرح من يكون هذا السيد، فقد كان الجميع يعرفه. ثم أضاف بعدما وجه إصبعه مشيرًا نحونا على شكل مسدس *"تذكروا جيدًا، لا أريد أي أخطاء."*

تنبهت تانيلا إلى كلماته فرفعت رأسها لتخرج عقلها من زحمة الأفكار التي طغت عليها خيالاتها وتصوراتها *"أيعقل أن ما سمعته صحيح؟! هل حقًا ذلك الذي لا يسمى قادم إلى هنا! وماذا إن رآني؟ هل يجب أن اختبئ؟ ولمَ أختبئ فهو حتى لا يعرف أنني على قيد الحياة!"*.

مرت ربع ساعة من الهدوء والشرود ليأتي بعدها جميل ويجلب معه الضوضاء التي سيطرت على الشركة بأكملها، اصطف الموظفون واحدًا أمام

الآخر مترقبين دخوله بكل ارتباك، خطى خطواته الواثقة داخل المطعم وراح يتفحصه بعينيه والغرور يرافقه، توجه المدير إليه مرحبًا كما يرحب الكلب المطيع بصاحبه، تقدم نحونا دون أن يرهق نفسه بالنظر إلينا فقد بدونا له كالعبيد.

عندما أتذكر أنه أبي البيولوجي أرغب بتصفية دمي من دمه القذر. توقف برهة وراح يمرر نظره في زوايا المطعم كلما دارت عيناه تذكرت كاميرات المراقبة التي كنت أهرب منها حينما أنجزت تلك المهمة الصعبة، تفحص المكان بدقة عالية وأطلقت شفتاه نصف ابتسامة تشير إلى الرضا، ثم استدار متجهًا للخارج وفجأة توقف لأنه رأى شيئًا أثار انتباهه، لقد كانت "سمية" عاملة النظافة التي تراوح عمرها بين الخمسينات والستينات، تفحصها من رأسها حتى أسفل قدميها مخذولًا ثم أشار بإصبعه نحوها وكأنه يتهمها بإبهامه على جريمة ما، ثم نظر إلى المدير وقال بنبرة جدية: *ما هذا؟!*

احتار المدير ولم يعرف ما الذي يتوجب عليه فعله**!** يضحك، أم يبكي، أم يكون جديًا؟ لكن دون جدوى فقد خان عرقه توتره وفضحه، وراح يفرك يدًا بيد وكأن فركهما يزيد فرصته في النجاة من هذا الموقف، فرد متنحنحًا: *ما.. ماذا تقصد؟*

ضحك جميل ببرود قاتل، وراح يمرر لسانه داخل فمه، وأخذا خديه ينتفخان وكأنهما سينفجران:

هل هذا مطعم أم دار عجزة؟!

ازدادت نبرته جدية وأضاف:

أريد منك أن تصرفها اليوم، بل الآن وحالًا!! أعطها مرتب الشهر الذي عملته أو ضعفه لا يهمني.

لم يكمل كلامه حتى باتت تبكي وترجوه ألا يطردها، فأمسكت يده وراحت تتوسل إليه أن يعطيها فرصة لتثبت أنها على قدر المسؤولية، أو عله يعطيها عملًا في مكان آخر يليق بعمرها، فكانت ردة فعله أن دفعها دون أدنى تغيير في تعابير وجهه القاسية، فواصل كلامه قائلًا:

أريد منك أن توظف مكانها شخصًا أكثر شبابًا فلا مكان للعجزة هنا!

ازددت كرهًا وحقدًا عليه، أما قلبي فقد انفطر على تلك المسكينة التي زاد من شفقتي عليها أنها مخلصة في عملها إلى أبعد حد، توجهت إليها، فلم تكن شفقتي قادرة على التغلب على حقدي، أمسكت بيدها وهدأت من روعها ووعدتها أن أبذل كل جهدي في البحث لها عن عمل بعد أن أخذت عنوان مسكنها، وأنا أسر في نفسي أن أرسل لها جزءا من راتبي إلى أن أجد حلًا.

إحساسها بصدق مشاعري نحوها دفعها إلى أن تحضنني، ويا له من دفء فقدته منذ زمن.

اختبأت الشمس خلف الجبال وحل المساء وهدأ المكان من ضجيج الزبائن وطلباتهم اللا متناهية، تألم جسدي طالبًا الراحة، فجلست مستريحة فوق الكرسي، لم أكد أتنهد حتى جاء المدير موبخًا بنبرته المخيفة: *هل تظنين نفسك في عطلة؟!*

عدلت جلستي وفور أن فتحت فمي لأدافع عن نفسي ازدادت نبرته حدة وأضاف قائلًا: *لا أعرف من تظنين نفسك! لكن إن أردت الاستمرار بالعمل هنا قومي فورًا وأكملي عملك!!*

فجأة أصابتني إهانته بنوبة ضحك داخلية، قمت من فوري بعدما تنهدت، وقلت له: *إنه لا يوجد زبائن بالمطعم لأننا في فترة الظهيرة، لكنه تركني أتحدث إلى الهواء وجلب إسفنجة مبللة ثم أمرني بمسح زجاج أبواب المطعم بإهانة أكثر، لأن التنظيف لم يعد ضمن عملي، ولو لم يغادر لضربته بالكرسي وطردت!*

أدخلت سماعات الأذن ورحت أستمع إلى الأغاني التي أخذت تتكرر وتصبح مملة، وعلى الرغم من ذلك فقد ساعدتني على التنظيف دون إحساس بالتعب، لست مولعة بالأغاني غير تلك التي أتمكن من الشعور فيها بإحساس حقيقي، وبما أن ذوقي صعبًا، فلا أمتلك الكثير منها على قائمة التشغيل كما أنني أؤمن بأن كلمات الأغنية التي تتردد في ذهن كل شخص تصف الأشياء التي عاشها المستمع، ما الذي يمكن أن يكون أسوأ من التنظيف سوى أن تقع المنشفة على الأرض وتتسخ وكأن هذا ما كان ينقصني! ملت نحو الأمام لالتقاطها فإذ بشاب يلتقطها. تنهدت وعلت وجهي ابتسامة شكر، وما إن هممت بشكره حتى كانت الصدمة أقوى من جميع الصدمات التي تلقيتها في حياتي!

نطق بابتسامة باردة قائلًا:

ها قد التقينا ثانية، مرت السنوات سريعًا!

"يمر الحزن على الجميع والقوي هو من ينقذ نفسه من براثنه، لكن الصدمات تترك في أرواحنا جروحًا عميقة تكبر وتكبر، بدلًا من أن تلتئم كما تلتئم جروح الجسد".

شهقت وكدت أفقد وعيي، بعد أن تملكتني نوبة خوف عنيفة!

لماذا كل هذا الشرود أنا لست شبحًا! تنحنح قائلًا.

أخجلني حديثه وجعل لساني ينعقد، فهربت الكلمات مني عندئذ أدركت أني أصبحت في وضع خطير: *لا، حاشا، لم أقل إنك شبح.*

ولم تقولي شيئًا أيضًا!

قلت مدافعة عن نفسي: *صحيح، لأني لم أكن أتوقع رؤيتك هنا!*

خشيت أن تكون نبرتي المرتفعة قد فضحتني.

ولا أنا توقعت ذلك! لم نلتق مذ ساعدتني ذاك اليوم، كثيرًا ما بحثت عنك كي أشكرك.

تحرك جسدي بطريقة توحي بمقاطعته، لكنه قطع الطريق على مقاطعتي: *لطالما قال جدي إن الشعور بالامتنان أقوى من الشعور بالحب، وظننت أنني كنت أفهم قصده، لكن بعدما تعرفت عليك فهمت معنى كلامه.*

قلت لنفسي لطالما ظننت أن الدفء مصدره النار، وها أنا أدرك معنى دفء كلام المرء، تتنوع الكلمات وتتغير معانيها لكن أعمق الكلام هو ما يخاطب أحاسيسك حتى الأحاسيس التي نسيتها.

لم يكن هناك داع لشكري، فلم أفعل شيئًا يستحق الشكر، كل ما فعلته أنني دفعتك قليلًا نحو الأمام لأنك استحققت ذلك.

ابتسم بلطف قائلًا: *سيكون من الغباء إن سألتك عن نتيجتك في البكالوريا لأني نجحت بمساعدتك طبعًا، صحيح هل تعملين هنا؟*

ارتبكت من كلامه ورحت أضحك مخفية توتري ثم أجبته: *هذا صحيح، لكن ليس منذ وقت طويل.*

أضفت بسرعة مغيرة الموضوع:

أين تقيم؟ أفي هذه المنطقة؟

تنهد تنهيدة تائهة تشي بنجاحها في تغييرها الموضوع بسلام، وقال مبتسمًا: *منزلي ليس ببعيد، جئت في زيارة للشركة بناء على طلب والدي.*

رفعت تانيلا حاجبيها باستغراب، وقالت متسائلة:

عفوًا، لكن لم أفهم هل والدك يعمل هنا؟

هذا صحيح مع الأسف.

تمتمت تانيلا: *المسكين..*

ها؟

صراحة أشعر بالشفقة على معظم الموظفين هنا، فقد ابتلاهم الله بصاحب شركة حقير، أتمنى الخلاص لأبيك من هنا.

أطلق الشاب ضحكة تكاد تكون جنونية وراح يحاول جاهدًا كتم ضحكته ثم قال: *لم أضحك هكذا منذ زمن.. أوه يا ربي؛*

لماذا تضحك؟ هل قلت شيئًا مضحكًا؟

زفر زفرةً طويلةً ثم قال: *لا، أبدًا أنت على صواب، ويؤسفني إعلامك أن ذلك "الحقير" هو أبي.*

ارتبكت تانيلا ومالت إلى الخلف وفي نيتها الابتعاد إلا أن ساقيها خانتاها، لم تدر بما ترد أو ماذا تفعل! فاكتفت بالصمت، لم يستوعب عقلها الصدمة فلم يبق أمامها من خيار سوى أن تطأطئ رأسها لكنها لم تستطع، لأنه أمسكها من ذراعها ثم رفع حاجبه وسألها قائلًا: *ما بك؟ هل أنت بخير؟*

توقف عن الكلام ليرى تلك الدهشة قد ازدادت بعينيها، وهنا فقدت تانيلا وعيها.

*****

حملها بين ذراعيه بفزع وتوجه بها إلى أقرب أريكة برفق، وراح ينادي بأعلى صوته:

"فليأتني أحدكم بالماء بسرعة!!"

وما هي إلا لحظات حتى استردت وعيها، وعندما فتحت عينيها نظرت حولها فوجدت نفسها محاطة بوجوه وأصوات متداخلة، كان رأسها يؤلمها بشكل غير محتمل، فقالت بصوت ضعيف: *ماذا حدث؟*

قال الشاب والفرح يطغى عليه لأنها استرجعت وعيها:

لقد أغمي عليك فجأة، كيف تشعرين؟ هل أنت بخير؟

جلست تانيلا بصعوبة وراحت تطمئنه بابتسامة مصطنعة: *أشعر بأني أفضل حالًا.*

لا بد أنه أغمي عليك بسبب التعب.

أمسك يدها بكلتا يديه ثم سألها قائلًا:

أخبريني رجاء، هل عملت بجهد كبير؟؟

وفي هذه اللحظة تقدم المدير من بين الموظفين الذين كانوا مجتمعين حولهما وقال مبتسمًا: *لا تقلق سيد "سامي"، الفتاة بخير*، لكن النظرات الباردة التي رمقه بها أعادته إلى صمته.

تمتمت تانيلا: *اسمك سامي إذًا.*

نهض سامي وجر معه المدير إلى المطبخ حيث اختلى به:

صحيح أنني لا أعرفك جيدًا، إلا أنني أعرف أمثالك الذين يتطاولون على الموظفين ويعاملونهم كالعبيد.

صغرت عينا المدير ثم أصبحتا كبيرتين وقلقتين، ولم يعرف ماذا يفعل، أيرد أم يدفن نفسه تحت أرضية المطبخ!

أحذرك للمرة الأولى والأخيرة، إن رأيت حالة مشابهة للتي حدثت معها.

وأشار بيده نحو تانيلا ثم تابع: *ستندم على الأيام التي درست فيها وتخرجت وفكرت بالعمل في هذه الشركة!*

أنزل المدير رأسه كنعامة تغرس رأسها في الرمال، ثم أجاب بتلعثم واضح: *أمرك، أمرك سيد سامي.*

ربما صمت الموظفين من التمتمة، ولكن أعينهم بقيت طيلة الوقت مسمرة على تانيلا، بالخصوص عينا شيماء اللتان أوشكتا على الخروج من محجريهما.

شكرًا لك سيد سامي.

على ماذا؟ أتشكرينني لأني رششتك بالماء كي تستفيقي؟ أم تشكرينني لأني صفعتك على خدك بقوة كبيرة استعدت وعيك بعدها؟

نظرت إليه بحيرة واستغراب ثم وضعت يدها على خدها، فانفجر ضاحكا بقوة.

أووووووووووه يا بطني، لا أصدق أن الحيلة انطلت عليك.

تنهدت ثم عقدت ذراعيها بحزم تحت صدرها مراقبة بذهول حركاته الصبيانية فقال: *لو ترين، لو ترين تعابير وجهك لضحكت أنت أيضًا.*

لا إراديًا وجدت تانيلا نفسها تضحك كطفلة صغيرة.

صحيح لم تخبريني حتى الآن عن اسمك.

أنت محق، تريد معرفة اسمي بشدة؟

هز رأسه بالموافقة، والابتسامة لم تفارق وجهه.

حسنًا؛ كم تدفع؟

ألا تكفي الصفعة التي أعطيتك إياها هل تريدين واحدة إضافية؟

راحت تضحك على جوابه ثم ابتسمت بلطف وقالت:

تانيلا؛ اسمي تانيلا.

*****

الألم يعلمنا الكلام حتى لو كانت أفواهنا مغلقة، لا أدري ما الذي اعتراني بعدما عاملني بكل لطف ورقة! للحظة من الزمن غصت في أعماق حلم لم أتجرأ على حلمه من قبل، أن تعطيني الحياة فجأة أخًا يحميني من شرورها بعدما سلبت مني كل ما ملكته، مضى وقت طويل على شعوري بالأمان بعدما فقدته! لا تعطني مبتغاي فمهما كان خيط الأمل رقيقًا سأتشبث به.

هل أنت كثيرة الشرود يا تانيلا؟

أفاقت من شرودها على صوت سامي: *تانيلا اسم جميل، ما معناه؟ هل هو عربي الأصل؟*

ابتسمت تانيلا بخبث ثم قالت له بسخرية: *هذه المرة حقًا عليك أن تدفع وإلا لن أجيبك.*

أنت مصرة إذًا!

نعم!

إذًا، سأدفع بطريقتي الخاصة.

تنهد بعد صمت لم يدم طويلا وبدون أي مقدمات قال: *ما رأيك في ترقية؟*

سمرت نظراتها نحوه الا انها لم تكن نظرات استغراب فقد كان متوقعًا منه التصرف بشهامة، بل كانت نظرات تدل على خوفها من انكشاف سرها الدفين.

هزت رأسها كمن يبدي إعجابه بتحفة فنية، وقالت بشيء من السخرية: *لطالما آمنت أننا في تطور دائم، لكن أن تعرض الترقية على من يفقد وعيه بالعمل أوه هذا شيء يفوق التطور، أم أنه تباهٍ من ابن صاحب الشركة؟*

لكنه لم ينطق بكلمة أو بالأحرى انقطع نفسه فلم يعرف بم يجيب أو كيف يتصرف، إلا أن تانيلا تنحنحت وقالت باستعداد كمن يلقي محاضرة مهمة على طلابه: *كما ترى سيد سامي....*

بدون ألقاب من فضلك.

قاطعها بكلماته، فنظرت إليه نظرة توبيخ فقد بدا كتلميذ جامح يقاطع كلام أستاذته وبرغم ذلك استمر قائلًا: *فقط سامي.*

أغمضت عينيها لترتب الكلمات التي اوشكت على نسيانها بفضل قلة صبره وفور ما جهزتها قالت:

ستكون هذه مرتك الأولى والأخيرة التي تعرض فيها علي شيء كهذا، ففي عالمي لا يوجد ما يسمى ب"الواسطة" فلا فرق بينها وبين الرشوة والربا

وغيره، صحيح أن المسميات كثيرة إلا أن المعنى واحد لا يختلف، أشكر لطفك لكنه أوشك على جرح كبريائي، فقط لأنه منك لم اعتبره كإهانة وبدون الإطالة أرجو منك مرة ثانية ألا يتكرر هذا.

بعدما جفت شفتاه، واحمرت وجنتاه، بلع ريقه بصعوبة بالغة فقد أخذ توبيخا سيدوم أثره لفترة من الزمن.

حسنا، كان هذا ثقيلا بعض الشيء لكنه من حقك، هل يمكنني استبدال السؤال؟

هل انت دائما كثير الأسئلة؟

حسنًا سأغير السؤال، بل سأحوله لطلب.

هذا مثير للاهتمام سيد سامي، يا ترى ما هو طلبك المهم الذي استبدلت السؤال به؟

أريد رقم هاتفك للاطمئنان عليك لاحقًا، وأرجو ألا تسيئي فهمي.

وفي لحظة إنهائه كلماته انصرفت تانيلا من فورها وتركته واقفًا مع الإحباط الذي أشعلته فيه، فراح يلعن لسانه سرًا بسبب ما تفوه به، وفي رمشة عين عادت وفي يدها هاتفها المحمول، فانتبهت لدهشته وراحت تسأله عن سببها، فقال: *إنه ظنها هربت منه بسبب طلبه فانفجرت ضاحكة بسخرية وغاص هو في خجله.*

*****

في صباح اليوم التالي استيقظت تانيلا مبتهجة كما لم تكن من قبل، توجهت للعمل وراحت تعمل بكامل طاقتها المرحة، إلا أن فتات الخبز الذي كان عالقًا فوق طاولة الزبائن غيّر مزاجها قليلًا، لكنها لم تبال فقاومت تعب ذاك اليوم، وفي وقت آخر من ذاك اليوم دخلت فتاة سمراء قصيرة القامة في العشرينات من عمرها تغطي جسدها ثياب رثة، وملامح وجهها البريئة تعطي انطباعًا جيدًا لكل من يراها، التفت لتبتسم مع تانيلا بخجل باد على وجنتيها الحمراوين، فتقدمت نحو الأمام لتبادرها تانيلا بالسؤال كما تفعل مع باقي الزبائن:

أهلًا بك سيدتي، هل تريدين حجز موعد أم ترغبين بانتظار أحد ما؟

أجابتها بابتسامة وازدادت وجنتاها احمرارًا:

أهلا، لا داعي لذلك، شكرًا، لقد اتصلوا بي من هنا قائلين إنه قد تم قبول سيرتي الذاتية.

ثم صمتت قليلًا وأضافت: *كي أقوم بالتنظيف.*

تركتُ "قدس" الفتاة الجديدة مع تعليمات المدير الذي تغيرت معاملته مع الجميع خصوصًا معي، فقد بات مختلفًا تمام الاختلاف عما كان عليه قبل لقائي بسامي، حتى إن تصرفاته جعلت الجميع يحترمني، أو دعونا نقول إن الإشاعات التي أطلقتها شيماء بأنني على علاقة مع السيد "سامي" هي التي غيرت تصرفات الجميع نحوي.

مر اليوم كسائر الأيام وعدت للبيت بعدما أتممت عملي بجهد أقل، ولحسن الحظ أنني تذكرت ري الأزهار التي لطالما اعتنت بها أمي رحمها الله في حديقتنا الصغيرة التي تقبع خلف المنزل، ارتحت قليلًا وتململت على فراشي بشدة، فالتعود على العيش بشكل طبيعي بعد فقدانك أعز الناس عليك شيء

صعب، رحت أتأمل غرفتي الصغيرة التي تذكرت الآن أني لم أحدثكم عنها بعد، لون جدارها بنفسجي غامق مائل للسواد، في الحقيقة كنت أنوي صبغها بالأسود كليًا لكن والدتي قالت إن هذا سيجلب لي الحظ السيئ، لكنني خالفتها الرأي فمن غير الممكن أن يكون الأسود نذير شؤم فهو كغيره من الألوان، لماذا لا يكون اللون الأصفر هو الذي يجذب الحظ السيئ مثلًا؟**!** لا يوجد بغرفتي تلفاز لأني أشاهد كل الأشياء على حاسوبي كما أنني قليلًا ما أشاهد أفلامًا أو مسلسلات، أمتلك طاولة خشبية صغيرة وفوقها الكثير من الكتب بعضها خيالية وبعضها روايات رعب لأني غير مهتمة بالقصص الرومانسية، ستجدون الأمر مضحكًا أو غريبًا لكني أجد أن الروايات الرومانسية "خيالية" والكتب الخيالية "ممكنة"، فلا يوجد في قاموسي شيء مستحيل سوى "الحب". إحساس غريب يجتاح قلبي لا أستطيع تفسيره وكأنه ينقصني جزء مني ولا يمكنني معرفة ماهيته، أشعر كمن فقدت ذاكرتها في منتصف بحثها عن أحد ما، وقد أكون ضائعة لمن يبحث عني**!**

ظلت تلك المسكينة تحدث نفسها وتقول لماذا يجب على الطيبين مثلي أن يعانوا بصمت؟ ألا يحق لهم الشكوى؟ هل هذه هي عدالة الحياة أن يحيا المجرم سعيدًا ويعيش في نعيم دائم، أما المظلوم المسكين فعليه أن يعاني ويعاني، ويعاني؟**!** صحيح أن الجميع لديهم أحزانهم ومشكلاتهم الخاصة لكن ما لا أعلمه هو هل جميع الناس متساوون في درجة الألم على الرغم من اختلاف الجراح؟

شردت بذهنها بعيدًا لترتسم على وجهها ابتسامة خفيفة، ثم قالت موبخة نفسها: *هاه ما بك يا عقلي؟ ألم تجد شخصًا غيره لتفكر به؟ من بين جميع الذكريات التي تخزنها فكرت بكازانوفا الآن؟* استوت جالسة بعدما دهمتها الأفكار التي لم تستطع طردها من عقلها ثم راحت تقول: *"حسنا كما تريد سألقي نظرة*

خاطفة على حاسوبي لأرى إن كان ذاك الغبي موجودًا، ولعلمك لن أتحدث معه قبل أن يفعل ذلك".

انتقلت من سريرها لتجلس أمام حاسوبها وراحت تنتظر شاشة الترحيب ولكن سرعان ما ذهب حماسها سدى بعدما رأت أنه غير متصل *"أبله! لست هنا بالطبع لابد أنك تتحدث مع الحسناوات".* ضحكت بسخرية مضيفة *"لابد أنه يقوم بوشم ميزان العدالة على كتفه".* ثم تنهدت بذهول وأضافت بنبرة تعجب: *"لا لا مستحيل! هل يعقل أن يكون متزوجًا!".* أشاحت بعينيها وأخذت تضحك ثم قالت بسخرية *"ومن المجنونة التي تقبل الزواج من أهبل مثله!".*

استمرت تانيلا بالحديث مع نفسها حتى أشاحت بنظرها إلى طاولتها الصغيرة، كان فوقها مصباح صغير لونه بنفسجي وبه أربعة أدراج، اتجهت نحوها وأخذت كتابها المفضل وراحت تقرأه بكل حب وحرصت ألا تطفئ حاسوبها منتظرة مجيئه حتى مرت نصف ساعة كاملة، نهضت تتوضأ بعدما سمعت أذان العشاء وهي تشتكي من الآلام التي أصابت رقبتها جراء انحنائها المتواصل خلال القراءة.

"يا رب احمِ أخي وأحببه فيّ، أتمنى ألا يكرهني بعدما يكتشف أنني أخته، آمين."

رفعت الخمار من على وجهها بعدما أنهت صلاتها ثم نهضت مسرعة لترد على هاتفها الذي رن فجأة، وكان هو! كان رقمه غير مسجل على هاتفها وعندما بدأت المكالمة تعرفت على صوته على الفور.

مساء الخير.

مساء النور.

كيف حالك يا زهرة البنفسج؟

لله الحمد، ماذا عنك؟

أنا رائع ما دمت رائعة يا زهرة البنفسج!

ضحكت قائلة: *ما حكاية زهرة البنفسج خاصتك؟*

لن أخبرك إن لم تدفعي لي.

هكذا إذن؟

هذا صحيح يا آنسة لقد انقلب السحر على الساحر.

حسنًا لا يهم، فلست فضولية مثلك!

ما بها نبرة صوتك تغيرت؟ لا تعبسي سأخبرك.

قاطعته قائلة: *انس الأمر لست مهتمة، بل أنا مسرورة باتصالك للاطمئنان علي.*

ومن قال إنني اتصلت لأطمئن عليك؟ كنت أشعر بالملل، فقلت لماذا لا أجرب الرقم الذي أعطته لي تلك المجنونة؟ لعله يكون رقمًا خاطئًا!

الله يسامحك.

استمرا بالضحك والحديث قليلًا حتى استأذن بإقفال الخط.

*****

غادر سامي مكتبه بعدما أنهى المكالمة وراح يتمشى بكامل أناقته وهو يضع يده في جيب بذلته الأنيقة ويحمل بيده الأخرى حقيبته السوداء، ظل يتمشى في رواق الشركة وهو يصفر، كانت المحال مغلقة في ذلك الوقت المتأخر من الليل فراح يتأمل الفساتين الجميلة، فساتين أقل ما يقال إنها ساحرة بقماشها الفاخر وتصاميمها اللافتة، فساتين تعب عليها الكثير من الخياطين والمصممين لتبدو كلوحة فنية، كان الضوء خافتًا، يبدو أنّ المكان يحتاج إلى بعض الشموع حتى يصبح رومانسيًا، غاص في شروده عميقًا باسترخاء خلق في ذاته شعورًا جميلا، وفي لحظة من الزمن أحس بالماء يداعب قدميه وكأن أحلامه سافرت به إلى شاطئ البحر، وفجأة استيقظ من شروده وأنزل رأسه ليجد أن قطرات الماء تلاحقه، فقفز قفزةً عالية كالقنغر مبتعدًا والدهشة تغمره، حتى سمع صوتًا يصرخ: *ألا ترى أيها الأبله أنني أقوم بالتنظيف؟*

رفعت الفتاة الجديدة يدها مشيرة إلى حيث يقف وأضافت: *هل تعرف كم مرة نظفت تلك المنطقة؟ يا رباه ستتسخ الآن مجددًا بسبب حذائك!*

تلاقت عيناه بعينيها الجميلتين، ظلت قدس تعاتبه وتصرخ لأنها لم تعرف من يكون وحتى لو عرفت أنه ابن رئيس الشركة فلن يهمها لأنها عنيدة خاصة عندما يجتاحها الغضب، أما سامي فقد سافر إلى عالم آخر وهو يغوص في ملامحها الجميلة، استولت عليه عيناها الجذابتان حتى أن صوتها قد تراءى له على شكل صدى ولم يركز في أي مما قالته! ارتسمت ابتسامة على وجهه زادته وسامة وتنهد تنهيدة هادئة، أما قدس فقد زاد صمته من غضبها:

يبدو أنك لا تفهم اللباقة، لذا في المرة القادمة، حاول أن تنظر إلى أين تقف وإلا لن تجدها ملتصقة بجسدك!

ثم ابتعدت ودخلت إلى المطعم لتكمل التنظيف، ظل سامي واقفًا يتأملها، كان يريد أن يتحدث معها أو على الأقل أن يوقفها لكنه فضل السكوت ليتأمل وجهها وهو يقول في نفسه: *"هل هذا هو الحب من أول نظرة يا سامي؟ هل هذا هو السبب في شعوري الجميل هذا؟"*. ثم تذكر عندما أهانته وراح يضحك بينما يقول في نفسه: *"لقد أصبحت أهان من الحسناوات أيضًا"* قرر اللحاق بها داخل المطعم ليتحدث معها لكن صوت والده منعه.

"أراك لا تزال هنا يا سامي".

استدار ليرد عليه قائلًا: *لا أعلم، ما رأيك؟*

ضحك جميل مستهزئًا ثم قال:

أخبرني كيف كان يومك الأول بالشركة؟

رد سامي بتذمر:

أنت تعلم مسبقًا رأيي.

آه يا سامي، أعلم أنك خائف من تحمل مسؤولية الشركة يا بني، وتشعر بأنك لا تزال صغيرًا على ثقل كهذا، لكن ضع في رأسك أنني كنت مثلك قبل بدئي بالعمل وصدقني مع الوقت سوف تتأقلم و..

قاطعه سامي بنبرة حزينة وهو يخرج يده من جيبه بعصبية:

أبي!! أنت تعلم جيدًا أنني لا أحب العمل في مجال التصميم لأنني أملك أهدافي وأحلامي الخاصة، وأحبها على عكسك! أنت أحببت العمل هنا لأنه حلمك منذ الصغر لكن حلمي مختلف عنه.

قاطعه جميل قائلًا: *سامي، إذا كنت تنوي أن تفتح معي موضوع الفن مرة أخرى فلا تتعب نفسك!! مكانك معي هنا في هذه الشركة اللعينة حتى يحين الوقت وتصبح رجل أعمال مشهور كوالدك تمامًا، فهمت!*

تأفف سامي وهو يشيح بنظره إلى الباب الأمامي للشركة محاولًا الهروب من هنا بلا عودة ثم تنهد جميل، وابتسم وكأنه شخصًا مختلفًا عن الذي كان يصرخ غاضبًا: *هيا يا بني لا تجعلني أغضب منك أكثر.*

نظر إليه سامي وعيناه تعكسان علامات الحزن، ثم ابتسم ابتسامة مكسورة وغادرا الشركة.

*****

فجأة سمعت تانيلا صوت الدردشة فركضت إلى حاسوبها وهي تحمل في يدها رغيفًا محشوًا بالشاورما اشترته من مطعم مجاور، جلست أمام حاسوبها وراحت تلتهم الحروف بعينيها:

"احم، يا من لم تسألي عن حالي، هل أنت موجودة؟"

فرحت كثيرًا بعدما قرأت رسالته وهي تلتهم الطعام، فقد كان الجوع قد عزف سيمفونيته في معدتها الخاوية حتى كادت تسقط الصلصة على لوحة المفاتيح، مسحت يديها بورق جاف ثم كتبت: *مرحبًا أيها المخترق.*

أوه، انظروا من رد على رسالتي! كيف حالك؟ ألم تشتاقي لي؟

ضحكت تانيلا بخجل: *ولماذا أشتاق إليك؟ كنت رائعة قبل رؤيتي رسالتك.*

أرسلت الرسالة ثم راحت تفكر فيما إذا كان سيعتبر كلماتها جارحة أم سيفهمها كمزحة كما قصدتها فكان رده: *هكذا إذن أيتها الحشرة، حسنًا سأغادر ولن أزعجك مرة ثانية!*

انتظر رجاء.

ماذا تريدين؟

أنا لست حشرة!

آه، أعتذر لم أكن أدري أن السيكادا عصفور جميل.

ضحكت على تفاهته ثم كتبت:

"لست مضحكًا!"

لماذا ضحكت إذن؟

ذهلت من رده لثوان، شعرت بعدم الراحة فقد داخلها الشك في أن يكون اخترق جهازها، مع أنها تعلم أن هذا شيء يستحيل حدوثه! لكنها ارتاحت بعدما قرأت رسالته التالية.

هل أصبت في تخميني؟

أحمق، ماذا عنك؟

ماذا عني؟

هل اشتقت؟!

قليلًا، كيف كان يومك؟

كان أروع يوم مر عليّ منذ أشهر.

حقًا؟ ماذا حدث هل تمت خطبتك؟

ضحكت بسخرية: *بل جمعتني الأقدار أخيرًا بشخص لطالما تمنيت أن يكون حقيقيًا.*

من يكون هذا الشخص يا ترى؟ هل هو شخص أحبه قلبك مثلًا؟

لا ليس كذلك، يمكنك القول إنه سند لي.

هل هو جدك؟

كلا، بل شقيقي.

وسط كل تلك السعادة التي كانت تغمرها نسيت أن مشاركة المعلومات الشخصية أمرًا ممنوعًا، استمرا بالحديث وفي وقت لاحق قررا لعب لعبة مسلية للتعرف أكثر على بعضهما البعض.

ما رأيك أن نلعب لعبة سؤال مقابل سؤال شرط أن تكون الإجابات صادقة.

موافقة؟

كتبت تانيلا بحماس وكأنها استلمت جائزة: *حسنًا، ابدأ أنت أولًا كي أفهم اللعبة أكثر.*

أخبرتني من قبل أن والدتك متوفية، رحمها الله.

هذا صحيح.

كم كان عمرك عندما توفيت؟

ذكرها سؤاله بأمها، لكنها قاومت دموعها التي كادت تقفز من عينيها، وأخذت تحك رأسها مستنجدة بذكرياتها حتى تجيبه:

بصراحة لا أتذكر بالتحديد، ربما ثلاثة عشر سنة أو أقل من ذلك.

أعتذر إن كان سؤالي أزعجك، دورك.

فكرت لثوان في أي سؤال ستختاره وقررت طرح أبسطها: *لماذا أصبحت مخترقًا؟*

انظري سأصارحك بشيء! أنا أكره المخترقين وجميع من يعمل في هذا المجال.

استغربت تانيلا من إجابته كثيرًا ثم كتبت متسائلة: *لماذا تكرههم وأنت واحد منهم؟ هل هذا يعني أنك تكره نفسك؟*

المخترقون لا يمثلونني، كل شخص يمثل نفسه بأسلوبه وشخصيته، وأنا قمت بمصارحتك لا غير.

وجدت أن إجابته لم تمحو علامات الاستفهام التي أصابتها، فطبعت على اللوحة: *حسنًا لكن لماذا قلت..*

فقاطعها قائلًا: *حان دوري يا سندريلا، أخبرني ما الذي فعلته بتلك الأداة؟ !*

ترددت تانيلا بالإجابة على سؤاله ثم قالت بإيجاز: *استخرجت بها معلومات مهمة كنت بحاجة إليها.*

لست أحمق! أعلم أنها أداة لاستخراج المعلومات المهمة؛ لكن من أين قمت باستخراجها؟

من المركز الذي أعمل فيه ولا تسألني أكثر! الآن دوري.

همم.. أنت واعرة! حسنًا.. تفضلي.

فكرت وفكرت ثم ترددت بطرح السؤال الذي خطر ببالها بسبب شعورها بالخجل الذي واتاها؛ ثم استجمعت جرأتها أخيرًا وأقنعت نفسها بأن غرض هذا السؤال معرفة المزيد عن هذا الشخص الغامض الذي تحادثه: *هل أحببت من قبل؟*

أجل.

حقًا! هذا يعني أنك مرتبط؟!

أعتقد أن دوري قد حان، ما هو اليوم المثالي في نظرك؟

أطلقت تانيلا زفرة قوية معبرة عن غضبها من تجاهله لسؤالها، ثم حدثت نفسها قائلة *"من أين يأتي بهذه الأسئلة الملبكة يا ترى"؟*

فكرت قليلًا بالجواب ثم ردت:

عندما أجتمع مع أبي وأمي ثانية، وربما مع أخي، لكن للأسف هذا لن يحدث.

هل أفهم من كلامك أنك تعيشين بمفردك؟

حان دوري يا كازا الفضولي!

حسنًا إليك الخط يا سندريلا.

هل افترقتما؟

صمتت قليلًا ثم أضافت: *أعني.. أنت وحبيبة القلب!*

لا، لم نفترق بل فرقتنا الحياة.

كيف ذلك! ماذا تعني؟

هل تريدين سماع قصة حقيقية لم يسمع عنها الكثير؟ لكن أنبهك قد تكون أكثر إيلامًا مما يتحمله قلبك!

اقتربت تانيلا من الشاشة أكثر بعدما غمرها الفضول ثم ارتشفت رشفة ماء وراحت تقرأ رسالته:

"كان اسمها "زينة" ابنة خالتي، أحببتها وأحبتني وعشنا قصة حب جميلة.

صمت قليلا ثم أكمل:

استيقظت في يوم ظننته كسائر الأيام، لكنه كان يومًا من أحلك الأيام، لأجد صورها منتشرة أمام المنزل كصور دعائية، صور حبيبتي التي حفظت ملامحها أكثر من ملامح نفسي وهي عارية تمامًا كطفل رضيع وكأنها نجمة أفلام إباحية، غضبت وشتمت ولعنت نفسي والفاعل! علمت لاحقًا أنها تعرضت للاختراق وتم نشر صور وفيديوهات لها مخلة بالحياء على العديد من المواقع الإلكترونية، ورآها من يعرفها ومن يجهلها ! لم أكن لأستطيع فعل شيء، شعرت بالضياع، اتصلت خالتي عليّ لأساعد ابنتها المسكينة التي كانت توشك على الانتحار وكانت متيقنة من أن لا أحد يمكنه تهدئة حالتها المزرية غيري.

ذهبت مهرولًا بالسيارة وقُدت بسرعة جعلت من بالطريق يظنني مجنونًا! فعلت كل ما بوسعي لألحق بها لكن..

أكمل رجاء، ماذا حدث؟

لكن كان الأوان قد فات يا سيكادا. هذا صحيح طفلتي الصغيرة كما اعتدت أن أناديها انتحرت، كانت الصدمة قوية عليها وشخصيتها كانت أضعف من أن تتحمل مثل هذه الصدمة.

صمتت الشاشة فترة لتعود النقاط الثلاث مجددًا:

أصبحت ذاكرتي ضعيفة بسبب الآلام التي عشتها في حياتي حيث إن نصف ذكرياتي انمحت أو اختفت، لا أدري! كل ما أتذكره جسدها الذي كان بلا روح.

لم تعرف كيف ترد أو ماذا تقول لتواسيه! يمر الحزن على الجميع، لكن الصدمات تترك في أرواحنا آثارًا أعمق من الجراح.

رحمها الله وصبر قلبك، أعتذر لأني فتحت جروحك وذكرتك بمصيبتك؛ حقا آسفة.

لا داعي للاعتذار فهذا ليس خطأك، لم يعد يؤلمني الأمر كالسابق فالزمن وقوة الوعي كفيلان بمداواة الجروح وجعلها مصدر قوة، بدلًا أن تكون مصدر ضعف.

سيفرجها الله، فقط قل يا رب.

إن شاء الله، ما زلت غير مصدق كيف أمكنها فعل هذا بي! كيف تمكنت من تركي بهذه بسهولة! على الرغم من مرور ثلاث سنوات على الحادثة! ولو مر الدهر كله سيبقى هذا السؤال يرافقني.

لطالما قالت أمي إن الميت يأخذ معه سره، ألم تحاول البحث عن الشخص الذي فعل هذا بها؟

بحثت جيدًا ولم أجد الكثير، فقط اسمه المستعار، ولم أتمكن من إيجاده إلى الآن.

*****

أزاحت الشمس بنورها الساطع غبار الكآبة فنهضت تانيلا من نومها العميق لتكتشف أنها نامت ساعات قليلة على الكرسي دون أن تشعر، وأصابها الارتباك عندما أدركت أنها تأخرت عن العمل فسارعت إلى ارتداء قميصها المبهدل، وحذاءها الذي لمعت شقوقه.

وصلت بعد نصف ساعة لتجد قدس تنظف مدخل المطعم، فراحت تسألها بصوت خافت مشيرة بيدها إلى الداخل: *صباح الخير عزيزتي، هل المدير بالداخل؟*

أجل، لكن احذري من نار غضبه كي لا تحرقك!

ضحكت تانيلا ثم قالت: *سأخاطر وأدخل قبل أن يراني، وإن رآني لا تنسي وضع الورود فوق قبري.*

تبادلتا الضحكات حتى مدت تانيلا يدها لتصافح قدس معرفة بنفسها قائلة: *سررت بمعرفتك، اسمي تانيلا.*

وأنا بالأكثر، اسمي قدس.

لماذا لستِ بالمدرسة؟

لأني تركتها، لكنني لا أزال أدرس عن بعد، أي بالمراسلة.

هل يمكنني أن أكون فضولية وأسألك عن السبب؟ إن لم تمانعي بالطبع!

ابتسمت قدس بلطف ثم قالت:

أنا أقطن مع جدتي وهي كبيرة في السن والمسكينة مريضة، هي كل عائلتي، تحتاج إلى عملية جراحية باهظة الثمن خارج البلد، لهذا اضطررت للعمل هنا.

تعاطفت تانيلا مع قدس بعدما عرفت قصتها وأحست بالعجز والضيق لعدم تمكنها من مساعدتها، مر نصف اليوم وكان تفكيرها كله منصبًا على البحث

عن طريقة تمكنها من دخول مكتب جميل، كانت قدس تمسح الأرضية بجهد كبير ولاحظت تانيلا إرهاقها فذهبت إليها وأخذت المكنسة من يدها ثم قالت لها: *دعيني أكمل عنك الباقي واذهبي لترتاحي.*

لا يمكن، أخاف أن يعود المدير، وإن رآني جالسة يصب جام غضبه علي.

لا تقلقي، سأغطي عليك، أساسًا لم يتبق الكثير على استراحة الغداء، هيا.

تمكنت تانيلا من إقناعها ثم أخذت الممسحة وتوجهت إلى المصعد بسرعة، ثم ذهبت للرواق الذي يوجد به مكتب "جميل"، لتسجل في ذاكرتها مختلف التفاصيل وعدد الكاميرات، لكن المشكلة لم تكمن في كاميرات المراقبة فحسب وإنما في سكرتيرة المكتب الحمقاء.

مرحبًا، أتيت لتنظيف المكاتب.

أجابتها السكرتيرة بعد أن أخفضت نظارتها وهي ترمقها بنظرات الشك:

عذرًا، لا يمكنك الدخول دون إذن السيد جميل، كما أنه في اجتماع مهم حاليًا.

ابتسمت تانيلا وهي تلعنها في سرها: *حسنًا، لا مشكلة سأعود لاحقًا.*

*****

جلست قدس لترتاح وهي تشعر بالطمأنينة لوجودها بمفردها، فالجميع ذهب لاستراحة الغداء، فإذا بها تُفاجأ بما لم تكن تتوقعه على الإطلاق، ركض نحوها كلب صغير فراؤه ذهبي كأشعة الشمس الصباحية، راح يلعقها وهو يعوي فانحنت نحوه رغم تفاجئها وراحت تلهو معه بمرح كبير وتداعبه قائلة:

يا عمري، من تكون أيها الصغير وأين مالكك؟ أخبرني أين والدك؟

والده هنا!

فوجئت من الصوت الذي رد عليها، واستوت واقفة لتجد سامي يقف خلف الكلب وعلى وجهه ابتسامة حمقاء، فتساءلت دَهِشة: *ما الذي تفعله هنا؟ أكنت تلاحقني؟!*

أخذ سامي يضحك من سؤالها وبراءتها في الوقت نفسه، ثم قال:

كم أنت ذكية!! كيف عرفت يا ترى؟

رفعت يدها مشيرة بإصبعها إلى الباب؛ ثم قالت بعصبية:

رجاء انصرف قبل أن يراك المدير ويطردني!

ظل سامي يضحك غير مبال بما قالته، مما زادها غضبًا: *أأنت مجنون؟؟ ألم تسمع ما قلته؟!*

استمر سامي بالضحك كما لم يضحك من قبل، فتنهدت قدس متسائلة إن كانت أخطأت بشيء لتبتلى بهذه المصيبة، توجهت إلى المطبخ وأحضرت دلوًا ملأته بالماء البارد وراحت تضحك سرًا، وعند امتلائه حملته بكل ما أوتيت من قوة وألقته على سامي الذي تجمد مكانه وأصبح كالديك المبلل.

ما الذي فعلته يا مجنونة!!

نلت ما استحققته!

أضحكها شكله الجديد، لكن سرعان ما زالت ضحكتها بعد أن رأت المدير قادمًا نحو المطعم، عندئذ أدركت أنها أصبحت في وضع خطير

هيا! أسرع إنه قادم رجاء، اخرج من هنا وخذ كلبك معك!!

تسمر سامي في مكانه وراح يتتبع تحركاتها بعينيه ويضحك عليها وعلى نفسه، ثم تقدمت قدس نحوه وراحت تدفعه للأمام بكامل قوتها نحو الطاولة ثم قالت له في رجاء:

انظر سأسامحك على تتبعك لي وعلى الفوضى التي سببتها لكن رجاء اجلس هنا والزم الصمت، لأن هذا العمل كل ما لدي ولا أريد خسارته.

عانق سامي كلبه دون أن يتوقف للحظة عن الضحك على نفسه وراح يقول له:

لقد أصبحت أعامل كالمجانين يا "سموكي".

ضربت الطاولة بقدمها وقالت هامسة:

هششش لقد دخل!

أهلًا بك سيدي..

قاطعها بنبرته الحادة:

ما الذي تفعلينه عندك! أليس لديك عمل تقومين به؟!

لقد أتممت عملي قبل قليل.

رد عليها باستهزاء:

إذن اخلقي عملًا جديدًا!

شعرت قدس بالإهانة لكنها كظمت غيظها وهي تقول بأدب:

حاضر سيدي، على الفور.

لم تكمل كلامها حتى رأته استقام في وقفته، بينما كان ينظر خلفها ثم قال:

أهلًا أهلًا سيد سامي، بماذا ندين لك بهذه الزيارة السارة!

التفتت قدس إلى الوراء لتجد سامي يقف خلفها، فراحت تعض شفتها من الفزع، وهنا راح سامي يوبخ المدير قائلًا: *من الواضح أنها جديدة في العمل، لماذا توبخها بهذه القسوة؟!*

تقدمت قدس بسرعة كبيرة نحوه ثم وضعت يدها على فمه، وراحت تعتذر إلى المدير، وتقول:

هل جننت إنه مديري!! اعتذر منه فورًا!

أتاها الرد من المدير الذي أسرع نحوها وأنزل يدها من على سامي قائلًا: *ما الذي تفعلينه؟ هل جننتِ! ابتعدي عنه فورًا، إنه السيد سامي ابن رئيس الشركة!!*

دخلت قدس في دوامة من الخوف والحيرة جعلت قلبها يخفق بقوة، بينما سامي يحدق فيها دون أن ينبس بكلمة.

راح المدير يحثها على الاعتذار إلى السيد سامي، تنهدت بعمق وبلعت ريقها ثم قالت: *أنا آسفة سيد..*

فقاطعها سامي قائلًا: *بسيطة، لا داعي للاعتذار، أتمنى أن يكون هذا درسًا لك حتى لا تتواقحين مع الغرباء مرة أخرى.*

استشاطت غضبًا وراحت تلعنه في سرها؛ إلا أنه انصرف مباشرة وأخذ معه كلبه اللطيف.

ذهب وتركها غارقة في خجلها حتى أتت تانيلا وسألتها عن سبب توترها قائلة: *ما الخطب؟ لماذا ترتجفين هكذا؟*

زفرت قدس ثم قالت وهي تهز كتفيها: *لا شيء، ماذا عنك لماذا تبدين غاضبة هل حدث شيء؟*

لا؛ لا شيء أيضا.

توجهت تانيلا لتستريح قليلا من الشقاء الذي عانته خلال التنظيف فإذ برسالة من مجهول تصل إلى هاتفها، ففوجئت من عدم وجود رقم المرسل، وفوجئت أكثر من محتواها *"بانتظارك عند مدخل الشركة ملاحظة: في سيارة سوداء".*

تعجبت**!** وراحت التخيلات تبعث لعقلها صور كارثية، وتمنت لو كان حاسوبها بين يديها الآن، لكانت استخرجت اسم المرسل وجميع معلوماته الشخصية الظاهرة منها والخفية، لكن للأسف لا الوقت يسمح لها باكتشافه ولا المكان، وضعت كل ما كان بين يديها من عمل وتوجهت إلى مدخل الشركة بينما كانت تراقب الوجوه، وقفت برهة أمام الباب الخارجي وراحت تتلفت يمينًا ويسارًا حتى رأت سيارة سوداء فارهة زجاجها معتم فلم تستطع رؤية شيء، انتظرت

ثواني معدودة وتجرأت أخيرًا على التقدم نحوها، لكنها لم تفعل شيئًا سوى الوقوف أمامها فإذ بزجاج نافذة ينزل شيئًا فشيئًا وهنا ارتعبت تانيلا، وازدادت دقات قلبها حتى رأت صاحب الرسالة بشحمه ودمه!

سامي!!

كان سامي يكاد لا يتنفس من شدة ضحكه، أما تانيلا فقد شعرت وكأن بركانًا من الجحيم يخرج من أذنيها، فراحت تشتمه بكل ما تعرفه من شتائم وعندما رأت أن هذا لم يوقف ضحكه، صعدت إلى السيارة وأخذت تضحك معه.

أنا.. أنا آسف حقًا، لكن لو رأيت تعابير وجهك عندما فتحت الزجاج لقلت إن الأمر يستحق فعلًا!

عيب، عيب عليك، والله لو ترى الخوف الذي عيشتني فيه يا سامي!

أنت محقة، لكن أخبرتك أنه استحق لأني أحضرت لك شيئًا سيجعلك تسامحيني على ما فعلته.

آه، ألهذا السبب تجرأت! يعني جهزت الاعتذار قبل المصيبة!

ضحك ثم رد عليها وهو يهز برأسه:

نعم هذا صحيح، ضعي حزام الأمان لننطلق!

معذرة؟ ننطلق إلى أين يا سامي؟ هل تنوي دفني بعد أن قتلتني بسكتة قلبية!

سترين بنفسك.

انطلق سامي بتانيلا إلى الوجهة التي أصر ألا يخبرها عنها كي لا تزول المفاجأة، لكنها كانت متأكدة من أنه حتى لو أخبرها عن اسمها فلن تعرفها.

سارت السيارة إلى أن وصلا إلى منطقة تغص بالخضرة وقطعان الأغنام، حينها تذكرت أنها مرت بهذه الطريق من قبل مع والدها لكنها لم تكن تعرف أن بها منعطفات تؤدي إلى هذه الأماكن الجميلة، استمرت السيارة بالمضي قدمًا قبل أن تنعطف مجددًا لتقف عند بداية جسر كبير، انبهرت تانيلا من حجمه وجماله فقد كانت مناظره الخلابة توحي بالاطمئنان والإلهام، كان سامي أول من نزل من السيارة توجه إلى صندوقها الخلفي واستخرج منه كيسًا به بعض الحاجيات ومنظارًا طويلًا، نزلت هي الأخرى لتجد أمامها الكثير من الهدوء والسكينة تحيط بالمكان أما هواءه فقد أعدته دواء للنفوس.

إنه أنسب مكان للتخلص من الضغوط، هل أعجبك مكاني السري؟

ردت تانيلا وهي تصرخ بسعادة كبيرة: *نعم! إنه رائع!! لكن ما هذا المكان؟!*

أخذ سامي يضحك وهو يقول:

كنت متأكدًا من أنه سيعجبك بشدة، هذا الجسر يطل على سد بني "هارون" خذي المنظار لتري المكان جيدًا.

أخذت تانيلا المنظار من يديه بسرعة كبيرة واقتربت من حافة الجسر وراحت ترقب الجبال المكسوة بالخضرة الغناء وهي تعانق السحاب، وتمنت لحظتها لو كانت هدهدًا لتطير وتتمكن من الاستمتاع بسحر المناظر وروعتها، ودون أن تختفي الابتسامة من على وجهها قالت: *هذا المكان يستحيل أن يكون في هذه الدنيا، إنها الجنة.*

هز سامي رأسه بالموافقة مبتسمًا؛ ثم أشار بيده وقال:

انظري إلى تلك الفرس! كم هي سعيدة مع ولدها غير مكترثة بمشاغل الحياة وصعوباتها! وجل ما تفعله هو المرح واللهو مع ولدها.

ضيقت عينيها باجتهاد بالغ لتراهما يلهوان معا ثم قالت مبتسمة:

يا لروعتهما تشعر بالحرية تتدفق منهما، لكن كيف عرفت أنه ولدها وليس ابنتها؟

هز كتفه بغرور وقال:

بسيطة، لا تحتاج إلى تفكير، لأنه وسيم مثلي!

أخذت تضحك من إجابته بينما فتحت يديها كجناحي عصفور يوشك على الطيران، ثم أغمضت عينيها وراحت تستشعر نسمات الهواء وهو يداعب شعرها فجعلت خصلاته تحلق عاليًا.

التفكير بالأمر سهل لكن تنفيذه صعب!

فتحت عينيها ببطء ثم أزاحت شعرها عن وجهها وسألته باستغراب: *التفكير بماذا تقصد؟*

أشار بعينيه نحو حافة الجسر وبابتسامة مكسورة قال: *بالقفز من هناك.*

أبعدت شعرها الذي كاد يأخذه نسيم الهواء معه، ثم ابتسمت وسألته قائلة:

وكيف علمت أنني فكرت بذلك، هل أنت ساحر؟

لو كان التفكير بالانتحار سحرًا لأصبح الجميع سحرة!

استدارت نحوه بكامل ثقتها ثم قالت:

لا تقلق، لن ألقي بجسدي من هنا فلو كانت الكآبة إنسانًا وجاءت إلى هذا المكان لأصبحت سعيدة.

غريب عالمنا، وغريبة صفات البشر، واختلافهم، لطالما آمنت أن الجميع متساوون، أو هذا ما جعلتني أمي أؤمن به، لكن بعدما كبرت أصبحت أرى "الناس" على حقيقتهم.

تفضلي غداءك قبل أن يبرد، أتمنى ألا تكوني نباتية لأني أحضرت لك شاورما، لم أعرف ماذا أجلب غيرها.

واو! أنت مليء بالمفاجآت سيد سامي، أحب الشاورما، والمكان سرق قلبي.

قضمت الرغيف متلذذة بمذاقه الطيب الذي كان إضافة جميلة للمكان وأضافت: *صحيح، تذكرت كيف تمكنت من إرسال تلك الرسالة رغم أن رقمك مسجل على هاتفي؟*

ضحك سامي وهو يتلذذ بالشاورما ثم قال: *هذا تطبيق جديد سمعت أنه جيد للمقالب، فقلت لماذا لا أجربه؟*

قاطعته قائلة: *ثم سيد سامي، قلت لم لا أجربه على تانيلا المسكينة وأصيبها بسكتة قلبية؟ أليس كذلك!*

ضحك بشدة لدرجة أوشك فيها على التشدق ثم قال: *حاشا، هل تعلمين؟*

ماذا؟

كلما ضاقت بي الدنيا أتيت إلى هذا المكان، أحيانًا أجلس داخل السيارة وأفكر في هدوء، وأحيانا كثيرة أصرخ لأنفس عن غضبي، ها قد أصبحت الآن أول من يعرف ملجأي.

وضعت تانيلا الرغيف جانبًا وابتسمت، ثم أردفت قائلة: *كانت والدتي رحمها الله تقول لي إن ضاقت بك الدنيا لا تربطي نفسك بأي أحد، لأن كل الناس زائلون.*

كلامها جميل، رحمها الله.

آمين.

انتهى سامي من الطعام ثم التفت نحوها متسائلًا: *ما هو حلمك؟*

ما مناسبة سؤالك يا ترى؟ هل ستتحول إلى مصباح علاء الدين وتحقق أحلامي مثلا؟

تنهد بحرارة وقال: *يا ليت، لو استطعت لحققت أحلامي وأحلامك!*

أوه! لماذا تتكلم وكأن أحلامك مستحيلة؟

لأنها كذلك.

بالنسبة لي الموضوع بسيط جدًا، لأني لا أمتلك أحلامًا.

صاح سامي: *هل أنت جادة؟*

أومأت برأسها بالموافقة غير مبالية بردة فعله: *لكن، لكن كيف؟ أنت غير معقولة لم أر شخص دون أحلام، نحن نحلم لنحيا!*

مممممممم، لم أفكر في الموضوع بهذه الطريقة، ولم يخطر ببالي أن أحلم.

صمتت برهة ثم أضافت:

ماذا عنك! ما هي أحلامك المستحيلة يا سيد الأحلام؟

ضحك بوجه مشرق وقال: *حلمي يا تانيلا أن أغدو عازف بيانو شهيرًا يستمع الناس إلى ألحاني.*

حقًا! لم أنتظر هذا منك أبدا! هل هذا يعني أنك تجيد العزف على البيانو؟!

راح يفكر قليلا ثم أجاب: *لو كنت مدرِسة بيانو لأعطيتني عشرة على عشرة.*

ضحكت بسخرية وقالت: *لم يعد هناك مدرسون يحسبون العلامة من عشرة، أنا أيضا أجيد العزف ولكن على آلة أخرى.*

حقًا! هل على الناي؟؟

كلا، بل على الحاسوب!

هز رأسه بابتسامة دون أن يفهم قصدها.

ما الذي جعل أحلامك مستحيلة؟ ولماذا لا تعيش حلمك الآن؟ لا أقصد أن أكون وقحة، لكن لا أراك تملك أي عقبات أمام تحقيقه لأنك...

صمتت قليلًا ثم أضافت بوجه عابس:

لأنك ابن السيد جميل!

أنتِ ذكية.

عفوًا؟!

ذكية لأنك سألتني سؤالًا وأجبت عنه بنفسك، الشيء الذي يمنعني من تحقيقه هو أنني ابن "السيد جميل".

رأف قلب تانيلا له وهي تقول في سرها *"حتى ابنك الذي تحبه يا جميل، حتى هو تريد أن تحركه كالدمية وتحطم حياته كما فعلت معي"*

لم تشأ إزعاجه بطرح المزيد من الأسئلة حتى لا تعكر صفوه.

مر الوقت بسرعة وحل القمر المنير محل الشمس المشرقة، فعادا أدراجهما.

*****

فتحت قدس باب المنزل بهدوء وخطت خطواتها بحذر نحو الداخل وفور أن دخلت سمعت أنين جدتها المريضة، فألقت الكيس الذي بيدها وجرت إلى غرفتها وراحت تقبلها على جبينها متفحصة درجة حرارتها، وما إن وجدتها مرتفعة حتى أحضرت منشفة مبللة ووضعتها على جبينها بكل رفق وأخذت تعصرها بين الفينة والأخرى، حتى فتحت الجدة عينيها بصعوبة بالغة وراحت تقاوم نوبة السعال التي تقاطع أنفاسها قائلة:

عدت إلى البيت يا بنيتي، لا تقلقي علي أنا بخير.

رفعت قدس حاجبيها بكل أسى وهي تنظر إليها دون أن يكون بيدها حيلة، تملّكها الشعور بالحزن والشفقة اتجاه جدتها التي تعاني أمام عينيها ولا تستطيع فعل شيء يساعد على إخراجها من حالتها المرضية، ثم فتحت فمها وقالت: *رجاء لا ترهقي نفسك بالحديث.*

نهضت قدس من على سرير جدتها وأحضرت كيس الدواء الذي جلبته معها وجعلتها تشرب منه حتى ساعدها على الاسترخاء، وطرد الألم من جسدها.

ارتاحي قليلا حبيبتي سأيقظك بعد نصف ساعة لتتناولي بقية الدواء، تصبحين بخير حال بإذن الله.

أمسكت الجدة يد قدس بصعوبة وقالت متسائلة بصوت منخفض:

من أين لك المال الذي اشتريت به الدواء يا ابنتي؟

هل نسيت يا جدتي؟ أخبرتك أنني أعمل في مكان راق جدا، وأعطوني راتبي اليوم.

سكتت قليلًا لأنها لم ترد أن تخبرها بحقيقة أنها تعمل عاملة نظافة.

أضافت مبتسمة: *لا تقلقي قلبك الحنون يا حنونة، نامي الآن جيدًا.*

الله يرضى عليك يا قدس، حاولي المرة القادمة ألا تأتي إلى البيت في وقت متأخر، فأنت تعلمين أني أخاف عليك، وكذلك تعلمين جيدًا حديث الجيران الذي لا ينتهي.

أجابتها قدس مازحة: *حاضر يا سيدة "ياسمين"، طلباتك أوامر.*

*****

كانت تانيلا تدردش مع كازانوفا، جعلها تضحك كما لم تضحك من قبل، خصوصًا بعدما ألقى عليها بعض النكات عنه وعن أصدقائه الذين وصفهم بالحمقى.

أنت حقًا مختلفة.

مممممممم، ماذا تقصد بمختلفة؟

مممم، أقصد أنك مختلفة وفقط، بطريقة جيدة بالطبع.

تورد وجهها خجلًا ثم كتبت:

إذن، هذا يعني أنك محظوظ لأني أحادثك، فالآلاف غيرك يتمنون مجرد نظرة مني.. احم.

ضحك قائلًا: *تواضعي قليلًا جلالة الملكة.*

لو لم أكن متواضعة لما تحدثت معك بالأساس.

ضحكت بعفوية وأضافت:

أمزح، أمزح.

يا مهبولة! ما رأيك أن نلعب لعبة الحقيقة مرة أخرى؟

لا أعلم لماذا تعشق هذه اللعبة إلى هذه الدرجة!!

فقط للاستمتاع لا أكثر.

هناك العديد من الألعاب الممتعة كـ "بوبجي" أو "كول أوف ديوتي" وغيرها، أو يمكننا تغيير قوانين اللعبة!

هل جننتِ؟ لا يمكنك تغيير القوانين!

كتبت بغرور: *القوانين خلقت لتخترق!*

أنتِ حقًا مختلفة وأحب اختلافك!

ارتسمت على وجنتيها ابتسامة خفيفة؛ ثم طبعت على لوحة المفاتيح:

ما رأيك بلعبة تحدي الجرأة؟ من يختاره يمكنه أن يسأل سؤالين مجانًا بشرط أن يجيب الشخص الآخر بالحقيقة، لا شيء سوى الحقيقة، موافق؟

حسنًا يا ذكية، السيدات أولًا!

ماذا اخترت؟ تحدٍ أم سؤال واحد عادي، وتجيب عنه بالحقيقة؟

أفضل أن تسأليني سؤالًا واحدًا فقط!

ضحكت بشدة وصاحت قائلة في سرها "علمت ذلك**!**" ثم كتبت: *يا جبان، دعني أفكر.*

ثم أكملت: *ما هو أكثر شيء مروع حدث لك في حياتك ولم تستطع نسيانه إلى حد الآن؟*

أترين؟ علمت أنك ستسألين أسئلة ذكية، لهذا السبب اخترت سؤالًا واحدًا.

ضحكت برقة ثم انتظرت منه الانتهاء من الكتابة حتى تعرف جوابه.

"في ليلة ممطرة بينما كنت أقود السيارة متجهًا نحو البيت رأيت حادثًا بين سيارة صغيرة وشاحنة ضخمة كانت تحمل قوارير الغاز، لم يثر دهشتي تقلص السيارة واختفاء ملامحها ولم أفزع بسبب الأشلاء الملقاة على قارعة الطريق، ما أثار روعي تلك الطفلة ذات الشعر الذهبي، لم تر من متاع الدنيا شيئا، كان عمرها بين السنتين والسنوات الثلاث.

صمت برهة لتعود النقاط الثلاث تتقافز: *كان الخوف والصدمة يخيمان على وجهها، وشفتاها المرتعشتان لا تتوقفان عن الحركة، تمشي وسط الجثث، باحثة عن أمها وهي تنادي عليها بصوت خافت، ويا ليتني لم أسمعه، فقد علق في أذني كالحلق، تستمر بالنظر هنا وهناك علها تجد شال أمها المزخرف فتتعرف إليها بين الضباب، المسكينة لم يفدها البكاء فقد صعدت روح أمها إلى السماء، شعرت وكأني كنت مقيدا بالسيارة، لم أستطع إزالة حزام الأمان بسهولة بسبب ارتعاش جسدي كله من هول ما رأيته، هرعت راكضًا نحوها حتى أنقذها من بشاعة المنظر لكن ويلاه! قد فات الأوان قبل وصولي عندها.*

وضعت تانيلا يدها على قلبها وكأن الحزن الذي في قلب كازانوفا انتقل إلى قلبها، تنفست بصعوبة واحتارت ما تقول! لكنها كتبت ببطء شديد وكأنها خائفة من معرفة ما سيقوله:

ماذا حدث بعدها يا كازا!

كانت سيارة أخرى في تلك اللحظة تحاول التوقف بعد ما فوجئ سائقها بالحادث، سمعت صوت المكابح ثم صوت ارتطام السيارة بجسدها الصغير، حدث كل شيء بسرعة ككابوس مخيف.

أصيبت تانيلا بصدمة مما حكاه وكأنها كانت تجلس معه في السيارة:

هذا مروع! أعتذر لفتح أوجاعك.

لا داعي للاعتذار، فأوجاعي لم تُنس أصلًا.

لا تلم نفسك لأنه لم يكن خطأك بل هو قضاء وقدر، وربما هذا أفضل لأنه لو عاشت فربما لن تكون سعيدة بفراق أمها.

لا أدرى يا سندريلا، فوجهة نظري لا تتفق مع وجهة نظركِ، انسي الأمر فقد حدث ما حدث وأعتقد أنه حان دوري في اللعبة، أخبريني من هو الشخص الذي تطلعينه على أسرارك؟

كتبت فورًا دون تفكير: *لا يوجد.*

أجيبي عن سؤالي.

لقد أجبتك! حقًا لا يوجد.

إذن من اليوم مُرحب بك، تستطيعين إخباري بجميع أسرارك.

أمالت رأسها على كتفها ثم زمت شفتيها وراحت تكتب بسرعة، وكأن حروف لوحة التحكم على وشك الهرب منها: *أتعلم يا كازا! أريد الاختفاء، أرغب بالهرب من هذه الأرض وكل ما تحويه، خصوصًا من البشر.*

لماذا تقولين هذا؟ ما الذي يدعوك لتمني مثل هذه الأمنية؟

خائفة من قرار قد أمضي على فعله وأندم بعدها، أشعر وكأن قلبي مسجونًا داخل قبضة يد عملاق!

بعد ثوان من الصمت حاول كازانوفا كتابة شيء مناسب ليرد به، أخيرًا قال: *بصراحة لم أعرف ماذا أكتب لك! فقد سرقت مني كل الحروف.*

ساد الصمت للحظات، حتى بدا كضيف ثقيل ينازعهما غرفة الدردشة، تنهدت وفكرت قليلًا لتطرح سؤالها: *ما هو الشيء الذي يجعلك ترتعب؟*

لمَ تختارين الأسئلة الصعبة! ماذا فعلت لك؟ يا شريرة.

ضحكت من حديثه ثم أضاف قائلا:

سأخبرك لكن عديني ألا تضحكي أولا!

لا يمكنني أن أعدك، فالضحك بات هوايتي المفضلة. "أضافت مع رسالتها القصيرة ذاك الوجه الأصفر الذي يحتوي على غمزة ولسان أحمر اللون"

رد عليها قائلا: *بصراحة، أخاف من الدماء.*

اعتدلت في جلستها منتظرة بحماس انتهائه من الكتابة حتى تعرف السبب وراء ارتعاده من الدماء.

كما تعلمين بعد انتحار حبيبتي، بتُ أرى كوابيس متوالية، لهذا السبب لم أستطع إنقاذ تلك الفتاة الصغيرة التي كانت وسط الدماء، أعتقد أني مصاب بهاجس الدماء جراء ذلك.

شعرت تانيلا وكأن رابطًا قويًا بات يجمعهما، أحست بشعور غريب لم تستطع فهمه، فكتبت بارتباك وثقة في الوقت ذاته: *لا تدع مخاوفك تتغلب عليك، ثق بأنك تستطيع التحكم فيها، فإن سيطرت عليها فلن تسيطر عليك! وأنا لدي هاجس من المرتفعات، لكن لا أفكر بها كثيرًا كي لا تتغلب علي.*

ما رأيك أن نتحد كي نواجه مخاوفنا! أي تتقوين بي وأتقوى بوجودك، حاولي مواجهة مخاوفك معي.

رفعت حاجبيها وقد ارتسمت عليهما علامة استفهام: *وكيف ذلك؟*

فلنلتقي يومًا ما أنا وأنت! نصعد فوق مكان عال! نمسك بأيدي بعضنا وتقومين أنت بمساعدتي، أقصد بجرح يدي كي أستطيع رؤية الدماء التي تتدفق لتشهد اللحظة التي نتخلص فيها من خوفنا، سأتحسسها بيدي الأخرى حتى أبرهن لنفسي أنه يمكنني محو جميع الذكريات السيئة فقط عندما نريد نحن ذلك.

ابتسمت وسافر عقلها إلى الفكرة وارتسمت الصور في عقلها، فكتبت له: *ماذا يحدث بعدها؟!*

بعدها سنجري إلى حافة الهاوية ولن نسمح للجاذبية بالتقاطنا، في الوقت نفسه سنكون بأمان "الشكر لمخترع المظلات" ستكفينا مظلة واحدة لننجو، إلا إن كان وزنك ثقيلا فهنا يتحول حديثنا إلى حديث آخر.

ضحكت بصوت خافت، ورأت نفسها تطير معه بالمظلة في مكان جميل يخلو من البشر، على الرغم من عدم ذكره مكانًا محددًا، كم بدا المشهد حقيقيًا**!** فجأة غمرها إحساس مفاجئ أعادها إلى الواقع المر الذي تتصارع معه وقالت في سرها "هذه الحياة ليست لأمثالنا" ثم كتبت له:

أنت مفعم بالمرح يا كازا وذكي أيضا "قليلا" لكني لن أخاطر بالمجيء معك، من يدري قد تقوم بدفعي من هناك وأموت، أعلم بأنك مجنون وتفعلها.

ثقي دائما ما دمت حيًا لن تتأذي أبدا، يا حشرتي المجنونة!

استغربت تانيلا من جوابه، وقد غمرها شعور ممزوج بالفرح والإحباط في الوقت ذاته، فهي لم تأذن للحب أن يطرق بابها من قبل، لم تتوقع أن يقال لها شيء بهذا الدفء.

أتمنى هذا! حان دورك ولا تنسَ القوانين الجديدة للعبة.

صحيح، لقد نسيتها بالكامل، تحد أم سؤال واحد؟

فكرت بهمهمة ثم تجرأت: *تحد!*

ما هو الخطأ الفادح الذي فعلتِه في حياتك؟

فكرت عميقًا بسؤاله الذي فاجأها، ووجدت أنها فكرت به من قبل وبقيت الإجابة ذاتها: *أحيانًا أشعر بأنني لم أعبر بما يكفي لوالديّ عن حبي لهما، وهذا يعد أكبر خطأ فعلته.*

رحمهما الله، لا تفكري هكذا، يجب ألا تلومي نفسك على شيء لم تكوني تعلمين أنه سيحدث، فأنت إنسانة فقط ولستِ "امرأة خارقة".

ربما معك حق.

هل أنت جاهزة للسؤال التالي؟؟

جاهزة منذ يوم ولادتي.

بالتأكيد ارتكبتِ أشياء مخالفة للقوانين، أخبريني عن أخطر شيء فعلتِه مخالف للقانون.

تنهدت وفكرت فيما إذا كانت ستخاطر وتخبره عما فعلته، فقالت في نفسها: إنه نفسه متورط في اختراق الناس وفعل أشياء ممنوعة أكثر منها، فتشجعت وكتبت عن بعض اختراقاتها.

استمرا باللعب طوال ساعات دون الانتباه للوقت كعادتهما، حتى فاجأها بسؤال أربك قلبها: *هل بحثتِ من قبل عن الحب؟*

نعم، بحثت عن الحب في الكتب فقد قال لي والدي ذات مرة "من بحث عن الحب في الناس فقد أهلك قلبه" أن تحب حائطًا أو شجرة خير لك من حب إنسان لا توجد فيه إنسانية، لذا لا يوجد ما يؤنس وحدتي أفضل من الكتب.

أقنعني جوابك الذي لم أتوقعه! دورك.

ترددت في طرح سؤالها لكنها وجدتها فرصة مناسبة ما دام فتح معها موضوع "الحب" فسألته بشجاعة قائلة: *إذا وجدت مَن تستحق فرصة للدخول إلى حياتك هل ستسمح لها بذلك؟*

لا أعتقد أن القدر سيلاقيني بمن تجعل قلبي يخفق.

شعرت تانيلا بوخزة في قلبها، وبضيق خفيف في صدرها، ثم تنهدت بهدوء حتى أكمل قائلًا: *لكن من يدري! ربما إذا كانت طيبة وخلوقة وتحب الكتب! ربما.*

ضحكت من رسالته وشعرت بارتياح كبير لم تعرف سببه وربما لأنه قصدها بكلامه!

سندريلا! ما الذي يجدر بي فعله كي أفوز بثقتك؟

فوجئت من سؤاله الذي بدا غريبًا، وسرت به في ذات الوقت فسألته:

أعتقد أن هذا شيء يستحيل حدوثه، لكن لماذا سألت؟

لأني أريد صداقتك!

اختلطت مشاعرها ولم تعرف ماذا تجيب! فهي لا تعرف معنى أن يكون لديك صديق، لأنها لم تحظ بصديق من قبل، هل هكذا تبدأ قصة الصداقة؟ وكيف تكون؟

كثيرًا ما قرأتُ عن الصداقة، لكن لم أجربها يومًا، وعلى حسب ما قرأت وجدتها جميلة ومخيفة في الوقت ذاته.

الصداقة جميلة لماذا تقولين إنها مخيفة؟

لأن جرح الصداقة أعمق من جرح الحب، فمشاعر الحب تزول ويمحوها الوقت، لكن الألم الذي يأتيك من صديقك تبقى ندبته كذكرى لمعاقبتك على منحك ثقتك لمن لا يستحق، هذا ما قرأته.

حسنًا، قد يكونون محقين لكن لا تثقي في كلام الكتاب لأن معظمهم يكتبون أشياء لا يشعرون بها، قد تجدين الظالم يتحدث عن المظلوم، والغني يتحدث عن أوجاع الفقير.

فكرتْ قليلًا ووجدت أن ما يقوله صحيح، فلا يعقل أن تحدث جميع المآسي من أنواع مختلفة للكاتب، وإن حدثت فمن غير المعقول أن يكون مظلومًا فيها كلها.

المهم، اترك ثقتي بك للوقت، ألم يقولوا إن الوقت يجعل المستحيل ممكنًا، فلنجرب إذن!

طلباتك أوامر مولاتي، سأنتظرك إلى ما لا نهاية.

أخذا يضحكان معًا وهما يتأملان صفحة الدردشة بإعجاب، وأضاف:

سأحاول أن أكون عند حسن ظنك.

سنرى، لكنني فضولية بخصوص شيء.

تفضلي.

لماذا تريد أن تكون صديقي؟ ألم يكفك الأصدقاء الذين سردت لي قصصًا عنهم!

ليس كذلك، لدي إحساس بداخلي يخبرني باستمرار أننا سنكون صديقين لا مثيلا لنا، وربما أكثر من ذلك! كما أننا نمتلك الكثير من الأشياء المشتركة.

أنت محق، لكن صداقتنا تعني البوح لبعضنا البعض بكل الأسرار المخفية.

جربيني بنفسك، يمكنك سؤالي عن أي شيء تريدين معرفته، اسمي أو شخصيتي أو حتى مكاني.

فكرت بابتسامة ووجدت أن طرح سؤال بسيط في الوقت الذي ينتظر منها سؤالا خطيرًا سيمتعها: *أخبرني بصراحة، ما اسم فيلمك المفضل؟*

ليس لدي فيلم مفضل، لا يمكنني إعطاء تقييم عال لفيلم لأني أعرف أنه سيكون هناك أفضل منه مستقبلا.

نالت إجابته إعجابها فقد طرحت السؤال على نفسها من قبل، وأجابت بإجابته وراحت تطرح عليه المزيد من الأسئلة فقد أعجبها أنه نسي قوانين اللعبة، وبدأت هي تقودها.

ماذا عن المسلسلات ماهي الأنواع التي تفضلها؟

سهل! التي يوجد فيها غموض وألغاز يصعب حلها والتي...

فوجئت أكثر من جوابه فقد كان الجواب الذي أجابت به نفسها فقاطعته قائلة: *حسنًا يكفي! أخبرني كيف تحب نهاياتها؟ !*

ثم قالت في سرها يستحيل أن تكون إجابته كالتي في بالي الآن**!** وإن حدث وكانت كذلك فسأتوجه غدا إلى طبيب نفسي، نعم هذا أفضل حل، قد يكون هذا المجهول من نسج خيالي.

أحب النهايات الحزينة لأنها تظل راسخة بعقل المشاهد.

الحمد لله، لأني لا أحبها إطلاقًا!! أعشق النهايات السعيدة التي تنتهي دومًا بانتصار الخطط الناجحة.

نظرت تانيلا إلى الساعة التي تشير إلى الرابعة صباحًا، وقالت دَهشة:

يا الله!! لم أشعر بأن الوقت مر بهذه السرعة أخذ حديثنا عن الأفلام والحياة وقتًا طويلًا.

أنتِ محقة لم أشعر به أيضًا، وعليّ الاستيقاظ باكرًا.

استأذنت منه وذهبت للنوم.

*****

بينما كان سامي منغمسًا في عمله انتبه إلى طرق السكرتيرة بابه وهي تستأذن لقدس في الدخول، وعلى الفور أشار إليها بالموافقة وهب واقفًا في انتظارها، دخلت متوترة فانتبهت إلى علامات الجدية على وجهه، وقبل أن تنطق بكلمة قال بنبرة تحمل الجدية والبرود في آن واحد: *ما الذي أتى بك إلى هنا في هذا الوقت الباكر؟*

شعرت بالتوتر من نبرته وبدأت تقضم أظفارها خوفا ثم قالت:

لقد أتيت لأعتذر إليك عما بدر مني.

فقاطعها قائلا بنبرة حادة أكثر:

أجبيني على سؤالي القادم من دون أن تكذبي!

ارتجف قلبها خوفًا وهزت رأسها بالموافقة فقال: *هل دائمًا تصرخين على الأشخاص الذين يدوسون الأرضية بعد أن تنظفيها؟!*

ازداد شعورها بالخجل وتوردت وجنتاها، ثم قالت وعيناها ذابلتان تنظران نحو الأرض: *أنا حقًا آسفة.*

رفعت رأسها وهي تنظر إليه ثم أكملت: *تلك كانت آخر مرة أتصرف بها بغير عقلانية يا سيد سامي، وأعدك إن لم تقم بطردي من هنا فسأكون عند حسن ظنك.*

أنزلت رأسها للأسفل مرة أخرى، وإذ بسامي يضحك من توترها، فقد بدت كالأطفال بنظره.

لدي شرطًا واحدًا، إن نفذتهِ فلن أقوم بطردك.

رفعت قدس رأسها وحاجبيها في الوقت نفسه، ومال رأسها استغرابًا منه، ثم سألته بنبرة حذرة: *ما هو شرطك سيد سامي؟*

إذا ذهبت معي هذا المساء في نزهة لكي...

جحظت عيناها وعقدت ذراعيها أمام صدرها، ثم قاطعته قائلة: *هل أبدو لك من الفتيات اللواتي يبعن أنفسهن من أجل العمل؟؟*

زادت من حدة صوتها وأكملت بغضب أكثر: *اسمعني جيدًا أيها الطفل المدلل! إن كنت تعتقد أنني سهلة المنال فأنت مخطئ، أنا لست..*

وضع يده على فمها ثم احتضنها بين ذراعيه ملصقًا إياها بالجدار.

تبادلا النظرات، ثم أشاحت بنظرها عنه وهي تحاول الإفلات منه لكنها لم تستطع، وقال بنبرة جدية:

اهدئي!! لم أكن اقصد ذلك الشيء بكلامي! لماذا دمك حار هكذا؟!

ظلت قدس تتكلم بكلام غير مفهوم بسبب يده التي غطت فمها مما جعل الوضع يضحك سامي، فقال وهو يحاول إمساك نفسه من الضحك:

سأقوم برفع يدي لكن إن حاولت الصراخ أقسم أني سأضع الشريط اللاصق على فمك.

هزت قدس رأسها بالموافقة فرفع يده ببطء وهو ينظر إلى عينيها بعاطفة، ثم ردت بصوت خافت وهي تشعر بالخجل من موقفهما: *إذن ما الذي قصدته سيد سامي؟*

تنهد سامي بحنان وهو ينظر إلى وجه قدس الملائكي، ثم قال: *لدي اجتماع مهم هذا المساء خارج الشركة، ولا أحب حضور الاجتماعات وحدي، لهذا أرغب بمرافقتك.*

حسنًا لم أعلم أن هذا قصدك، لكن لم لا تأخذ معك موظفتك فهذا هو عملها أليس كذلك؟ كما أنني لست موهوبة في هذا المجال ولا أعرف عنه شيئًا.

أجابها سامي وهو يقرص أنفها بطريقته المتبجحة: *لو كنت صبورة ولم تقاطعي كلامي لفهمت قصدي، لا رغبة لي بمرافقة موظفتي لأنها مملة، وليست مضحكة مثلك!*

شعرت قدس بالحرج وهي تحاول أن تهرب من عينيه قدر المستطاع، ثم قالت بثقة: دعني *أفكر بالأمر!*

أجابها بابتسامة ماكرة:

لا داعي للتفكير بالأمر إن أردت الاستمرار بالعمل في الشركة، فتعالي على الساعة الثالثة مساء إلى العنوان الذي ستدونه لك موظفتي بالخارج.

ثم ابتعد عنها وتوجه للجلوس على كرسيه بكل هدوء ليكمل عمله، نظرت إليه ثم تنهدت وقالت بصوت منخفض: *صبرك يا الله.*

*****

مضت ثلاثة أسابيع بأكملها، واقتربت تانيلا من كازانوفا أكثر بعدما أصبحت تحادثه يوميا فقد بات عادتها اليومية، أما بالنسبة لقدس فقد ذاب جبل الجليد الذي كان بينها وبين سامي منذ حادثة المكتب، وأصبحا يمضيان أغلب وقتهما معًا بعد ما ازدادت مواعيدهما.

يمكنك الذهاب إلى المنزل كي ترتاحي، أما أنت يا قدس فيجب عليك تنظيف متجر السيد مصطفى قبل ذهابك.

قال المدير مخاطبًا تانيلا وقدس، فشعرت تانيلا بالشفقة على قدس، وقررت البقاء معها لتؤنس وحدتها.

هل يمكنني البقاء قليلًا بعد؟ فأنا أرغب بمساعدتها في تنظيف المتجر.

أومأ برأسه موافقًا ثم غادر.

توجهتا إلى المتجر وهما تحملان أدوات التنظيف، وباشرتا تنظيف المتجر بهمة ونشاط، رأت تانيلا أنه لا يوجد أفضل لقتل الوقت غير الدردشة، فراحت تحكي لها عن حبها لوالدها ومغامراتها القليلة معه رحمه الله، لكن حينما ذكرت

هذا الموضوع أحست أنها جرحت مشاعر قدس لسبب ما دون قصدها، فقررت تغيير الموضوع بقولها: *اسمك جميل للغاية من قام باختياره هل والدتك أم والدك؟*

ابتسمت وردت عليها قائلة: *اسمي يحمل حكاية لا تشبه أي حكاية.*

اقتربت تانيلا منها ثم ربتت على كتفها، وطلبت منها الاستراحة كي تبوح لها بما يثقل كاهلها، فجلستا وأكملت قدس مسترسلة:

توفي والدي قبل مولدي وتبعته أمي، بعد ذلك لم تسنح لهما الفرصة حتى لتسميتي، ولحسن الحظ أن جدتي الحبيبة لم تتركني يومًا.

سألتها تانيلا مستفهمة بحيرة:

لا أريد إحزانك أكثر لكن، ماذا حدث لوالديك؟

تنهدت متحسرة وقالت:

دعيكِ مني فحكايتي طويلة، والحياة لم تكن عادلة معي يا صديقتي!

يا للأسى.. هكذا قالت تانيلا وقد تأثرت، ثم حاولت أن تواسيها فقالت مضيفة: *هكذا هي الحياة لم تعطنا الحق في اختيار طريقة العيش، لكن اللوم لا يقع عليها بل علينا، أصبحنا في زمن تبحث الحياة المظلومة فيه عن العدالة بين البشر الظالمين.*

دموعها التي تساقطت دون إرادتها دفعت تانيلا لمعانقتها، لكن العناق لم يدم طويلًا، فقد استجمعت قدس قوتها وحاربت الدموع بابتسامة لطيفة لتعود إلى العمل.

انتبهت قدس بينما كانت تنظف إلى أن تانيلا شردت في فستان أحمر اللون أشبه بفستان سندريلا الساحر، فقد استوحاه مصممه على الأغلب من فساتين أميرات ديزني الساحرة، ربتت على كتفها فشهقت تانيلا مرتعدة، ابتسمت قدس ثم قالت:

أعجبكِ بشدة، أليس كذلك؟

ها؟!

أقصد الفستان.

ابتسمت تانيلا وهزت رأسها بالموافقة قائلة: *وهل هناك فتاة طبيعية لن يعجبها مثل هذا الإبداع؟ إنه ساحر للغاية!*

ارتجف صوت قدس من الحماس وهي تقول: *إذًا، ما رأيك أن تجربيه!!*

فوجئت تانيلا، وأجابتها قائلة بصوت صارم: *أجننتِ! مستحيل هذا خطر، ماذا إن رآنا أحد ما؟!*

لا تكوني درامية، إنها الواحدة بعد منتصف الليل لا يوجد أحد غيرنا! هيا رجاء لن يُكتشف أمرنا أعدك.

ترددت تانيلا ثم قالت: *لكني أخاف!*

ولكنه يستحق المجازفة!!

يستحق أليس كذلك؟!!

أومأت قدس بالموافقة ثم حملته وذهبتا بسرعة لغرفة تغيير الملابس، وانتظرتها بالخارج بينما تجربه.

سأكون بانتظارك عزيزتي لكن أسرعي.

مضت دقائق عدة ولم تخرج تانيلا بعد، فشعرت قدس بضجر قاس وقالت: *لماذا تأخرت كل هذا الوقت من يراك يظن أنكِ عروس يوم زفافها !*

فردت عليها من الداخل قائلة:

اصبري قليلا، إنه كبير للغاية وارتداؤه صعب، أمهليني لحظات أخرى.

هل أدخل لأساعدك؟ اقسم أني لن استرق النظر وحتى لو فعلت فلدينا الأشياء نفسها.

لم تمض ثوان حتى خرجت تانيلا بمنظر يخلب الألباب، فتحت قدس فمها بدهشة فقد بدت وكأنها أميرة هاربة من قصة خيالية، بشعرها الطويل المجعد كشرائح السباجيتي التي أضافت إليه بشرتها البيضاء جمالًا، كانت أقل ما يُقال عنها إنها فتنة فوق الأرض.

من أين لك بهذا يا فتاة!!

ماذا تقصدين؟

كم تبدين جميلة يا تانيلا! تبدين رائعة! بل فائقة الروعة!!

لا تبالغي!

أي مبالغة تعالي معي بسرعة.

أمسكت يدها وجرتها معها إلى غرفة المجوهرات حيث توجد مرآة كبيرة وقالت: انظري لنفسك لتعلمي أني لا أبالغ.

رأت تانيلا تلك الليلة في المرآة فتاة لم ترها في حياتها من قبل، وسرها التعرف عليها ووجدت أن المال حقًا يشتري السعادة، لكنها سعادة سطحية وزائفة.

حقا، أنا أبدو جميلة!

لمحت قدس تاجًا مرصعًا بالألماس الفاخر، فتوجهت إليه ثم حملته بحرص شديد ووضعته على رأس تانيلا وقالت بسعادة: *أجل هذا ما كان ينقص، واكتملت صورة الأميرة!*

أنا سعيدة للغاية يا قدس، لم أرتد في حياتي فستانا كهذا.

ضحكت قدس بإعجاب وقالت مازحة: *فليقنعني أحد أننا في القرن الحادي والعشرين، لا ينقصك الآن سوى الفارس وحصانه الأبيض!*

نسيت الفتاتان نفسيهما وهما تضحكان وتتبادلان الحديث، حتى قطع صوتهما خطوات تقترب من المتجر، فدب الرعب فيهما، وعلمتا أن هناك شيئًا خطيرًا قادمًا من الظلام، وفجأة أطل الحارس بمصباحه اليدوي فرآهما في تلك الحالة الرهيبة.

قالت تانيلا في سرها: *إن أمر انتقامها قد انتهى في هذه اللحظة*، لكنه ظل صامتًا لا يعي ما يدور حوله وشرد في جمال تانيلا الذي أنساه وجوده، لولا صوت سامي الذي أفاق الجميع لبقوا متجمدين حتى الصباح.

ماذا يجري يا "خالد"، من هناك؟

أجاب الحارس قائلا: *لم يحدث شيئًا يا سامي، اعتقدت أني سمعت ضجة لكني كنت مخطئًا.*

أطل سامي من ورائه حتى رآهما وارتسمت على جبينه الكثير من علامات الاستفهام، المسكين لم يفهم شيئًا مما يحدث، لا تانيلا التي تبدو كالأميرة، ولا قدس المرتعبة ولا حتى خالد الذي يوجه مصباحه نحوهما، غادر الحارس وتوجه سامي إليهما فرأت قدس أنه من الأفضل لو تكلمت هي الأولى قبل أن يقول شيئًا لا يسرهما فقالت:

ولا كلمة رجاء ولا حتى كلمة صغيرة!

فراح يضحك من ارتباكها وتصرفها الطفولي وقال: *لا تقلقي أميرتي الصغيرة، لن أبوح لأحد بما رأيته، بالمناسبة تبدين جميلة يا تانيلا.*

شعرت تانيلا بحرج من النظر إلى عينيه، لكنه انصرف بعدما اطمئن إليهما وتركهما والإحراج يكاد يقتلهما.

توجهت تانيلا إلى المنزل بعدما انتهت من العمل وتمددت على سريرها، بينما راحت تحادث كازانوفا عبر الهاتف كعادتها.

ما بها نبرة صوتك؟

ما بها؟!

لا أدري! تبدو مختلفة! أخبريني ماذا حدث؟

تنهدت تانيلا بملل ثم قالت:

لا تسأل رجاء، فقد حدث لي شيئًا محرجًا اليوم لن أنساه طيلة حياتي.

ضحك قائلا: *لا تقلقي، سيمر.*

ماذا عنك؟ لماذا تبدو مبتهجًا ومتفائلًا على غير عادتك؟

مم، قابلت فتاة لم أرَ مثيلا لجمالها يومًا.

قاطعته بحدة قائلة: *هل سأنتظر كثيرا لانتهاء وصلة الغزل تلك؟*

أنا أسرد لكِ فقط.

صمتتْ بضيق ولم تجب، حتى قال هامسا: *بالنسبة لي أنت أجمل فتيات العالم!*

ضحكت بسخرية ثم قالت: *لا تكذب فأنت لم ترني بعد!*

هذا صحيح لم أرَ جسدكِ، لكني رأيت روحك لأنها لامست قلبي.

خجلت من كلامه، وابتسمت في سرها ثم قالت بحدة: *لا تجن!*

وأيضًا لو كان جمال الروح مهمًا لأقيمت مسابقة لجمال الروح وليس لجمال المظهر.

وجهة نظرك معقولة، إذن ما رأيك لو أخبرتك أنني اخترقت هاتفك ورأيت صورك!

ضحكت بصوت مرتفع وراحت تسخر منه: *لن يحدث حتى في أحلامك! أولًا مكالمتنا ليست عن طريق شريحة الهاتف، وثانيًا هاتفي يخلو من الصور، وحتى لو كانت كذلك لما تمكنت من اختراقي، أرأيت كم يستحيل الوصول إلي!*

أنت حقًا لا تعرفين الفرق بين الجدية والمزاح!

صحيح لا أعرفها معك! فدائما أنت جدي وصارم.

ابتسم بمكر خبيث ثم قال: *أنت محقة.*

تنهد وأضاف: *لست أدري ماذا أصابني اليوم بعد رؤيتي تلك الفاتنة.*

زفرت وقالت متأففة: *إن استمريت بمزاحك الثقيل فسأخلد للنوم وأتركك بمفردك!!*

تعالت ضحكاته وراح يقول: *كم تصبحين ظريفة عندما تغارين!*

ردت وهي تلعب بخصلات شعرها المجعد: *ومن قال لك إنني غرت! أنا لا أغار بل هن من يغرن مني يا عزيزي.*

ثم أضافت مترددة: *أصلا أنا متأكدة من أنني أفضل منها!*

أجل من دون شك.

*****

هبت قدس واقفة وقد بدا الانزعاج في عينيها، وغمغمت: *ماذا يضحكك؟*

آسف لا أقصد أن الموضوع مضحك لكن، لم أتوقع أن تغاري علي من تانيلا!

زفرت بأسى وتأنيب الضمير يلتهمها، فتانيلا تكون صديقتها الوحيدة وشعورها بالغيرة يكاد يقتلها، على الرغم من الثقة الكبيرة التي بينهما.

لا أعتقد أن هناك وصفًا لشعوري هذا، رؤيتي لكما معا وأسئلتها المتكررة عنك، كل هذه الأشياء تشعرني بعدم الاطمئنان ولست مستعدة لفقدان الأمان الذي وجدته معك.

تنهد سامي بأريحية وراح يقول في أسلوب واضح النبرات: *اطردي هذه الأفكار من رأسك فلا وجود لغيرك في قلبي! كما أن تانيلا صديقة مقربة لا أكثر ولا أقل، لذا كوني واثقة بأني لن أتركك يومًا حتى لو توسلتِ لذلك.*

ابتسمت قدس فرحة بعدما أزاح حديثه شعورها بالاختناق، وراحت ترجو ضميرها أن يتوقف عن تأنيبها بعد إساءتها الظن بصديقتها.

*****

استيقظت تانيلا على الحادية عشر على غير المعتاد فاليوم هو يوم إجازتها، نهضت لتغتسل وسارعت إلى تجفيف شعرها، وضعت الأواني المتسخة في آلة غسل الصحون ثم ضبطت إعدادات مكنسة الروبوت وتركتها تنظف البيت، وتوجهت لتعد قهوتها بكل هدوء وهي تدندن، ثم توقفت للحظة وصارت تفكر إن كانت قد فعلت الصواب في شأن إخفاء حقيقة انتقامها عن شقيقها،

وقالت في سرها: إن إخباره عن خططها قد يسبب نتائج كارثية! استفاقت من شرودها بعدما سمعت صافرة آلة القهوة، استعجلت بشربها، وغيرت ملابسها وهمت بالخروج من المنزل.

أما سامي فقد كان جالسًا مع قدس في حديقة التجارب العلمية في قلب "الجزائر" العاصمة التي سميت بحديقة "الحامة"، والتي تعد متحفًا فعليًا للطبيعة بضمها أشجارًا نادرة، وبساتينَ خلابة.

ما رأيك بالمنظر هل أعجبك؟

إنه لا يصدق كالحلم تمامًا، بل أجمل منه!

ابتسمت وأضافت: *أتعلم! أكثر ما أعجبني أشجار الكافور، فحجمها الكبير كاف لإخفاء قبيلة بأكملها تحت أغصانها الخشنة.*

فرح لفرحتها بالمكان وتنهد قائلا:

هل تعلمين أنه يمكن تصنيع الذهب من أشجار الكافور؟

واو! حقا!!

هز رأسه بالموافقة مبتسمًا ثم انتبه لابتسامة ماكرة، ارتسمت على وجهها بينما كانت تنظر إلى عينيه فسألها قائلا: *ما الذي جال في ذهنك وخلق على وجهك ابتسامة خطيرة كتلك؟*

ضحكت بفتور وردت عليه بحماس كبير: *لدي فكرة مذهلة ستجعلنا أغنياء!!*

وأضافت: *أعتذر نسيت أنك غني بالفعل!*

ضحك ضحكة مجلجلة وقال: *أخبريني بالمصيبة يا مصيبتي الحلوة.*

ما رأيك لو نعود ليلًا مع جرافة ونقتلع جميع أشجار الكافور التي هنا ثم نصنع بها الكثير من الذهب!!

حسنًا يا مجنونة، فلنقل إننا نفذنا خطتك.

قفزت من مكانها بحماس كبير فأكمل مقاطعًا حماسها: *وهذا لا يعني أنني وافقت على فكرتك المجنونة! إن حدث ونفذناها فمن الذي سيحولها إلى ذهب! هذا يحتاج إلى خبرة ووقت طويل، وإلى أناس متخصصين في هذا المجال.*

يا لك من قاتل للأحلام والمتعة! حسنًا انسَ الفكرة.

اقترب منها ثم أمسك يدها وطبع قبلة على وجنتها ثم قال: *أنتِ التي سرقتِ قلبي، وجعلته ينبض كما لم يفعل من قبل.*

تنهد ثم واصل: *هل تعلمين شيئا! سأبوح لك بسري الصغير، ظننت أنني أحببت ولم اعرف معنى الحب قبلك.*

نظرت إليه باستغراب وخجل في الوقت ذاته، ففتنته ملامحها البريئة التي زادتها حمرة خديها جمالًا، فقالت بهمس: *ما الذي تقوله يا سامي.*

نظر إليها وعيناه تشعان حبًا:

لم أقل شيئًا سوى الحقيقة.

أدارت رأسها نحو الشجرة باستحياء وقالت متحاشية نظراته: *رجاء لا تخجلني أكثر، هذا ليس وقته.*

وضع يديه على وجهها وأداره نحوه قائلا: *إذن متى وقته! أخبريني وأطفئي النار التي بداخلي، فقلبي لم يعد يحتمل!*

لم ترد عليه، وساد الصمت في الأجواء لدقائق غاصت فيها قدس في دوامة من الشرود وهي تنظر إلى المارة الذين بدوا في غاية السعادة، حتى قال لها بنبرة حنونة: *ما بك حلوتي؟ أخبريني ما الذي يشغل بالك؟*

استفاقت من شرودها ثم أجابته بنبرة يائسة: *رجاء لا تشغل بالك، أنا بخير حال.*

لا تخفي عني شيئًا يا قدس! أعرف ملامحك جيدًا عندما تكونين حزينة.

لا تهتم.

رد عليها بنبرة رجاء: *لا تخفي عني ما يؤلمك، ألم نتفق أن نكون سندًا لبعضنا بعضًا ونتجاوز أحزاننا معًا؟!*

هذا صحيح، لكن...

قاطعها بنبرة قاسية: *لا يوجد لكن! أنت الآن تخفين عني شيئًا يثقل كاهلك، وهذا يجعلني حزينًا حد الموت.*

نظرت إلى عينيه ثم ردت بنبرة يملأها الأسى: *لا تزال جدتي مريضة وحالتها تزداد تدهورًا شيئًا فشيئًا.*

صمتت قليلًا وهي تتنهد بحزن ثم أكملت: *خائفة من خسارتها، هي كل ما تبقى من عائلتي، سأموت إن حدث لها مكروه يا سامي.*

لا تقولي هذا، استجمعي قوتك وتفاءلي خيرا، ماذا أفعل كي أساعدك، طلبت منك أخذ الشيك الذي حررته لكما سابقا حتى تتعالج به، لكنك عنيدة.

ردت متأففة: *إن كانت لي مكانة صغيرة في قلبك، أقفل هذا الموضوع رجاء، فأنت تعلم أنني لا أقبل أخذ النقود من أحد!*

من أحد؟؟!

شعر سامي بالغضب، ثم قام من مقعده قائلًا بنبرة خشنة متنحنحة:

تأخر الوقت، انهضي لنذهب.

قامت من مقعدها وهي تتبعه، بينما كان يمشي أمامها بخطوتين أو ثلاث حتى غادرا الحديقة، فتح باب السيارة دون أن ينبس ببنت شفة فصعدت وراقبته بعينيها من مرآة السيارة حتى صعد هو الآخر، ووضع يديه على مقود السيارة فوضعت يدها فوقهما وقالت بنبرة متأسفة:

لا تفعل هذا! لم يكن قصدي إبعاد السعادة عنك.

ساد الصمت بينهما حتى رمقته بابتسامة أطفأت نار غضبه ليفاجئها بقبلة حارة على وجنتها كادت تلامس شفتيها! هالتها جرأته وتجاهله التام لمبدأ الحذر! فقالت له وهي تعض شفتيها من الخجل: *أعلم أنك غاضب مني، لكن هذا لا يعطيك الحق في فعل ما يحلو لك!!*

ضحك متناسيًا غضبه دون أن يرد عليها، وتركها تغوص عميقًا في خجلها الذي جعلها محمرة الخدين والجسد.

*****

نزلت تانيلا من سيارة الأجرة، ثم وقفت أمام الباب الكبير لمركز "سيدي مجاهد"، ذلك المركز الذي ترعرعت فيه عندما كانت صغيرة، منتظرة من أحدهم أن يفتح الباب لها بعدما قرعت الجرس، فإذ برجل كبير السن يفتح الباب بكامل قوته من شدة حجمه الكبير مما جعله يشهق تعبًا وتقدمت خطوتين للداخل فرحب بها قائلًا: *أهلا بك، كيف يمكنني مساعدتك؟*

أجابته تانيلا بلطف قائلة:

أهلا سيدي هل السيدة "سهيلة العربي بوعمران" هنا؟

أنزل رأسه إلى الأسفل من دون أن يجيبها فاستغربت من تصرفه، فقالت له مرة أخرى: *هل أخذت إجازة؟*

صمتت قليلًا وهي تنظر إليه بحيرة من دون أن يجيبها، ثم أكملت متنهدة: *إن لم تكن موجودة اليوم فهل بإمكانك إخباري بالأيام التي تعمل بها؟*

رفع رأسه وهو ينظر مباشرة إلى عينيها نظرة أسى، ثم قال بنبرة هامسة: *أعتذر يا بنيتي، لقد توفيت سهيلة منذ شهر.*

قالت بتلعثم: *كيف! كيف حدث هذا؟ !*

أصابها مرض خطير لكنها لم تعلم بوجوده إلا في أيامها الأخيرة.

انهارت تانيلا وهي تتمسك بالحائط كي لا تقع أرضًا، فأمسك بها وحزن على نظرة الأسى واليأس التي بدت عليها فقال مواسيًا: *إن كان هذا يواسيك فاعلمي أنها لم تتألم أبدًا، بل ماتت سعيدة كما كانت دائمًا، إنا لله وإنا اليه راجعون.*

استمرت تانيلا بالبكاء بحرقة، وكأن جميع من تتمنى موته يبقى حيا وكأن والدها البيولوجي يقول لها أنا خالد كي يستمر شري بالنمو، وكل من تتمنين لهم الخلود يرحلون باكرًا!

"يا رباه هذا اختبار قاس، تيتمت مرتين واحترق قلبي مليون مرة!"

ناولها كأسًا من الماء البارد وهو يقول محاولًا تهدئتها: *لا تفعلي هذا بنفسك يا ابنتي، استغفري الله فهذه سنة الحياة.*

سألته بنبرة مرتجفة مكسورة: *أين دفنت؟*

دفنت في مقبرة قريبة من هنا اسمها "سيدي شريف" أمام شجرة اللوز ذات الأغصان الكبيرة.

خرجت تانيلا مسرعة نحو سيارة الأجرة التي كانت بانتظارها، فقادها السائق للمقبرة، عند وصولها لم ترهق نفسها بالبحث كثيرًا، لأن شجرة اللوز كانت بالقرب من مدخلها مما جعل إيجاد قبر "سهيلة" بسهولة.

جلست المسكينة بالقرب منها وراحت تبكي متحسسة تراب قبرها، فقد تحطم قلبها مجددًا وتبعثر إلى أشلاء، ولم تقو على منع دموعها من النزول.

درستُ واجتهدت كي أجعلك تفتخرين بي حاولت القدوم اليك، فكرت فيك يوميًا، كل ليلة قبل أن اخلد إلى النوم وفي كل مرة قلت فيها كلمة أمي كنت

تخطرين ببالي، على الرغم من السنوات التي مرت إلا أنني ما زلت أتذكر عناقك الدافئ، وقصصك التي تؤنس وحدتي. سلمتني بنفسك إلى عائلة اعتنت بي، وربتني كفرد منها، لكنها تركتني بعدما تعلقت بها اشد التعلق، وها أنتِ ذا فعلت الشيء ذاته، بعدما كنت الجزء الوحيد المتبقي من طفولتي.

*****

بينما كانت قدس تنظف الأرضية اهتز هاتفها فجففت يديها بمئزرها ثم أخرجته لتكتشف أن جدتها هي المتصلة، عندها دب الذعر في قلبها:

الو، ماذا هناك يا جدتي؟ هل حدث شيء؟! هل أنت بخير؟

ردت جدتها مقهقهة: *لا يا بنيتي، لا تقلقي، أردت إعلامك أن ضيفًا مميزًا عندنا.*

استغربت قدس بحيرة مما قالته وردت عليها: *ماذا تقولين؟ لم افهم شيئًا!*

صمتت الجدة ولم تجب فازدادت حيرتها وراحت تقول: *ألو جدتي، هل تسمعينني.*

لم أرَ مثيلا للطف جدتك يا أميرتي.

ذُهلت قدس من سماعها صوت سامي فأوقعت المنشفة أرضا ثم قالت دَهشة: *سامي؟! ما الذي تفعله عندك؟؟*

اشتقتُ لجدتي وأتيت زائرًا لها ما شأنك أنتِ؟

لا أمزح معك يا سامي، أنا أتحدث بجدية!

ردت جدتها قائلة:

لماذا لم تجعليني أتشرف بمعرفته من قبل يا بنيتي؟! إنه شخص ممتع للغاية.

زفرت قدس بقوة ثم قالت بنبرة جادة: *هل تمزحين يا جدتي أعطه الهاتف رجاء، أريد أن أقول له شيئًا.*

لم تكمل كلامها حتى أقفل الخط بوجهها، فأغضبها ذلك وتركت كل ما بيدها وهرولت إلى البيت.

*****

دخلت تانيلا إلى غرفة والدها مكسورة القلب، ألقت جسدها المرهق على سريرها واستمرت بالنظر إلى السقف فترة طويلة، ثم قالت بينها وبين نفسها بصوت يرتجف، أصبحت وحيدة من جديد في عالم عميق وموحش، خوف كبير يسيطر على قلبي، أيعقل أن يكون طريق الألم طويلًا هكذا؟ حينما أقول إنه لم يتبقَ شيء لأتألم عليه، أجد نفسي في حفرة كبيرة من الأشياء التي تزيد من قتلي مرارًا.

تراكمت عليها الأحزان ولم يتبقَ لها شيئًا سوى التفكير في خطوتها القادمة لتنفيذ خطتها الانتقامية، فقد دهمها الكثير من الوقت، أخذتها رائحة عطر والدها إلى الذكريات فاغرورقت عيناها بالدموع، وانهارت متعبة من كل شيء. أمسكت بالهاتف واتصلت بملجئها وهي في حالة منهارة بأتم معنى الكلمة.

أنا بحاجة ماسة إليك.

رد عليها بصوت مرتعد: *ما الخطب يا سيكادا! ماذا حل بك؟!*

أشعر بأني سأموت، لماذا كل الذين أحببتهم رحلوا؟ أشعر وكأني لعنة تصيب كل من يعرفها بالموت!

اهدئي رجاء واحكي لي ماذا حصل؟؟

هل تعلم ربما حبيبتك السابقة..

أكملت وهي ترتجف من البكاء:

أقصد زينة لم تنتحر لأنها أنانية ولم تفكر بك بل على العكس، لقد انتحرت لأنها فكرت بك كثيرًا. فكرتُ في كيفية إكمال حياتها وأنت تنظر إليها نظرة العاهرة التي رأى الجميع جسدها عاريًا، لذلك انتحرت لقد أرهقها التفكير.

صمتت قليلا ثم أضافت:

وأنا الآن أفكر كثيرًا يا كازا، صدقني كثيرًا! أعلم أنني وزينة لا نتشابه في شيء، ولكني أعلم أنها قد وجدت حلًا يريحها وأنا أريد أن أرتاح بشدة، صدقني....

قاطعها كازانوفا وهو يصرخ بأعلى صوته المرتجف: *إياك!! هل تسمعين إياكِ فعلها!*

انفجر باكيًا وأخذ يشهق كطفل صغير وهو يقول: *زينة تلك! لا يوجد مبرر لفعلتها لقد حولت حياتي إلى جحيم بعدما تركتني أصارع شياطيني وحدي، أتعلمين كم صارعت الوساوس التي أخبرتني مرارًا وتكرارًا بأن أقتل نفسي! لقد*

كان ذلك قاسيًا يا سندريلا، قاسيًا جدًا! لن أسمح لك بأن تجعليني أعيش الأمور ذاتها مرة أخرى هل تسمعين؟ لن أسمح بذلك!

ردت عليه بصوت مخنوق يكاد يكون غير مفهوم: *لكن الألم لا يُحتمل يا كازا، يكاد يقتلني!*

اسمعيني جيدًا، زينة لم تلجأ إلي لو فعلت لما حدث أي من ذاك الذي حدث! ولكنك فعلتِ ولن أتركك مهما حدث، أعدك!

ردت بنبرة مكسورة: *من حُسن الحظ أنني عرفتك.*

هيا انهضي لتغتسلي واشربي قليلا من الماء كي تهدئي، ولا تقفلي الخط، ابقي معي!

فعلت تانيلا ما أمرها به ثم عادت مكانها أفضل مما كانت عليه.

شكرًا لوجودك يا كازا.

احكي لي الآن ما بك؟

حكت له تانيلا عن كل ما في قلبها وليس عن سهيلة فحسب، وظل مستمعًا لأدق التفاصيل التي حكتها.

لا تواسيني فأنا أكره المواساة.

لا أفعل! أعلم كم أنت قوية أيتها الحمقاء.

لست حمقاء.

من يفكر في الرحيل وترك شخص مثلي هو أحمق!

ضحكت ضحكة خفيفة ثم قال لها:

أتعلمين شيئًا! أريد احتضانك وانتشالك من أحزانك لأنك لا تستحقينها.

تنهدت بعطف ثم قالت: *وهل يوجد من يستحق أن يحزن.*

نعم بالتأكيد! يوجد الكثير ممن يستحقون أن يحزنوا.

صمتَ قليلا ثم أضاف: *رجاء عديني ألا تتركيني.*

لا أستطيع، فالوعود الزائفة تلتهم الأرواح الصادقة، لا أريد أن أعطيك وعدا زائفًا لأن روحك صادقة يا كازا.

*****

دخلت قدس إلى المنزل فوجدت جدتها جالسة على كرسيها المتحرك وهي تشاهد التلفاز في غرفة المعيشة، فتوجَهت إليها وقبلتها وهي تقول: *أوه كم اشتقت لرائحتك الطيبة يا جدتي الحبيبة.*

ابتسمت الجدة وقالت مشيرة بعصاها نحو الأريكة: *قبل أن تقومي بتغيير ملابسك، اجلسي قليلًا فهناك ما أرغب في قوله لك.*

ارتبكت قدس لأنها تعرف بالأساس الشيء الذي تريد التحدث بشأنه، ثم جلست فوق الأريكة قائلة: *ها خير يا سيدة "ياسمين" أسمعك.*

المدعو سامي أخبرني انه رئيسك في العمل هل هذا صحيح؟

ارتعبت قدس من أن يكون سامي قد أخبرها عن طبيعة عملها، ثم قالت لها وهي تبلع ريقها: *أجل هذا صحيح لماذا تسألين؟ ماذا قال لك؟؟*

إنه حقا ابن عائلة محترمة، وشخص أصيل ومتزن...

قاطعتها قدس بغيظ: *التقيتِ به نصف يوم وتقولين كل هذه الأشياء الجميلة عنه، وأنا التي عشت معك عمري كله لم تقولي عني كلمات كهذه، لقد غرت!*

فقالت لها الجدة وهي تضحك وتهز رأسها: *كفاكِ مزاحًا، فانت تعلمين كم قيمتك عندي، لكني لم أتعرف في حياتي كلها على شخص عرفني لنصف يوم وقام بمساعدتي بقدر ما ساعدني به سامي.*

قالت قدس باستغراب: *ما الذي تقصدينه يا جدتي؟ صحيح لماذا أتى سامي إلى هنا من الأساس؟؟*

ردت عليها الجدة وهي تهز أكتافها قاصدة بذلك جهلها لسؤالها:

والله لا اعلم لكنه قرر إرسالي إلى أفضل مستشفى من مستشفيات العالم، حيث قال إنه يوجد به أفضل الأطباء في العالم، وهو خارج البلد.

قفزت قدس واقفة ثم ردت عليها بنبرة غاضبة: *لا تقولي إنه أعطاك النقود واستلمتها منه!!*

هزت الجدة رأسها بالنفي قائلة:

عرض علي مبلغًا كبيرًا من المال، لكنك تعرفين طبعي لم أوافق عليه بالتأكيد، لهذا قرر إرسالي إلى المشفى وقام بدفع تكاليف العلاج بنفسه بمكالمة هاتفية

فقط، وأيضا قد أخذ جواز سفري بالفعل كي يقوم بإجراءات السفر المستعجلة و..

صمتت الجدة قليلا وهي تنظر إلى قدس بحسرة، ثم أكملت: *وسأسافر غدا إن كنا من الأحياء.*

اتسعت عيناها وردت عليها بالنفي قائلة: *لا! مستحيل يا جدتي!! لن أرسلك خارج البلاد وحدك وأيضًا..*

قاطعتها الجدة: *اهدئي، لا تقلقي، لن أسافر وحدي لأنه عيّن مرافقة خاصة للاعتناء بي طيلة فترة العلاج.*

اقتربت من جدتها ثم أمسكت بيدها وهي تقول بنبرة حزينة: *إذًا ستذهبين وتتركيني وحدي؟*

ابتسمت الجدة ثم قالت لها وهي تضع يدها على خد قدس: *لن أتركَكِ وحدكِ يا حبيبتي.*

ابتسمت بمكر ثم أضافت: *السيد سامي معك!*

فردت قدس بنبرة معاتبة:

جدتي!

هيا، كفاك ثرثرة انهضي لإعداد العشاء فجدتك جائعة!

ابتسمت قدس ثم انحنت لها وقالت:

سمعًا وطاعة جلالة الملكة.

أحضرت قدس العشاء وجهزت حقيبة السفر ثم توجهت إلى غرفتها وتأكدت من إغلاق الباب جيدًا كي لا تسمعها، وهي تتحدث عبر الهاتف، ثم اتصلت بسامي.

الو مرحبًا.

أهلا أهلا، كيف حالك أميرتي؟

تلبكت قدس ثم ردت قائلة: *وبخير حال الحمد لله، أردت أن أشكرك على مساعدتك لجدتي، ولأنك لم تخبرها بخصوص عملي في التنظيف لأني وبصراحة لم أخبرها بذلك بعد.*

من فضلك لا تشكريني، لأني لم أساعد جدتك بل ساعدت جدتي.

ضحكت من كلامه ثم أضاف:

بالنسبة لعملك لا يوجد ما يدعو للخجل بشأنه فحتى سندريلا كانت تنظف منزل زوجة أبيها، وعلى الرغم من أن هذا الشبه ليس مطابقًا تماما إلا أنه.. حسنا هربت مني الكلمات ولا أعرف ما أقول!

راحا يضحكان ثم قالت له: *أنت حقًا جدير بالثقة.*

رمت نفسها على سريرها وهي تلعب بخصلات شعرها الحريري بينما تحادثه.

بالمناسبة أود أن أشكرك أيضًا على نزهة اليوم، فقد جعلتني سعيدة جدًا.

تنهد قائلًا: *سعادتي كانت أكبر، فنظراتك الحنونة أدخلت الدفء إلى قلبي خصوصًا يدك الحانية عندما أمسكت بيدي، تمنيت لو دامت تلك اللحظة إلى ما لا نهاية.*

خجلت قدس من حديثه ثم ضحكت معه حتى قال: *قد أدفع نصف عمري، بل عمري كله مقابل ضحكتك الجميلة التي أجدها من أروع المعزوفات الفنية.*

ضحكت مرة أخرى قائلة: *لا تبالغ!*

*****

"يا له من شهم ورومانسي!!" هذا أول ما قالته تانيلا لقدس بعدما روت لها أحداث اليوم الماضي.

بالفعل هو كذلك، وعلى الرغم من كل ما فعله فقد رافق جدتي للمطار، أردت مرافقتها أيضًا لكنها أصرت على أن تودعني بالمنزل.

لا تقلقي عليها، فهي الآن بين أيدٍ أمينة.

ابتسمت قدس براحة ثم قالت: *فعلا أنت محقة!*

ارتسمت نظرات الحزن على تانيلا وقالت: *هل ما زلتِ مصرة على قرارك؟*

هزت رأسها بالموافقة قائلة:

أجل، فلم يعد هناك داع لجني المال.

أعلم أننا سنلتقي، لكن مع ذلك سأشتاق لوجودك الذي كان يؤنسني.

ردت قدس وهي تعانقها:

يا الله كم أكره لحظات الوداع! لا تودعيني أرجوكِ لأننا سنلتقي دائمًا، وسآتي لأزورك هنا أيضًا ويمكننا محادثة بعضنا بعضًا على الهاتف في أي وقت تشائين.

*****

خرجت قدس من باب المطعم وهي تحمل حاجياتها بين يديها، حتى التقت بسامي قادمًا نحوها بحماس واضح: *أميرتي عدت قبل قليل من المطار، أردت أن أطمئنك إلى أن جدتنا قد طارت وستتصل عند وصولها.*

ابتسمت قدس بفرحة حتى أضاف قائلا باستغراب: *ما هذا الذي بين يديك؟ إلى أين؟*

أجابته وهي تنظر إلى حاجياتها وإليه: *بما أنّ جدتي قد ذهبت لتتعالج فلم يعُد هناك داعٍ كي أعمل بالتنظيف.*

إذًا هل تستقيلين؟

لقد استقلت بالفعل!

شرد سامي للحظات حتى خطرت له فكرة وقال: *إذن ما رأيك لو تعملين لدي!!*

لا تمزح سامي.

لا أمزح بل لم أكن بهذه الجدية في حياتي من قبل!! يمكنك العمل موظفة استقبال خاصة بي، وبهذا يمكننا رؤية بعضنا بعضًا يوميًا.

لم يعطها الفرصة للتفكير حتى جثا على ركبتيه ثم تناول يدها وقبلها بكل حب، فشعرت بالخجل الشديد ثم قالت: *ماذا تفعل يا مجنون الجميع ينظر إلينا!*

لا يهمني أحد غيرك، إن لم توافقي على طلبي فسأقوم بحملك وأصرخ عاليًا بأنك أميرتي التي أحبها!!

لم تستطع كتم ضحكتها التي دهمتها بعد رؤيتها تعابير وجهه فضحكت قائلة: *أعلم أنك مجنون وتفعلها!*

إذن وافقي رجاء!

حسنًا أنا موافقة سيد سامي.

حقًا هل أنت جدية؟!!

هزت رأسها بالموافقة، فحملها بين ذراعيه وراحت تحثه على أن ينزلها لكنه لم يأبه لكلامها وراح يصرخ قائلا: *أنت رائعة!!*

*****

صعدت تانيلا إلى الطابق الذي يتوسطه مكتب جميل، وبيدها المنشفة والدلو للتنظيف وراحت تمشي بخطوات حريصة كي لا تثير انتباه الموظفين، ثم راحت تنظف الرواق المجاور للمكتب حتى لا تراها الموظفة، بعدما مرت ربع ساعة همت الموظفة بالمغادرة بعد أن أتاها اتصال هاتفي، ففرحت تانيلا اشد فرحة وراحت تراقب المكان بحرص متقدمة بخطوات بطيئة نحو المكتب

وصدرها يعلو ويهبط حتى وصلت إلى الباب ووضعت يدها على مقبضه، ثم استجمعت شجاعتها وانحنت قليلا لترى من فجوة المفتاح إن كان جميل بالداخل، سينتهي كل شيء!

أين أنت أيها الوغد!!

شهقت تانيلا مصدومة بعدما سمعت صوت صراخ يقترب منها، فهرعت تجري للاختباء في المكتب المجاور، وفي غضون ثوان ظهر صاحب الصوت أمامها، لقد كان "حمزة" المتحرش النذل الذي قامت بسجنه!! كان يحمل بيده سلاحًا ويصرخ بكل قوته مهددًا ومتوعدًا: *جميل اخرج أيها الحقير وقابلني!!*

لم تمر دقائق حتى امتلأ الرواق بالموظفين لكن لم يجرؤ أحد على الاقتراب منه، وبعد برهة قصيرة فُتح الباب، وخرج جميل مرتعبًا من مكتبه وجسده يرتعد وزاد ارتجافه بعدما رأى المسدس مصوبًا نحو رأسه، فابتلع ريقه دون أن ينبس ببنت شفة: *لقد أخذت مني سمعتي! وخسرت حياتي بسببك أيها الحقير!!*

بات "حمزة" يبكي وازداد صوته ارتفاعًا، وعند ذلك انضم ثلاثة من الحراس وكان واحد منهم مسلحًا، أما الاثنان فبديا بعضلاتهما الضخمة وكأنهما ليسا بحاجة إلى أي سلاح.

"حان الوقت فقد أصبح الموت من نصيبك أيها الحثالة".

قال هذه الكلمات وضغط على الزناد وانطلق الرصاص في الأجواء، ومما سمعته يمكنني القول إنها كانت ثلاث رصاصات، انتهت خطتي التي اجتهدت في تنفيذها وسرق حمزة الحقير انتقامي مني وقتله!

هذا كل ما خطر ببالي وقتها، لكن الحظ قد حالف جميل فأحد الحراس تمكن من حمايته وتلقى الرصاصة مكانه وأطلق هو الآخر رصاصتين على حمزة المسكين الذي استحق أربع رصاصات!

كان الحارس سريعًا لدرجة نجح فيها بإنقاذ جميل، لكن المؤسف أن الرصاصة اخترقت صدره ولم تمهله سوى دقيقة ليسقط على الأرض مستسلمًا، مما أثار ذهول زميله الذي صرخ بأعلى صوته: *خالد! نادوا الإسعاف أسرعوا!*

كانت الفوضى سريعة جعلت الدهشة تخيم على الحاضرين بالأخص جميل، انحنى "علاء" نحو صديقه المصاب وراح يبحث عن مكان الرصاصة كي يوقف النزيف، لكن أصابته الدهشة عندما لم يجد أي دماء! حينها فتح خالد عينيه ببطء ليلمح تانيلا واقفة خلف الموظفين تنظر إليه بدهشة مرتجفة، فابتسم لصديقه وبجهد كبير كشف عن قميصه لتظهر الدرع الواقية من الرصاص ثم قال مطمئنا صديقه: *أنا بخير لا تقلق.*

نهض خالد بصعوبة من على الأرض فقد آلمته الرصاصة بشدة فالدرع الواقية تمنع اختراق الرصاص لكنها لا تحمي الجسد من قوة الصدمة، استند إلى كتف صديقه نحو جميل مطمئنًا عليه، فقام باحتضانه وشكره شكرًا كثيرًا.

توجه خالد لمركز الشرطة وقدم أقواله التي أضيفت إلى قضية حمزة، أكمل عمله، واستأذن رئيسه للمغادرة، فوافق دون تردد بعدما نظر إليه بفخر.

*****

فتحت تانيلا الدش وراحت تستقبل قطرات الماء بتنهيدة مريحة، كانت صورتها العارية تتحرك على المرآة بساقيها الرشيقتين التي تنتهي باستدارة

مغرية تهتز مع كل حركة، تفجرت المياه الساخنة وهي تنفخ بخارها الكثيف بقوة فغطى الماء جسدها الناعم، وقد تهدل شعرها على وجهها، ونزل على صدرها وانزلق على ظهرها بنعومة، كان الحمام بجدرانه المضلعة قد امتلأ بالبخار تماما حتى اختفت معه المرآة الطويلة، ساعدتها المياه الدافئة في انتشال همومها ومحو الأحداث التي جرت معها اليوم.

ارتدت ملابسها بعد الانتهاء من الاستحمام ثم جففت شعرها وسرحته بنعومة، ثم ذهبت لتشاهد مسلسلها المفضل لكنها لم تستمتع به كالمعتاد، بسبب اقتحام أفكار الانتقام رأسها.

*****

ألقى خالد جسده المتعب على فراشه وأغمض عينيه، لكنه لم يستطع النوم وسط النهار، تناول هاتفه من فوق الطاولة ثم راح يتصل بتلك الغريبة التي أعادت النبض إلى قلبه.

فاجأها رنين الهاتف بسبب الاتصال الذي أتاها من كازانوفا فردت عليه مسرعة دون تردد وكانت أولى كلماته: *اشتقت إليكِ.*

تنهدت تانيلا بكل أريحية بعد سماعها صوته، ثم أغلقت عينيها وراحت تتنفس بهدوء، ابتسمت في صمت، فهي تريد المزيد من كلامه المعسول حتى قال لها: *ما خطب قلبي! هل هو حزين يا ترى؟*

ضحكت تانيلا وهزت رأسها مجيبة:

لا، لست حزينة، أنا منهكة فقط.

مممممممم، متشابهان حتى في أوقات تعبنا!

مممممم، أجل!

أسند رأسه بذراعه وهو مبتسمًا، ثم قال لها بهمسة: *ما رأيك في أن تقومي بتدليك جسدي يا توأمي؟*

ردت عليه بسخرية: *وكيف سأفعل هذا يا سيد كازا؟ عبر البلوتوث مثلا؟!*

ضحك ثم قال: *أنت دائمًا ما تبعثين الراحة داخل روحي.*

فقالت بنبرة ودودة: *لا أعلم كيفَ حدث هذا يا كازا لكنك أصبحت مصدر قوتي.*

أغمض عينيه، ثم اعتلت بسمة عريضة وجهه، ورد بصوته الحنون قائلًا: *اسمعيني.*

تنهدت ثم ردت: *تفضل؟*

ماذا يسمى وضعنا؟

ردت باستغراب على سؤاله:

ماذا تقصد؟

ماذا تسمى علاقتنا؟ هل نحن أصدقاء أم ماذا؟

ابتسمت بخجل ثم قالت: *ربما أكثر من أصدقاء بقليل.*

هل هذا يعني أنك أصحبت تثقين بي؟

هزت رأسها بالموافقة وقالت: *نعم.*

ثم أضافت: *اسمع!*

أنا أسمعك بقلبي قبل أذني، تفضلي.

أردتُ أن أطلعك على سر لم أخبر به أحد من قبل، كي تتأكد من ثقتي بك.

إن كنتِ ستشعرين بالندم بعدما تخبريني به فلا تتعبي نفسك.

لماذا تقول هذا؟ هل ستفعل شيئًا يجعلني أشعر بالندم على ثقتي بك؟

رد عليها بجدية: *ما الذي تقولينه أجننت!! أنتِ لا تعلمين بعد كم مكانتك كبيرة في قلبي!*

حسنًا، إذن افتح أذنيك وأصغ إلى ما سأقوله جيدًا.

تنهدت ثم أكملت قائلة: *سأنتقم انتقامًا مدويًا ستكون آثاره كبيرة على الكثير من الناس.*

رد عليها بنبرة حادة: *تمزحين أليس كذلك!!*

أحس خالد بجدية الموضوع ثم نهض من مكانه وأغلق باب غرفته بإحكام وعاد إلى مكانه وقال بهمس: *حسنا، أخبريني هل أطلعتِ أحدًا غيري على هذا السر؟؟*

لا لم أفعل.

تنهد براحة كبيرة وراح يقول:

إياك أن تخبري أحدا عنه.

صمت قليلًا ثم تأفف وأضاف: *أنت حقا مجنونة!*

ردت عليه بلا مبالاة: *أجل أعلم وهذا كله لا يهمني.*

قاطعها وهو يصرخ قائلا:

أنا يهمني!! افهمي هذا جيدا، لن أتحمل أن يمسك الضرر.

تأفف وزفر قويًا مضيفًا:

لا أفهم لماذا تكرهين نفسك إلى هذا الحد؟ لما تستهينين بها هكذا! أنت ظالمة لنفسك ولن اسمح لك بمعاملتها بهذا الإهمال مرة أخرى! هل تسمعينني!!

ابتسمت مستمتعة بخوفه عليها فقال معتذرًا بعدما لم يتلق أي رد منها:

لم تصمتين؟ أعتذر إن ضايقك صراخي، لكني أصبحت أخاف عليك افهمي هذا أرجوك!

ردت تانيلا بهدوء بارد: *لم أتضايق منك ولقد سعدت حقًا بخوفك علي.*

تقدمت تانيلا نحو الطاولة المجاورة لسَريرها وفتحت أحد أدراجها، أخرَجت منه قرصًا مضغوطًا وتوجهت نحو حاسوبها، لنقل "تروجان" من حاسوبها

إلى القرص، بعدما انتهت من عملية التحويل قامت بتخبئته في حقيبة يدها بحرصٍ مع ابتسامة ماكرة مرتسمة على وجهها.

*****

ذهبَ سَامي ليطلع قدس على كيفية سير العمل كموظفة استقبال خاصة به، وأخذ يرشدها ببضع خطوات.

عندما يرن الهاتف ويكون المُتصل شخصًا مهمًا، أو شخصًا قد أكون بانتظاره حولي المكالمة إلى مكتبي عبر الضغط على الزر الأخضر، وإذا اتصل أحدٌ غير مهم فأخبريه أن لدي اجتماعًا ودوني اسمه، وإذا جلب أحد الموظفين ملفات مهمة انسخيها وأعطيها رقمًا واسمًا وصنفيه في الملف المناسب، ثم دوني هذه البيانات على ملف "الكلمات" في الحاسوب ليسهل عليك استخراج البيانات عبر الاسم أو التاريخ.

استمرت بهز رأسها بالموافقة ثم قالت له: *حسنًا سيد سامي لقد فهمت أوامرك.*

نظر إلى عينيها نظرة حب مما جعلها تشعر بالخجل ثم تنهد قائلًا:

أعانني الله، لا أدري كَيف سأتمكن من التركيز في العمل وأنتِ بجانبي، فدون إرادة مني أجد عيناي تهربان لتختبئا في ملامحك البريئة.

ابتسمت قدس بخجل ثم قالت معاتبة: *سامي!!*

قلب سامي.

ضحكت ثم قالت بتدلل: *كفى!*

مر الوقت وحلّ الظلام وغادرا الشركة معًا متجهين إلى منزلها، فعناده لم يفلح في إقناعه بتركها تعود وحيدة إلى المنزل في هذا الوقت المتأخر من الليل.

وضع سامي يده فوق شعرها وراح يتحسسه قائلًا: *انتظريني هنا فقد نفد البنزين سأقوم بملئه وأعود بسرعة، لا تقلقي لن أتأخر.*

اكتفت بهز رأسها بالموافقة بابتسامة ودودة، لم تمر عشر دقائق حتى عاد سامي وبيده الكثير من الأكياس التي كانت تحتوي بداخلها الكثير من الشوكولاتة، والكعك، ورقائق الشيبس، بالإضافة إلى المشروبات الغازية، قدمها لـقدس فسألته بعدما رأت ما بداخلها من أشياء قائلة: *ما كل هذا يا سامي؟*

بما أنني أصبحت رئيسك في العمل أردتُ مكافأتك على إنصاتك الجيد لكل أوامري.

ولماذا تكافئني في يومي الأول؟ فأنا لم أفعل شيئا أكافأ عليه بعد!

فكر بهمهمة بالإجابة وقال: *لأني كنت كثير الأوامر وكنتِ كثيرة الاستماع.*

ضحكت بشدة وهي تهز رأسها فأضاف قائلًا باستغراب:

ما الذي تضحكين عليه؟ أتحسبينني بهلوانًا؟

تعالت ضحكاتها وراحت تقول: *لا سيدي، حاشا!*

*****

مر الوقت دون أن يشعرا حتى أصبحا قريبين من المنزل، فطلبت أن يتوقف كي لا يراها الجيران تنزل من سيارته في هذا الوقت من الليل، فطلب مرافقتها سيرًا إلى البيت حتى يطمئن عليها، أخذا يسيران تحت ضوء القمر الذي زينته النجوم ببريقها وأخذا يستمتعان بالهواء العليل، راحت قدس تقوم بتسمية المناطق التي في حيها وتعرب له عن حبها للمكان وهو خال من الناس، حتى دخلا حيًا عتيقًا مظلما مما جعل قلبها يخفق خوفًا لكن كبرياءها منعها من الاعتراف بخوفها، أحس سامي بخوفها بعدما فضحتها معالم وجهها الطفولي، ابتسم بكل حب ثم شبك أصابعه بأصابعها فجعل قلبها يهتز حبًا بقوة لم يشهدها من قبل وكان منظرهما لمن يراهما يقول إنهما روح واحدة.

شكرا على التوصيلة الممتعة.

صمتت قليلا وابتسمت مضيفة:

أعتذر، لو كانت جدتي هنا لدعوتك على العشاء.

ضحك بعدما قبل يدها مجيبًا:

لست مستعجلا، سأنتظر عودتها لآتي لكن..

صمت قليلًا وأضاف بابتسامة ماكرة: *لكن وقتها لن آتي للعشاء، بل لشرب القهوة.*

ثم غمزها بعينه بعدما أكمل حديثه وانصرف تاركًا إياها في حيرة لتكمل ما بين سطور كلماته.

*****

حل الصباح وراحت تانيلا تعمل بكد بينما تنظر إلى الساعة بين الحين والآخر حتى مرت ثلاث ساعات، بدت كأنها ثلاث سنوات، ذهب جميع الموظفين إلى استراحة الغداء وتوجهت مسرعة إلى غرفة تغيير الملابس، فتحت حقيبتها واستخرجت قرصًا مدمجًا منها ثم خبأته داخل حمالة صدرها بحرص شديد، وغادرت المكان متجهة إلى مكتب جميل.

كانت فرحتها لا توصف عندما لم تجد الموظفة، فقد كان المكان فارغًا كما حلمت بالضبط! فتحت باب المكتب بهدوء ودخلت إليه لتجد طاولة خشبية صغيرة بجانبها كرسيين للاسترخاء من النوع الفخم، وخلفهما تمامًا مكتب طويل وعريض وبراق، فوقه حاسوب محمول وبعض الملفات، وبالقرب من حامل الأقلام إطار صورة تجمعه مع امرأة شقراء، ومن خاتمها الألماسي تيقنت أنها زوجته، أي والدة شقيقها، لكن ما أعادها إلى هدفها خزنة إلكترونية حديدية التي أثارت انتباهها.

تنهدت تانيلا وراحت تراقب بذهول زوايا المكان وشكرت ربها لعدم وجود كاميرات مراقبة لأن ذلك كان ليعطلها، ثم توجهت نحو الكرسي وجلست على طرفه وشغلت الحاسوب بينما راحت عيناها تراقبان الباب! وبعد أن أنهى الحاسوب تحميل نظام التشغيل طالعتها شاشته تحمل صورة سامي وهو جالس قرب والدته، جعل ذلك وجهها يعبس فجأة ثم لمستها برفق وقالت بهمس حزين:

أتمنى أن تسامحني يا شقيقي.

تنهدت ومدت يدها نحو الزر لينفتح محرك الأقراص الضوئي، فقربت القرص ناحيته لتضعه بالداخل لكن رعشة يدها المرتجفة منعتها فأغمضت عينيها برهة وتنهدت مرة ثانية ثم أدخلته بنجاح، نسخت التروجان ونقلته من القرص

للحاسوب، وشطرت قميصها لترى كم من وقت مضى على تحميله، أحست كأن الزمن يتباطأ حتى مرت دقيقتان وكأنهما سنتان، راحت تمسح العرق المتصبب من جبينها بتوتر حتى اكتملت العملية بنجاح واستخرجت القرص من الحاسوب، ووقفت مستعدة للمغادرة بارتياح. ارتياح قطعه صوت أنثوي حاد جعلها تنتفض في ذعر فرفعت رأسها لتجد قدس تحدق بها مذهولة**!**

تانيلا!! ما الذي تفعلينه عندك؟!

تجمدت تانيلا وقد اتسعت عيناها في دهشة صاعقة، والصدمة عقدت لسانها وشلت كيانها فلم تحرك ساكنًا، فكررت قدس سؤالها لكن هذه المرة بحدة أكثر وصوت أعلى:

تانيلا طرحت عليك سؤالًا من فضلك أجيبيني!

غاصت تانيلا في ذعرها ولم تجبها عن سؤالها أو بالأحرى لم يكن عقلها يملك الوقت لاختلاق أعذار، أطفأت شاشة الحاسوب وخبأت القرص بحقيبتها ثم همت بالمغادرة، أما قدس فقد كانت واقفة تتابع تحركات تانيلا بنظراتها المتشككة حتى فوجئتا بالباب يُفتح من الخارج، سارعت قدس نحو الباب وأوصدته بيدها ثم همست لتانيلا قائلة بصوت خافت: *هيا بسرعة اختبئي!!*

ضاقت عينا تانيلا من الفزع وراحت تبحث بعينيها عن مكان للاختباء فيه، بينما جسدها كله يرتجف وقلبها يخفق بقوة حتى إلى أن اختبأت تحت المكتب، أبعدت قدس يدها عن الباب فانفتح لتدخل الموظفة وعلامات الدهشة تطغى عليها: *قدس؟ ما الذي تفعلينه هنا؟*

ابتلعت قدس ريقها وأجابتها واثقة بينما كانت تنظر إلى الملفات: *طلب مني سامي، السيد سامي إحضار الملفات للسيد جميل.*

لكن السيد جميل لن يعود قبل المساء!

ارتبكت قدس ولم تعرف بم تجيب! فراحت تسعل ريثما تفكر في مخرج من هذا المأزق، وأخيرا ردت:

أعلم هذا، لكن أمرني السيد سامي بترتيب بعض الملفات! هذا امر منه!

تنفست بأريحية بعدما شعرت بأنها صدقت كذبتها، وراحت تراقبها من بعيد حتى غادرت الرواق، عادت قدس إلى الوراء وعقدت ذراعيها فوق صدرها ثم قالت: *اخرجي، يمكنك الذهاب الآن!*

خرجت تانيلا من تحت المكتب وهمت بالمغادرة، فأمسكتها قدس من يدها مستوقفة إياها قائلة: *أريد منك شرحًا مفصلًا لما يحدث معك.*

تجاهلت تانيلا سؤالها مما زاد من غضب قدس، فنطقت قائلة: *إذن هل تريدين مني إخبار سامي بما رأيته؟*

لم تتمكن تانيلا من أن تنبس بكلمة لوهلة، وأحست بوجهها يلتهب، وكبحت انزعاجها ثم قالت بلا مبالاة:

أصلًا سيعرف عاجلًا أم آجلا.

ضغطت قدس على يدها ثم قالت:

اسمعيني يا تانيلا، لست أهددك بل أحاول مساعدتك لأنك صديقتي!

أجابتها قائلة بابتسامة: *لقد ساعدتني بالفعل.*

خرجت تانيلا من المكتب مسرعة حتى صعدت إلى المصعد، فاهتز هاتفها عندما وصلتها رسالة نصية من قدس تقول فيها:

"انتظريني عند مدخل الشركة، أريد معرفة كل شيء الآن."

انتظرت تانيلا حتى تبعتها قدس وجلستا على مقعد مواجه للشركة، غاصت في هواجسها وراحت تتساءل: *هل تستطيع إخبارها الحقيقة؟ كيف ستتصرف إن وشت بها لسامي وجميل؟* حتى قطعت قدس حبل أفكارها، وهي تلح عليها مرة أخرى على معرفة الحقيقة، وبعد أن ضيقت عليها الخناق عليها بإلحاحها ارتأت أنه من الأفضل أن تخبرها بالحقيقة فقالت:

اجلسي هادئة واحتملي الصدمة بشجاعة، لأن الحقيقة التي سأبوح لك بها قاسية!

راحت تروي لها الحقائق وهي تبكي من يوم إلقائها كقطعة بالية أمام مركز المرضى النفسيين، إلى أن وصلت إلى حيث تجلسان، لم تتحمل قدس تلك المعلومات الصادمة التي تلقتها دفعة واحدة منها خصوصًا حقيقة أن سامي شقيقها، لم تتحمل وتدفقت دموعها فجأة فقالت لها تانيلا بعدما أنهت كلامها: *يا قدس، الحقيقة لم تكن حلوة يومًا، ولو كانت حلوة لما أخفيت عن الناس وليس هناك مفر من قبولها.*

اقتربت منها وعانقتها مرتجفة بارتباك، ثم قالت وهي تمسح دموعها بنبرة حزينة كالذبيحة:

لماذا لم تصارحي سامي بالحقيقة؟

ردت عليها مظهرة شيئًا من التماسك: *هل تقصدين حقيقة والده القاتل؟ وهل هناك عاقل يتقبل حقيقة كهذه؟*

صمتت قليلا وأضافت: *سامي الفرد الوحيد المتبقي من عائلتي ولن أتحمل خسارته هو الآخر.*

ردت قدس وهي تهز رأسها بالنفي:

لن تخسريه يا تانيلا.

ضغطت قدس على يد تانيلا وقد اغرورقت عيناها بالدموع لفرط تأثرها:

أنت لا تعلمين كم قلبه طيب! سيتفهمك صدقيني!

أنت محقة، قلبه طيب ولن أكون السبب في أذيته.

دخلت تانيلا البيت وقلبها ينبض حماسًا وكأنها ترى حلمها يتحقق، كيف لا وهي منذ أن وعت الدنيا تريد أن تصل إلى جميل! وها هي اليوم تقدمت أكثر إلى حلمها. أسرعت إلى حاسوبها وبريق الانتقام يطغى على عينيها الذابلتين المرهقتين، دخلت مسرعة إلى نظام "الكالي" في نيتها التجسس على جهاز جميل بعد أن غرست تروجان فيه، لكنها تذكرت فجأة كلام الموظفة التي قالت لقدس إنه لن يعود قبل المساء، فأخذت نفسًا عميقًا وقالت في سرها: *كيف نسيت هذا!*

ثم ابتسمت وأضافت: *لا بأس لن يضرني انتظار بضع ساعات فقد انتظرت وقتًا طويلًا.*

غيرت ملابسها ثم تسللت إلى المطبخ لتسكت معدتها، أحضرت الطعام إلى سريرها كي ترتَاح وتزيل إرهاق يومها الشاق، ليأتي صوت اتصال من "كازا" فنهضت مسرعة لترد عليه وتشاركه فرحتها في تحقيق مُبتغاها، الفرحة التي طالما أرادت الوصول إليها.

مرحبًا يا أوسم كازا بالعالم!!

خير، لمَ أنت سعيدة هكذا؟

ضحكت بسعادة وقالت: *تحقق حلمي يا كازا، وأخيرًا تحقق!*

اهدئي وأخبريني ببطء ما قصدك؟

تحمست كثيرًا فانفلت لسانها وراحت تقول: *بقيت أمامي خطوة قصيرة لتحطيم الشخص الذي عشت بسببه في الجحيم، لقد اخترقت شركته الخاصة التي من أجلها فعل جميع تلك الأشياء المريعة التي لا تُغتفر!*

رد عليها والغضب العارم يشد عضلات وجهه:

هل أنت جادة؟ هل جننت؟ كيف تجرئين على فعل شيء كهذا!!

ما الذي تقوله يا كازا؟ هذا كان حلمي منذ وقت طويل! وإن كان تحقيق العدالة يعتبر جنونًا، فأنا مجنونة!

رجاء قولي إن هذه مزحة ثقيلة، لا تفقديني صوابي يا سيكادا، هذا خطر كبير فهذه ليست لعبة!!

ردت تانيلا بعدما شعرت بخوفه عليها: *لا تخف لن يكشف أمري..*

قاطعها قائلا: *تحفرين قبرك بيديك وتطلبين مني ألا أخاف عليك! لماذا أنت أنانية هكذا!*

صمتت قليلا بعدما استوعبت خوفه وقلقه، فأضاف: *رجاء ضعي نفسك مكاني، افهمي، لا أريد خسارتك! لو ألقي القبض عليك فلن يرحموك، وإن حدث ذلك فكيف ستعيشين في زنزانة صغيرة بقية حياتك! هذا إن كنت محظوظة !*

تنهدت ثم قالت: *لكن هذا حلمي وعلي استرجاع حق والدي وأمي رحمة الله عليهما.*

أعلم هذا، صدقيني لا يوجد أسوأ من الشعور بالظلم دون مقدرتك على الدفاع عن نفسك أو عمن تحبينهم، لكن تأكدي أن والديك لو كانا على قيد الحياة لما سمحا لك بإلقاء نفسك في الهاوية.

ردت بحزن أعمق: *لكنه حلمي.*

لكني لا أريد خسارتك !

لا داعي للخوف عليّ.

قاطعها قائلًا: *اسمعي!*

لكنها تجاهلته وأكملت قائلة:

لأني قوية ويمكنني الاعتماد على نفسي.

اسمعيني رجاء!!

أخبرتك ألا تقلق عليّ، فكل شيء سيكون على ما يرام.

عندما رأى أنها لا تدرك كم قلقه، قال: *أحبك.*

لم تسمع كلمته لفرط انفعالها فواصلت كلامها: *لماذا لا تثق بأنه يمكن الاعتماد علي؟! كما أنك قلت سابقًا إنني أنانية...*

توقفت عن الكلام فجأة بعد أن استوعبت ما سمعت ...

احمر وجهها، وارتجفت يديها حتى كاد الهاتف يسقط من يدها وراحت تردد في سرها *"قال انه يحبني؟؟ يحبني أنا؟؟ لكن لماذا؟ هل هو مجنون!"*

سندريلا إلى أين هربت؟ هل ما زلت على الخط؟

أفاقها من شرودها، فأجابته بصوت تحول من الذعر والقلق إلى صوت عذب خجل: *هنا، نعم أنا هنا!*

لماذا تصمتين، ألم تسمعي ما قلته؟

هاج قلبها وماج، وهربت الكلمات منها فأضاف قائلًا: *هل أنت متيمة بي كما أنا متيم بك؟*

تضرج وجهها خجلًا ولم تجب على سؤاله، ورأت أن أفضل شيء مناسب هو الهرب من هذا الموقف المحرج، فأقفلت الخط ورمت الهاتف فوق الطاولة كأن قنبلة موقوتة على وشك الانفجار، أخذت تدور داخل الغرفة ذهابًا وإيابًا بينما قلبها يخفق بشدة، تضاعفت دقاته عندما تذكرت كلماته التي سحرتها فراحت تلمس وجنتيها اللتين كادتا تنفجران من حمرة الخجل، ووجدت نفسها

تطرح سؤاله على نفسها، فتوقفت ساكنة دون حركة، ثم اتسعت عيناها والتقطت الهاتف واتصلت به منتظرة رده، سمعها تقول بعدما رد دون مقدمات: *لست أدري إن كان حبًا، لكن كلما تحدثت معك شعرت بالغثيان و...*

ثم توقفت عن الكلام برهة وخافت أن يكون فهم قصدها بشكل خاطئ، فأضافت بتوتر شديد:

أقصد أن قلبي يرقص فرحًا كلما سمعت صوتك، وعندما تصلني رسالة منك أجد نفسي أقرأها بلهفة كبيرة حتى إني أبتسم كالبلهاء كلما راسلتني، كما أصبحتُ غير قادرة على النوم، وعندما أنوي التحدث معك وتكون غائبًا يؤلمني قلبي دون سبب، لا أعرف إن كان هذا هو شعور الحب، فأنا لم أحب أحدًا من قبل.

تسللت كلماتها أسفل جلده لتسري في عروقه، وتستبدل أحزانه بفرحة غامرة فبثت فيه رغبة جامحة لضمها، ولأول مرة لم يعرف بم يجيب، فقد كانت نبضات قلبه أقوى من صوت عقله، فأكملت قائلة بنبرة أنهكها العشق:

أخبرني رجاء، هل هذا هو الحب؟؟

تنهد خالد بأريحية وقال بحنان: *نعم؛ هذا هو الحب! هو الذي جعل قلبك يخفق مثلما فعل مع قلبي حتى إنه خيل إليّ أني مرضت وقتها حتى علمت أنكِ السبب، عندما خفق قلبي من جديد في الزمان الذي ظننت فيه أنه توقف ومات، لقد أعادت ملائكيتك الحياة لقلبي وكأنك بعثت فيه ترياقًا جعله يخفق من جديد، عرفت معكِ أن المستحيل لا وجود له، وتركت روحي تحلق عاليا لتعانق روحك، أدمنت رسائلك التي انتشلتني من قاع*

المآسي، أود أن أشكر الحياة القاسية التي عن طريقها عرفتك يا ملاكي، لم أؤمن يومًا بعلاقة بعيدة المدى، وعاهدت نفسي أني لن أحب ثانية، ولكني نكثت وعدي، وببراءتك كسرت جميع القواعد التي وضعتها، أحبك وأموت فيك عشقًا، لم أرك بعد فماذا لو رأيتك! سأجن بحبك.

كانت تانيلا تبتسم بسعادة والدموع تترقرق من عينيها، فلم تظن يومًا أن يأتي رجل ليعوضها فقدان كل من خسرته، لكن هذا الغريب قد فعل**!**

من حسن الحظ أنك في حياتي يا كازا، كنت أعشق الوحدة أما الآن فأعشقك أنت.

قال بنبرة رجاء: *إن كان الذي في قلبك حبًا، فهذا يعني أنك ستفهمين شعوري بالخوف على سلامتك.*

صمت قليلا ثم أضاف:

ملاكي، أنتِ من أنقذتني من الوحدة التي كنت فيها، رجاء تخلي عن خطتك تلك.

بقيت تانيلا تستمع إليه دون أن تنبس بكلمة وراح يقول متوسلًا:

لا أريد خسارتك فأنا لم أفز بك بعد، دعك من الانتقام فهو ليس حلًا، بل لن تنالي منه شيئًا سوى تأنيب الضمير وعذابه.

تنهدت تانيلا بعدما أغمضت عينيها وهي تشعر بالدموع الساخنة تتسلل من بين جفنيها المطبقين وقالت: حسنًا، لك ما شئت.

أحس خالد بقلبه يخفق فرحًا بين ضلوعه بعدما سمع كلماتها، فصاح بسعادة:

حقًا! هل تعديني؟!

هزت رأسها مستسلمة وهي تقول:

أعدك، لقد أمضيتُ وقتًا طويلًا للوصول إلى هدفي، وعندما أدركت أنك أنت هدفي تراجعت.

*****

ظلتْ قدس تفكر في كلام تانيلا الذي راح يتكرر في ذهنها، واختلط عليها صوت ضميرها الذي راح يحثها على إخبار سامي بهذا السر الذي يصعب إخفائه، لأنها لم تشأ أن ينفطر قلبه! وفجأة أنقذها رنين الهاتف من شرودها، فردت دون أن تعرف من المتصل.

مرحبًا أميرتي، كيف حالك؟

ابتلعت ريقها بصعوبة ثم قالت: *أهلًا.*

هكذا فقط؟

عقدت حاجبيها لعدم فهمها قصده وردت على سؤاله متسائلة: *ماذا تعني؟*

فرد مازحًا: *أهلًا دون كيف حالك يا حبيبي الوسيم؟*

تنهدت بعمق وابتسمت بأريحية وهي تقول: *بل تقصد كيف حالك يا حبيبي الأحمق!*

ما دمت حبيبك فلا يهم إن كنت وسيمًا أم أحمق.

صمتت قليلًا بعدما وخزها ضميرها تأنيبًا، وأغمضت عينيها بقوة ثم قالت: *سامي، أريد التحدث معك في موضوع مهم.*

رد عليها وقد بدا على صوته الحيرة: *خير حبيبتي، ماذا حدث؟ هل أنت مريضة؟*

تنهدت ثم ردت عليه: *لا تقلق، أنا بخير، ما رأيك لو نلتقي لاحقًا في الحديقة التي اعتدنا الذهاب إليها.*

حاضر حبيبتي، سأراسلك عندما أنتهي من بعض الأعمال العالقة.

أقفلت الهاتف وراحت تفكر كيف تواجهه**!** وتحمّل قلبه مرارة الحقيقة المرهقة، وماذا عن صديقتها التي وثقت بها وأودعتها أكبر أسرارها هل تطعنها وتخونها؟

*****

أخذت تانيلا تطالع كتاب "الأمير" لميكيافيلي"، بعد أن بات كتابها المفضل يوم قررت أن تشرع في الانتقام، التهمت أحرفه التي بثت السعادة داخلها، لكنها سرعان ما قررت أخذ استراحة صغيرة من القراءة بعدما وصلها إشعار من حاسوبها فعرفت أن جهاز جميل اتصل بالشبكة.

نظرت إلى الساعة لتجدها تجاوزت السادسّة، خفق قلبها بشدة، بات حلمها في متناول يدها ويمكنها تحقيقه الآن في هذه اللحظة، لكنها ترددت لأنها قطعت

وعدًا لكازانوفا، إلى أن حزمت أمرها وكتبت على غرفة الدردشة الخاصة بها وبكازا بسرعة كبيرة: *عندما ترى رسالتي أجبني فورًا، لدي شيء مهم لك!!*

راحت تقضم أظفارها منتظرة قدومه والرد على رسالتها، لم تمر خمس دقائق حتى أجابها قائلاً: *أتيت حبيبتي، أخبريني ماذا هناك هل حدث شيء مهم؟*

ابتسمت بعدما رأت رسالته وراحت تكتب قائلة: *لقد استلمت مِلفات عن أشخاص قد تَم الإعلان عَن أنهم خائنون، لذا تم نشر جميع الجرائم التي فعلوها في ملفات مع الأسماء المزيفة التي كانوا يستخدمونها وهوياتهم الحقيقية.*

قاطعها قائلًا: *أين عثرت عليهم؟؟*

في مكان سري من الديب ويب، اعتدت أن أعثر على ملفات مشابهة لكن لم أكن أعيرها أي اهتمام، إلا هذه المرة بعد أن تذكرت قصة زينة، أي عدوك الذي لم تجده حتى الآن، سأرسلها لك الآن علك تجده بينهم.

لا أعرف كيف أشكرك على كل هذا المجهود الذي قمت به! حقا أشكرك لن أنسى معروفك هذا طيلة حياتي.

أخذ خالد الملفات في قرص صغيرة وغادر المنزل مسرعًا إلى مركز الشرطة لتسليم الأدلة إلى رئيسه، أما تانيلا فبمجرد أن أغلقت الدردشة حتى بدأ ضميرها بتأنيبها، وراحت تردد بين نفسها بأنه لن يغفر لها الفعلة التي على وشك أن تقوم بها فالعاشق لا يشك في معشوقته، ثم قالت في نفسها: *إن خير حل هو إزالة الشك فمن حقها معرفة المزيد عن الشخص الذي سرق قلبها.* لاحظت أن جهاز كازانوفا الذي اخترقته قد شرع في التثبيت داخل حاسوبها

فراحت تنتظره بقلب مرتجف، راحت تتفحص محتويات الملفات التي بداخله فوجدت أنه يحوي الكثير من الملفات المشفرة التي يصعب تفكيكها حتى إن معظم التشفيرات لم تر مثيلًا لها من قبل، ذهلت لوجود العديد من الملفات مخفية من على سطح شاشة المكتب، فأخذت تقرب عينيها من حاسوبها كي تركز أكثر لكن حرارة جسدها المرتعش منعتها من التركيز فاستوت واقفة وتنهدت بعمق مغمضة عينيها حتى شعرت بالهواء يدخل رئتيها، جلست ثانية وباشرت تتصفح الجهاز وتفك شيفرات الملف الأول الذي صادفها، ذهلت مما رأت وأحست بالأرض تدور من حولها، كان الملف ممتلئًا بالعديد من شهادات التقدير الموجهة من شرطة مكافحة الجرائم الإلكترونية لـ "خالد"، لطالما تمنت معرفة اسمه لكن ليس بهذه الطريقة**!** فوجئت بالعديد من سجلات مجرمي الإنترنت الخطرين مرفقة بالجرائم التي ارتكبوها مرفقة بصور تقشعر لها الأبدان تكشف بعضًا من جرائمهم، ذعرت مما رأت واستمرت باحثة عن المزيد قبل أن يكتشف أمرها، التهمت السجلات بعينيها لتفاجأ بما لا يحمد عقباه، سرت رعدة باردة أسفل عمودها الفقري وانتقلت عيناها بسرعة إلى ملف أثارت علامة الاستفهام على أيقونته انتباهها، تصبب جبينها عرقًا بينما وضعت يدها على صدرها عندما شعرت بقلبها يخفق من الرهبة، ابتلعت ريقها بصعوبة وأخذت تفك شيفرة الملف، كان فكها دربا من دروب الخيال، وبعد دقائق قليلة، بات الملف تحت سيطرتها.

لم تستطع الضغط على الفأرة لفتحه فقد منعها ارتجاف يديها، شعرت بأن حلقها جف كسمكة ألقيت على شاطئ رملي، فتحت قنينة المياه وسكبت لنفسها كأسا كبيرة من الماء، عندئذ في اللحظة التي كانت تعدل فيها جلستها تذكرت اعترافه بحبه لها، فانهمرت دموعها دون توقف، استجمعت شجاعتها أخيرًا وفتحت الملف لتجد لقطات الشاشة لجميع الرسائل التي دارت بينهما، انفجرت عيناها بالدموع بعدما سمعت تسجيلات مكالماتهما الصوتية، لم تستطع كبح

دموعها فاستوت واقفة وراحت تصرخ بأعلى صوتها دون أن تقول كلمة مفهومة، فقط تصرخ باكية لعل صراخها يطفئ النار التي اشتعلت في قلبها، سقطت على الأرض باكية منهارة وتمتمت وهي تجثو على ركبتيها خائرة القوى.

كيف صدقته ووثقت به؟

أخذت تضرب جبينها بيدها مضيفة:

"كيف! كيف!! يا لي من بلهاء!!"

شهقت وراحت تصرخ وصوتها يقطر ألمًا. *بعدما وهبتك حياتي! أمنتك على أسراري! أحببتك وأنا التي لم تحب، وثقت بك كالخرقاء، وأنا التي لا تثق بأحد.*

بعد صراع أدركت أن صمت الوحدة أفضل مئة مرة من صوت منافق، وأما من صاحب المنافقين في حياته لن تصعب عليه الوحدة.

مسحت دموعها بطرف ثوبها، حاولت أن تهدئ من نفسها ثم وقفت وخطت خطوات ثقيلة لتجلس ثانية أمام الحاسوب ومدت يدها نحوه ثم دخلت جهاز جميل وراحت تستخرج منه السجلات السرية للشركة التي كانت مخزنة في مكان "آمن" أو هذا ما كان يعتقده جميل.

كانت سجلات سرية لدرجة تجعل الشركة تغوص في قاع الإفلاس، جميع المعلومات التي تم حجبها عن العامة وغير المصرح بها، جلبت المواقع التي جمعتها وبدأت تستعد لتسريب السجلات عليها، وبكل برودة أعصاب وبتلذذ حلو ضغطت على زر الإرسال، فتقافزت الأسرار المحبوسة لتنال حريتها،

بعدها عادت إلى جهاز جميل وأخذت كلمات المرور الخاصة بحساباته البنكية ونقلتها مباشرة إلى حسابها الوهمي لكيلا يتم اكتشاف هويتها مع أن هذا لم يعد يهمها كثيرًا لأن كازا قام بالواجب وأكثر.

شطرت قميصها عن ذراعيها وراحت ترسل الأموال التي نقلتها إلى الحسابات الخاصة بالجمعيات الخيرية التي جمعتها في مختلف أنحاء العالم، ولم تنس أن ترسل مبلغًا طيبًا للمسنة التي طردها، عندئذ أغمضت عينيها وقالت بفرح:

لعلي أكون قد حققت انتقامك يا والدي، لم أترك في الشركة التي سرقت منك فلسًا واحدًا، الحمد لله أنني أتممت مهمتي بسرعة لأن الحقير أطفأ حاسوبه من دون أن يعرف بالكارثة التي وقع فيها.

ثم واصلت: *يبدو أن حظي من الحب كحظ أمي البيولوجية.*

تنهدت للحظة وشردت في المرآة دون أن تقول شيئًا، أوصلتها تأملاتها الطويلة إلى قرار مخيف.

خرجت تانيلا مسرعة من المنزل بعدما أنهت مهمتها وأخذت معها القرص الخاص بها.

*****

أتى مساء ذلك اليوم وتوجه سامي إلى الحديقة منتظرًا حبيبته الحسناء، لم تمض دقائق حتى وصلت في الموعد، سلم عليها دون أن ينتبه إلى عبوسها، فراح يقول في سعادة وشوق: *أخبريني يا قدس، كيف تزدادين جمالًا في كل مرة أراك فيها؟!*

ابتسمت بلطف وقالت مازحة: *إنه سر.*

صمتت ثم راحت تفكر في القنبلة التي ستفجرها في وجه المسكين، أمسكت بيده وحثته على الجلوس، فسألها باستغراب: *خير ما به القمر؟ هل هو حزين؟ وما هو الموضوع المهم الذي استدعيتني من أجله؟*

احتارت كيف تبدأ حديثها الذي بدا ثقيلا على قلبها، فتأملته مليا وقالت:

سيبدو طلبي مجنونا قليلًا، لكن رجاء هل يمكنك أن تحكي لي قليلا عن عائلتك؟

صمتت قليلا وابتلعت ريقها مضيفة:

أقصد والدك!

أجابها والقلق يدب في قلبه:

لماذا تريدين أن أحكي لك عن والدي؟ هل فعل لك شيئًا؟؟

نهض من مقعده والغضب العارم يخيم على عضلات وجهه مضيفا:

قولي الحقيقة!!

أمسكت بيده وربتت عليه بحنان ثم قالت:

اهدأ رجاء فهو لم يفعل شيئًا لي، بل لشخص آخر!

ما الذي تقصدينه يا قدس، أوضحي، أنا لا أفهم شيئًا سأصاب بالجنون!

سادت لحظة صمت، التقطت خلالها نفسًا عميقًا وسألته بنبرة متألمة دامعة:

أجبني فقط، هل كان متزوجا بامرأة غير والدتك؟

ذهل من سؤالها ودارت في رأسه عشرات الأفكار.

*****

كان الجو كئيبًا والصمت ثقيلًا، جلست تانيلا وسط قبري والديها، أو بمعنى أصح ارتمت بكآبة بينهما، كان المكان ساكنًا يخيم عليه حزن عميق، أما الطيور فقد كانت قابعة فوق أغصان الأشجار ساكنة صامتة هي الأخرى.

حان الوقت لأنجز خطوتي الأخيرة، فلم أعد قادرة على حمل هذا العبء أكثر، هذه ليست حياةً يا أمي، لا أستطيع الاستمرار مع كل هذا الظلام الذي بداخلي، أتسمعني يا أبي؟ أخشى أن تتلاشى ملامحك من ذكرياتي مثل سعادتي، سئمت من نفاق العالم، لم أعد أجد فرقًا بين الحياة وجهنم التي كنت تصفها لي في صغري، كانت أكبر مخاوفي أن افعل أشياء خاطئة تلقيني في نار جهنم لكن، صدقني لم تعد نارها تخيفني أكثر من نار البشر.

التوت شفتاها بابتسامة مؤلمة ثم أردفت قائلة: *في النهاية جعلوني أشبههم أيضًا، كل ما تلقيته من عائلتي البيولوجية هو الألم وخيبة الأمل، لذا لمَ أتوقع من الغرباء شيئًا جميلًا؟*

كأن الموتى يصغون إليها مشدوهين، وأوراق الأشجار تهتز بتنهيدة متألمة وهي تغادر بصمت.

*****

بدأ الظلام يرخي سدوله، وكانت قدس سجينة خواطر خلقت في خيالها صور مخيفة، كانت في موقف لا تحسد عليه.

أبدًا! من أين جئت بهذا الهراء؟!

صمت قليلًا وراح يسترجع ذكرى منسية فقال مستذكرًا: *آه صحيح تذكرت، باحت والدتي لي مرة عن امرأة كانت مهووسة بأبي، أعتقد أنها خادمته، لكنها ماتت بسبب مرضها الخطير منذ زمن بعيد، لا أحد خارج العائلة يعلم بهذه القصة لكن، كيف علمتِ بها؟؟*

كانت قدس تستمع لحديثه بتركيز بينما تفرك يديها وتقضم شفتيها، ثم قالت بشجاعة:

أعلم أن ما سأقوله جنون في حد ذاته لكنه حقيقي، صدقني!

حدق سامي فيها باستغراب بينما راحت تقول:

يؤسفني إعلامك أن الحكاية التي سمعت طرفها كاذبة، فتلك المسكينة كانت على علاقة بوالدك، وعدها بالزواج كما أنها قد أنجبت منه مولودًا.

في تلك اللحظة المشحونة، انفجر سامي كالبركان، وقاطعها قائلًا:

هل هذا نوع ثقيل من المزاح أم أنك جننت؟ ما الذي تقولينه، مَن تتحدثين عنه يكون والدي!!

اسمعني رجاء قبل أن تنفعل هكذا!

تنهدت منهكة ثم أضافت بنبرة رجاء:

سامي، عدني أرجوك.

أجابها بعينيه وحاجبيه بأنه لم يفهم قصدها، فقالت مضيفة:

عدني ألا تسمح لقلبك أن ينكسر بعد سماعك ما سأقوله!

أخذ قلبه يقفز هلعًا، فقد أكدت ملامح وجهها أن الموضوع في غاية الجدية:

والدك كان السبب في وفاة تلك المسكينة يا سامي، لقد ماتت منتحرة خوفًا منه لأنه لم يخذلها فحسب، وإنما عاملها بقسوة لا توصف وجعلها تعيش في رعب لا يطاق، بمعنى آخر هو من قادها إلى الانتحار.

بذل جهدًا كبيرًا في كظم غيظه:

تعلمين مكانك في قلبي، لكني لن اسمح لك إطلاقًا بالتحدث عن والدي بهذه الطريقة، يا خيبة ظني بك! لم أتوقعك هكذا!

نهض مغادرًا من دون أن يضيف شيئًا فأمسكت بيده موقفة إياه:

تانيلا أختك يا سامي!

التفت إليها ساكنًا كصنم حتى خيل إليها أنه لم يعد يتنفس، ضاق صدره وبات يتمتم بهمس: *"أخت.. تانيلا"*.

أحاطته قدس بذراعيها لتجلسه على الكرسي مجددًا وهي لا تزال تضمه بقوة، وتهمس في أذنه: *اهدأ حبيبي، اهدأ، لا ذنب لك، اهدأ، خذ نفسًا عميقًا.*

بعد دقائق، بدأ غبار القنبلة التي فجرتها في وجه المسكين ينقشع، ومما ساعد على انقشاعه تلك الضمة التي زادتها قوة الصدمة.

روت الحكاية وهي تمسك يديه بقوة كأنها تخشى أن يختفي من أمامها. تروي وتنظر إلى عينيه، وكلما رأت أنه لم يعد قادرًا على الاحتمال ضمته إلى صدرها، إلى أن تمكنت من إنزال آخر الحمولة الثقيلة.

بعد صمت طويل، قال بنبرة مكسورة: *كيف علمتِ؟*

من تانيلا.

تانيلا!! أين هي؟ يجدر بي الذهاب إليها الآن.

أمسكت بيده وقربت وجهها من وجهه بجرأة، وقالت ببراءة وخوف وهي تكاد تبكي: ***سامي! تانيلا تريد الانتقام من والدك، أخشى أن تكون قد شرعت في انتقامها.***

أصيب سامي بالذهول فأفلت قبضة يدها وهو يركض بسرعة ناحية سيارتِه، فصرخت بذعر: ***سامي، إلى أين؟ سامي ماذا تفعل!***

فالتفت إليها بنبرة حازمة:

ذاهب للبحث عن تانيلا!

دخلت تانيلا الشركة مطأطئة رأسها كي لا تلمحهَا كاميرات المراقبة، ثم صعدت إلى مكتب جميل وهي تتخفَى بحذر حتى رأت موظفة الاستقبال الخاصة به، فخطرت ببالها فكرة، نزلت إلى الطابق السفلي ثم مدت يدها وأزالت دبوسًا أمسك شعرها فانفلت مفترشًا كتفيها، رسمت ابتسامة مشرقة على وجهها بصعوبة وتوجهت إلى موظف الاستقبال:

مرحبا هل يمكنك أن تسدي لي خدمة صغيرة؟

كان الموظف شابًا صغيرًا بالسن أربكته ابتسامتها العذبة:

بالطبع آنستي تفضلي، كيف يمكنني مساعدتك؟

قالت وهي تحاول ضبط إيقاع ابتسامتها:

أتيت لزيارة قريبتي، تعمل سكرتيرة رئيس الشركة هنا، هل يمكنك استدعاؤها من أجلي؟

يمكنك الذهاب إليها مباشرة، هل ترغبين في أن أرشدك إلى الطريق؟

لعنته في سرها، ثم ردت بطريقة تسترعي الإعجاب: *أعرف الطريق جيدًا، لكن أردت مفاجأتها بعيد ميلادها اليوم.*

في هذه الحالة، سيكون ذلك من دواعي سروري.

راقبته وهو يتوجه إلى المصعد، ركضت مسرعة وهي تصعد الدرج واختبأت خلف جدار قريب فرأته يدخل المكتب، بعد هنيهة، رأتهما يغادران المكتب نحو المصعد. وحينما أقفل باب المصعد ركضت سريعًا إلى مكتب جميل

مشغلة الحاسوب وموصلة القرص به، ومن خلاله تمكنت من اختراق الخزنة المشفرة، توجهت نحوها وانحنت ببطء لتجد داخلها ما لم تتوقع وجوده!

كانت بداخلها ملفات سوداء وفور أن قرأت عناوينها فهمت على الفور ماهيتها، لقد كانت جميعها تهديدات خبأها جميل ضد شركائه حتى لا يفكروا يومًا بسحب استثمارهم من الشركة، صحيح أن عقله ذو أفكار شيطانية لكنه يبقى محدودًا لأنه لم يخطر بباله أن السلاح الذي يحتمي به سيقتله في يوم من الأيام.

علت ملامحها ضحكة شيطانية، وهي تهم بالمغادرة بعدما حققت ما وُلدت من أجله، ثم توقفت فجأة لتعود إلى الحاسوب بعد أن خطرت ببالها فكرة جنونية جديدة، لم تمر خمس دقائق حتى أنجزت الفكرة وحولتها إلى حقيقة، لم تنتبه إلى الوقت، فحين همت بالمغادرة مجددًا وقفت خلف الباب لترى إن كان هناك أحد، فأصابتها الحيرة عندما اكتشفت أنها باتت محاصرة، بعد أن رأت الموظفة تجلس في مكتبها، جاءتها فكرة جديدة، عادت إلى أقصى الغرفة وأمسكت هاتفها وبعد ثوان:

ألو، قدس، اسمعيني، أريدك أن تتصلي على الفور بموظفة جميل.

قاطعتها قدس متسائلة بنبرة جنونية:

أين أنت يا تانيلا؟ هل عدت إلى مكتبه ثانية؟!

زفرت تانيلا وقالت بجدية:

اسمعيني! أنا في مأزق خطير وأطلب منك المساعدة، أريدك أن تتصلي بموظفة جميل وتخبريها أن تذهب إلى الساحة الخلفية للشركة فالأمر طارئ، حالا!!

تنهدت قدس وقالت بنبرة يملأها الحزن:

حسنًا، وأتمنى أن تسامحيني على ما فعلته.

استغربت تانيلا فسألتها عن قصدها؟ أجابتها قدس والدموع تنهمر من عينيها:

سامي يعرف كل شيء يا تانيلا.. أخبرته كل شيء! إنه يبحث عنك الآن، أنا آسفة لم أقصد أن..

أقفلت تانيلا الخط بوجهها، توجهت نحو الباب ببطء وهي تحاول أن تفيق من الصفعة، لم تمر دقيقة حتى رن هاتف الموظفة فغادرت المكتب مسرعة ومعها الملفات.

*****

أثار اختراق حواسيب الشركة غضب الموظفين، ليتحول الغضب إلى همهمات تتبعها وشوشات وأحاديث جانبية حول اللائحة التي رافقت عملية الاختراق، أما العبارة التي جاءت في ذيلها بالأحمر القاني "أصابني العمى حين أحببتك"، فقد أثارت العديد من الهمسات.

دخل سامي إلى الشركة وفوجئ من الموظفين الذين يغادرون الشركة غير عابئين به، وهم الذين كانت نظرة واحدة منه تكفي لإسعادهم، لم يطق صبرًا فأوقف موظفًا سائلًا إياه عما يجري فأخبره أن الشركة قد أُخترقت وأن أسرارًا قد كشفت، وأنها باتت مفلسة لا محالة.

تمكنت تانيلا من الخروج من الشركة في الوقت المحدد قبل أن يراها سامي الذي دخل مكتب والده ليجد باب خزنته مفتوحًا، فأدرك أن شقيقته كانت هنا وأن ما يجري هو انتقامها.

لم تذهب تانيلا إلى المنزل بل ذهبت إلى مركز الشرطة، فجأة لمحت مراهقًا لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره يلعب بالكرة فنادت عليه، لحسن حظها أنه كان مطيعًا، تقدم نحوها فقالت بنبرة لطيفة:

ما رأيك لو أعطيتك مهمة صغيرة تنال مقابلها مبلغًا تشتري به كرة أجمل من هذه الكرة؟

هز رأسه موافقًا فأشارت بيدها نحو مركز الشرطة: *إذن اسمعني جيدًا ما رأيك أن تدخل إلى هناك، وتأخذ هذه الملفات وتعطيها إلى أي شرطي تراه.*

أجابها وهو يبتعد بخطوات بطيئة:

أعتذر لا يمكنني فعل ذلك، أخاف أن أسجن!

وضعت يدها بلطف فوق رأسه وسألته بابتسامة مشرقة:

أخبرني صديقي الصغير، ما اسمك؟

اسمي "مصطفى".

نظرت إليه بحنان أكبر ثم تنهدت وهي تقول:

حسنا يا مصطفى، أنا شرطية لا أرتدي الزي الرسمي لأني في مهمة سرية، أنا أعدك أنه لن يصيبك أي مكروه، ما رأيك بهذا الاتفاق، قل للشرطي إن

زميلتك الشرطية أعطتني هذه الملفات وأن عليك أن تسلمها لمدير المركز فورًا، وفي المقابل سأعطيك نصف المبلغ الآن، وربما تصبح شرطيًا صغيرًا عندما يكافئك المدير؟

هز رأسه فرحًا فأعطته النقود والملفات فانطلق من فوره وهو يتخيل نفسه يرتدي ملابس الشرطي والأطفال المشاغبين يهربون من حوله.

راحت تراقب من بعيد حتى رأته يخرج من المركز برفقة شرطي يحمل بين يديه الملفات السوداء والطفل يقف حائرًا وهو يتصفح الوجوه بحثًا عنها.

مرت ساعة دون أن تلاحظ أي حركة غير عادية أمام المركز، وفجأة دوت صافرات سيارات الشرطة وهي تخرج تباعًا من المرأب، أسعدها المشهد لأنها علمت وقتها أنها سددت الضربة القاضية.

*****

بينما كان خالد في مركز الشرطة ينهي لَمساتْ التحقيق الذي كان يتابِعه منذ مدّة وفي لحظة تفكير عميق تذكر الملفات التي أرسلتهما إليه سيكادا، فانفجر ضاحكًا من غبائه وعدم اكتشافه طيلة الوقت أنها كانت قد اخترقت حاسوبه بحيلة ماكرة!! ارتبك ارتباكًا جعله ينطلق مسرعا لبيته.

ها هو يفتح حاسوبه ليجد الصدمة الموجعة فقد باتت حبيبته تعلم بأسراره الآن، اتصل بها مرارًا وتكرارًا لكن دون جدوى، قرر أن يلجأ إلى خبرته، وبعد جهد تمكن من تحديد عنوانها عبر الموقع الخاص بها، فانطلق إلى وجهته بسرعة على أمل أن تتفهم معشوقته خططه.

حل الليل ووصل خالد إلى بيت صغير وراح الخوف يغازله منذ لحظة وصوله، ركن سيارته بالقرب منه وأسرع نحوه طارقًا بابه فوجده مفتوحًا مما جعل ضربات قلبه تتسارع، فأبطأ خطواته ومد يده فوق سلاحه استعدادًا لأي مجهول، فتح الباب ببطء شديد ودخل بهدوء، راح يتحرك بخطوات حريصة مدققًا في كل التفاصيل، لكن مفاجأة غير سارة كانت تنتظره هناك، كان الجو كئيبًا بشكل لا يحتمل، فجأة لمح ضوءً خافتًا جذبه نحو غرفة جانبية، وما إن دخل حتى لمح ذاك الكم الهائل من الدماء منتشرًا على الأرضية، فشعر بالدوار من هول المنظر ولم يستطع استيعاب ما رأته عيناه، ظل شاخصًا ببصره نحو الأرضية، تقدم ببطء ومع ذلك كاد ينزلق بالدماء، يا للهول**!** كانت تانيلا متكئة إلى حاسوبها محاطة ببقعة دم كبيرة**!** أطلق شهقة عالية كادت تيقظ الموتى من قبورهم.

سيكادا!!!

جثا على قدميه، لينهض مجددًا، حملها بين ذراعيه واحتضنها باكيًا، وضعها على السرير ليلاحظ أن الدماء تتدفق من عروق يدها، لحظتها تذكر انتحار حبيبته زينة والفتاة البريئة التي منعته صدمته من إنقاذها، فقرر مواجهة رهابه قبل أن يفقد آخر من أحبه قلبه، ودون تفكير خلع حزامه وربط به يدها، شعر بأن الحزام غير كاف أو هكذا رأى، خلع رباط حذائه وأعاد ربط يدها بكل ما أوتي من قوة، فخرج منها تأوه خافت.

أحس بالحياة تدب فيه من جديد. فتحت عينيها بمجهود وراحت ترمقه بنظرة حانية، شرد في جمال عينيها العسليتين، وبصوت يكاد يسمع قالت:

لقد كنت أنت منذ البداية.

عاد إلى رشده فحملها بين ذراعيه وراح يركض غير عابئ بالظلمة والدماء، وضعها بمقدمة السيارة وقادها بأقصى سرعة، وقلبه يخفق بشدة والصدمة تغالبه، وهو يقاوم حتى يتمكن من إنقاذ حياتها:

رجاء لا تتركيني.

راح يصرخ عندما لاحظ أنها فقدت وعيها، وما إن وصل المشفى حتى أدرك وهو يحملها بين ذراعيه أنه لا يحمل سوى أحلامه المحطمة.

*****

تمت بفضل الله.